تاريخ الفكر الإجتماعى

الدكتور

عبد الهادى الجوهرى

إستاذ علم الإجتماع

وعميد كلية الأداب - جامعة المنيا

١٩٩٩

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

ت/ ٣٩٢٩١٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لاقى علم الإجتماع فى نشأته وتطوره صعوبات عديدة إلى أن أصبح علماً له موضوعاته المحددة ومناهجه العلمية الواضحة ونظرياته وقوانينه العلمية التى تحكم وتفسر حركة الظواهر الإجتماعية .

والمتبع لتاريخ الفكر الإجتماعى يسترعى انتباهه أن هذا الفكر لم يسر فى خط مستقيم وإلى الأمام دائماً ، وإنما اعترته صعوبات فى بعض الأحيان وظهرت فيه ارهاصات فى أحيان أخرى ، وكان ذلك تمشياً مع ظروف مجتمعية وظروف أكاديمية مرت بها الانسانية ، ولكن فى النهاية ظهر علم الإجتماع كعلم مستقل ولكنه غير منقطع الصلة بالعلوم الإجتماعية الأخرى .

ولقد اتسع نطاق البحث فى هذا العلم إلى أن أصبحت اهتماماته عديدة وفروعه كثيرة لعل من أحدثها علم الإجتماع السياسى وعلم اجتماع العلاقات الدولية ، وعلم اجتماع الادارة وعلم الإجتماع الرياضى وغير ذلك من فروع أخرى حديثة لم يشر إليها مؤسسو العلم الأول والمفكرون الإجتماعيون القدامى وتعددت المدارس الإجتماعية واتسع نطاق الاجتهاد العلمى واختلفت آراء الكثيرين من العلماء ، بيد أن اختلافاتهم لم تمثل عائقاً فى سبيل تطوير العلم وإنما مثلت حافزاً لمزيد من البحث العلمى والارتقاء بمستوى علم الإجتماع نظرياً وتطبيقياً .

وأخذت المجتمعات مع اختلاف مستوياتها العلمية - تعتقد فى أهمية العلم وتوظيفه من أجل المساهمة فى حل مشاكلها وطرح حلول لقضاياها المعلقة بحيث لم يعد العلم للعلم بقدر ما أصبح العلم للمجتمع .

وزاد الاهتمام بالعلم دراسة وبحثاً فأنشئت له الأقسام المتخصصة ومراكز البحوث وانتشر تدريس العلم فى كليات خارج إطار كليات الأداب والعلوم الإجتماعية والخدمة

الإجتماعية وأصبح يدرس فى كليات الزراعة والتجارة والطب والهندسة والمعاهد والكليات العسكرية وغيرها من الكليات التى تشعر بأهمية تدريس علم الإجتماع فيها كأحد المكونات المهنية والثقافية لطلابها .

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ يتناول موضوع الفكر الإجتماعى من حيث طبيعته وتطوره سواء الفكر الإجتماعى عند الشعوب البدائية أو فى المجتمعات الشرقية القديمة أو عند اليونان أو فى العصور الوسطى أو الفكر الإجتماعى عند المسلمين أو الفكر الإجتماعى ذو النزعة الفردية فى العصر الحديث أو فى القرن الثامن عشر وثمة عرض لعدة مدارس اجتماعية كالمدرسة الأنجليزية والمدرسة الألمانية والمدرسة الأمريكية .

وعلى الله قصد السبيل .

دكتور عبد الهادى أحمد الجوهرى

فهرس المحتويات

فى الفكر الإجتماعى

الفصل الأول

طبيعة الفكر الإجتماعى

يشير بوجادوس إلى أن الإنسان يواجه عالماً من المشاكل الإجتماعية المعقدة ، الأمر الذى يجعل حيرته وارتباكه فوق كل وصف ، وبذلك يصبح تفكيره مضطرباً ومشوشاً . وعندما يبدأ الإنسان العادى فى التغلب على هذه المشاكل فانه لابد وأن يحتاج إلى كل مساعدة ، ممكنه .

أن تطوير الحضارة إن لم يكن وجودها إنما يعتمد على جهد كل من الرجل والمرأة فى التفكير الأجتمعى المعقد كما يعتمد تقدم الديمقراطية إن لم يكن مجرد وجودها . إن التوافق الديمقراطى مع المشاكل يتطلب تفكيراً ديمقراطياً ، وهذا يعنى أن أفراد الجماعة من الأفراد العاديين أن يفكروا بوضوح فى طبيعة المشاكل الإجتماعية وفى إيجاد الحلول لعلاجها . ولذلك فان الفكر الإجتماعى أو التفكير الإجتماعى فى طبيعة المشاكل الإجتماعية وعلاجها فى أى مجتمع كبيراً كان أم صغيراً ينبغى أن يكون متسعاً أن لم يكن عالمياً ولا يستطيع القادة ذووا التفكير الإجتماعى السير إلى الامام فى أنشطتهم خارج نطاق التفكير الإجتماعى للإنسان العادى .

أن الجزء الأكبر من تحليل المسائل الإجتماعية كان أكاديمياً . وقد انتهت المناقشات إلى معالجات أو تعميمات .

أن الغالبية العظمى من أية جماعة إجتماعية لم تفهم طبيعة الفكر الإجتماعى كما لم تستفد منه . ولذلك فإنهم كانوا يستشعرون ويهزأون منه . لكن الفكر الإجتماعى العادى ينبغى أن يكون ديمقراطياً . وينبغى أن يكون ميسراً لكل الناس .

والشخص ذو النزعة العلمية يفكر فى المشاكل الإجتماعية بطريقته الخاصة . فقد يواجه ظروفاً قاسية تجعله يشعر بالظلم الأمر الذى يثير تفكيره الإجتماعى بصفة خاصة .

وقد يعتقد أن الأمراض الإجتماعية ترجع إلى سبب واحد ، وبالتالى فإنه يصف علاجاً واحداً لكل الأمراض الإجتماعية وعادة فإن ملاحظاته محدودة ، وغير مدرب على الوصول إلى إستدلالات دقيقة ولذلك فإن استنتاجاته وإستخلاصاته ضيقة ومحدودة للغاية .

وهذا الشخص غالباً ما يضع نظريات غير دقيقة . وقد تكون أكثر النظريات خطراً .

والعقبة الثانية التى تعترض التفكير الإجتماعى الصادق فتتمثل فى عدم الخلفيات الفكرية . يميل الناس عادة إلى تقديم حلول للمسائل الإجتماعية دون أن يتذودوا بالمعرفة عن القوانين والعمليات الإجتماعية . وفضلاً عن ذلك لا يرغبون فى الاطلاع على هذه المعرفة الضرورية . إن المشاكل الإجتماعية الجارية لا تفهم بالصدفة ما لم تدرك العلاقة التاريخية بين السبب الإجتماعى ونتيجته ولاشك أن كل المسائل الإجتماعية فى الوقت الحاضر هى نتيجة لبعض الميول والنزعات التى لها تاريخ إنسانى طويل . أن المعرفة بالعمليات الإجتماعية مسألة ضرورية للتفكير الصادق عن شرور الوقت الحاضر . وأن تاريخ الفكر الإجتماعى يزودنا بالحد الأدنى من المعلومات لفهم المشاكل الإجتماعية الحالية .

وإذا كان العمل الإجتماعى ضرورياً ، إلا أنه ينبثق عن تفكير إجتماعى عميق والعمل الإجتماعى الذى ينشأ عن رغبة عمياء أو معتقدات خاطئة قد يضر أكثر مما ينفع . فالعمل الإجتماعى الحكيم يتطلب المعرفة بتاريخ الخبرات الإجتماعية والفكر الإجتماعى الذى ينشأ عنها .

تعريف الفكر الإجتماعى :

الفكر الإجتماعى بالمعنى الدقيق هو نتيجة التفكير المشترك لأعضاء المجتمع أو الجماعة أو البيئة .

إن الفكر الإجتماعى هو فكر الأفراد عن المسائل الإجتماعية . وبهذا المعنى فإن الفكر الإجتماعى هو التفكير ... فى مشاكل المجتمع من جانب شخص أو عدد من الأشخاص فى الماضى أو فى الحاضر .

إن تفكير الأشخاص فى الحياة الإجتماعية يقع فى ثلاثة أقسام :

١ – يتعلق بتقديم الجماعات الإنسانية كجماعات .

٢ – يشير إلى تناول الجماعات الإنسانية لهدف الجماعة أو زمرة خاصة .

٣ – أهدافه تتمثل فى تحليل القوانين والعمليات الإجتماعية الأساسية بغض النظر عن نتائج هذا التحليل أو المنافع الناشئة عنه .

النمط الأول من التفكير يتعلق بالتخطيط الإجتماعى . بطريقة أو بأخرى وعلى أى حال لم يكن مفهوم التخطيط الإجتماعى مفهوماً واضحاً . بعض المدافعين عنه فسروه بمعنى نمط من التفكير يهدف لإقامة الاشتراكية أو الشيوعية أو الفاشية . وهذا التفسير ليس له أساس . والتخطيط الإجتماعى فى جوهره هو إقتراح إجراءات بعد تفكير عميق من خبراء وباحثين عاملين فى حياة المجتمع المحلى من أجل تنمية المجتمعات صغيرة كانت أم كبيرة .

أما النمط الثانى من أنماط التفكير الإجتماعى قد يكون تفكيراً غير إجتماعى فقد يبدأ عادة من التفكير الفردى ثم يؤدى إلى مشروعات تخطيطية من أجل مكسب عدد قليل من الأفراد وضد صالح الكثيرين عندما تكشف الجماعة عن نتائجه الضارة .

أما النمط الغالب من التفكير الإجتماعى فإنه يسعى إلى العمليات القائمة خلف التفكير المؤيد للإجتماعى والمعارض للإجتماعى . فهو يخترق طبيعة العمليات الإجتماعية ويحاول الوصول إلى قوانين إجتماعية ويحلل كل العوامل الأساسية لأى برنامج للتحسين الإجتماعى.

وقد أحرز التفكير الإجتماعى العلمى إنتصارات رائعة . فقد وضع مجموعة الكلمات والمصطلحات فى الإجتماع وقد تم تعريف عدد من مفاهيم الفكر الإجتماعى القائمة ، كما تم الوصول إلى بعض الاتفاق فيما يتعلق بمعانى هذه المفاهيم .

والفكر الإجتماعى المجرد ، هو تكميلى للفكر العلمى عن المسائل الإجتماعية ، وقد يتباين تماماً عن التفكير الشعبى أوالعام .

والفكر المجرد يسعى إلى التفسيرات السببية ويسعى إلى الواقع الشخصى الملموس ، ويؤدى إلى إجراءات متوازنة تماماً والتفكير العلمى شئ مميز غير شائع . والقدرة على التفكير لمجرد إدراك المعانى العميقة للظواهر ، أمر نادر .

أما التفكير العملى القائم على خبرات قليلة ، فإنه يكون القطاع الرئيسى من الحياة الفكرية لكل شخص .

أننا نجد أشخاصاً تخلصوا أو حرروا أنفسهم من صراع الحياة اليومية ، من سباق كسب المال والتحقوا بجماعة الباحثين العلماء فى الحاضر والماضى ، يسعون فى العمل الأول نحو الحقيقة . وعندما يتيسر للباحثين الوقت للتفكير المجرد ، التحليل والوصول إلى تعميمات خلاقة ، فإن عقولهم تكون قد سارت فى طريق أو أكثر من الطرق الفكرية الخمسة .

الخطوط الخمسة للفكر الإنسانى :

١ – بذل الإنسان إهتماماً كبيراً لعلاقته بالعالم . وكان الإنسان متديناً خلال تاريخه الطويل يحاول علاج مشاكل العالم الذى يحكمه من خلال الأرواح أو الآلهة أو الاله الواحد القهار . وقد أوجدت المخاوف والأمال والمعتقدات والمثال الإجتماعية حياة الأضحيات .

٢ – بغض النظر عن الحاجات الدينية فقد حاول الإنسان أن يفكر فى علاقته بالعالم ككل ، الحى وغير الحى . وقد تفلسف وحاول رد هذا العالم المحسوس وغير المحسوس إلى عدد قليل من المفاهيم وحاول الوصول إلى أرض ثابتة لتفسير علاقته بالعالم . أعلن أن التغير هو سيد كل شئ . وقد وضع الإنسان على قمة كل الخلق وعلى أى فقد سعى الإنسان إلى المعانى النهائية .

٣ – من الأفاق البعيدة لأنساق الفكر الدينى والفلسفى ، وجه الإنسان انتباهه المركز والمطول فى اتجاه معارض فقد وجه تفكيره نحو نفسه . وجه عمليات التفكير فى الباطن وقد احتار طويلاً بالنسبة لبناء وظائف التفكير والسلوك وهذه السلسلة من الدراسات أدت إلى معالجات مثل نقد العقل الخالص عند كانت من ناحية أو إلى التعقيدات الحالية لعلم النفس السلوكى أو لعلم النفس الجشتالت من ناحية أخرى .

٤ – سعى الإنسان إلى معرفة أسرار الأرض المادية ومنذ الثورة الصناعية فى إنجلترا فإن العقول العلمية قد ركزت طاقة عظيمة نحو محاولات فهم وإستثمار العناصر الفيزيقية. فقد حاول الإنسان أن يستفيد من الصخور وطبقاتها للحصول على ثروات من الذهب والبترول والغازات . وبفضل معرفة الإنسان عن البخار والبنزين والكهرباء أمكن إختراع وسائل النقل الحديثة . وقد تتابعت الأختراعات الميكانيكية ، الأمر الذى أدى إلى الأعجاب بقوة فكر الإنسان .

٥ – فى الأزمنة الحديثة أصبحت مشكلة توافق الإنسان مع زملائه من بنى الإنسان تستحق قدراً أكبر من الانتباه ، أن التفكير الإجتماعى العلمى قد اكتسب دقة متزايدة خلال القرن الحالى ولآلاف السنين أمعن الإنسان التفكير فى علاقاته بربه والتزامه نحوه ، فضلاً عن علاقته بالعالم ، وفى طبيعة عمليات فكره وطبيعة عمليات عقله ، وطرق ووسائل إكتساب النجاح الفردى من خلال السيطرة على موارد الأرض العادية . وعلى الرغم من أهمية هذه الجوانب فقد أهمل الإنسان تماماً حتى العصور الحديثة قلب الحياة الناجحة الحقه ، وهى بالتحديد علاقته بزملائه وبالمجتمع نحوهم فقد تجاهل الإنسان تماماً الفكر الإجتماعى أو التفكير التحليلى عن طبيعة الحياة الإجتماعية وإتجاهاتها ومشاكلها .

لم يعد علم النفس فردياً وصورياً . إنه الآن يحاول تفسير العالم فى ضوء السلوك الإنسانى والأنماط الجشتالتية . ويسعى نحو عمليات الجماعة لامكان تفسير السلوك الشخصى .

والعلم له طرق موضوعية ، ينغمس فى مقياس تأثير العوامل زائده والإجتماعية على السلوك والعلم بما أداه فى خلق أدوات للحياة أحسن وأحسن يثير أسئلة عن علاقة هذه الأدوات بقيم الحياة وعلى أى حال أحال العلم هذه المشكلة إلى العلوم الكمية وإلى الدراسات التقويمية .

أن هذا الجانب من الفكر الإجتماعى المسمى بالفكر الإقتصادى هام للغاية من ناحية تأثيره أنه يسعى إلى تقييم المشروعات الصناعية التجارية على أساس أهميتها الإجتماعية . أن ملكية موارد الأرض المادية وإدارة المشروعات التكنولوجية وتوزيع الفائض والمكاسب الإقتصادية . كل هذه مفاهيم يحاول الأقتصاديون فى الوقت الحاضر إعادة تعريفها فى ضوء تقييم المجتمع .

وقد استفاد الفكر الإجتماعى من طبيعة الظروف الإجتماعية ولا مكان فهم الفكر الإجتماعى علينا أن نعرف العصر الذى نشأ فيه . أن المعرفة العميقة بالثقافة وبالمستويات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والدينية لشعب من الشعوب هو الحد الأدنى الصورى لدراسة الفكر الإجتماعى .

وقد نشأ تاريخ الفكر الإجتماعى من بدء الصراع البشرى علـى الأرض . وقـد وجـد التعبير من خلال أعظم العقول .

والفكر الإجتماعى عادة يجد تعبيره المبدئى خلال الأزمات الإجتماعيـة وعندما يسـود الأزدهار بين الناس . فإن فكراً إجتماعياً جديداً يسود فهو فـى حالـة مـد وجـزر . عندمـا تتميز الظروف الإجتماعية بظلم فادح أو عندما تحدث التغيرات الإجتماعية بسرعة نتيجة الأختراعات والحروب أو أية إضطرابات أخرى أساسية ، فإن الفكر فى الحياة الإجتماعيـة والمشاكل يزداد وتنشأ أفكار جديدة أو أنساق من الأفكار أى أيديولوجيات[1] .

---

(١) مزيد من التفصيل ، انظـر : أ . د . أحمـد الخشـاب ، التفكـير الأجتمـاعى ، دراسـة كاملـة للنظريـة الأجتماعية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

د . حسن شحاته سعفان ، تاريخ الفكر الأجتماعى والمدارس الأجتماعيـة ، دار النهضـة العربيـة القـاهرة ١٩٥٧ .

الفصل الثانى

الفكر الإجتماعى عند الشعوب البدائية

يستخدم مصطلح الشعوب البدائية للإشارة إلى شعوب لا تعرف القراءة والكتابة . ولكنها ليست شعوباً نامية بل سابقة على ظهور الكتابة . فهى تفتقر إلى خصائص ثقافية محددة ، وهى بالذات اللغة المكتوبة ، بغض النظر عن عنصرها أو وطنها الجغرافى ، وسواء كانت بيضاء أو سوداء أو صفراء أو حمراء - تسكن فى المناطق الشمالية الباردة أو فى المناطق الجنوبية الحارة . وسوف ندرس فكرهم كما يظهر فى أمثالهم وخبراته المختلفة ، وهو يشبه الفكر الإجتماعى لأى شعب آخر ونضعه تحت عنوان واحد . كما أن هذا الفكر لا يشير أبداً إلى أن الشعوب البدائية أقل من الشعوب المتحررة .

ولذلك جدير بنا أن ننظر إلى الفكر الإجتماعى عند الشعوب التى لم تعرف اللغة المكتوبة على أساس ما له من مزايا وعيوب دون الأفتراض أنهم يفكرون هذا اللون من التفكير لأنهم أشبه بالقرود كما يظن البعض .

ويوضع بيكروباتز بعض خصائص الثقافة السابقة على معرفة القراءة والكتابة قبل الكلام عن الثقافة فى حد ذاتها فإذا كان هناك مجتمع محلى ريفى لا يعرف القراءة والكتابة على الرغم من أنه يعيش وسط العالم الحديث الذى يعرف القراءة والكتابة . فإن معنى هذا أن هذا المجتمع الريفى يعيش فى عزلة ، فهو لا يتصل بالعالم والشعوب الأخرى.

وهناك فرق بين العزلة الجغرافية والعزلة عن الجيران . فعبارة عزلة الجيرة ترجمة لمصطلح الهوة عند راتزل Ratzel ويختلف عن الموقع الجغرافى . فكل شعب له موقعان أحدهما قائم على الأرض الواقعية مباشرة والآخر مباشر ناشئ عن علاقة الشعب بجيرانه ، يتصل الأول بموضع الأرض أما الثانى فيتصل بالجيران .

وإذا افترضنا وجود إنسان لم يكن له على الأطلاق أى علاقة بأناس آخرين فيما عدا هؤلاء المنغمسين فى عملية الولادة ، فإن له موقعاً جغرافياً دون أن يكون له علاقة بجيرانه ، لأن هذا الأمر يتضمن وجود علاقات بأناس آخرين ولكن الوضع مع الجيران لا يوجد بدون موقع جغرافى . والموقع الجغرافى قد يتغير كثيراً مع تغير ضئيل نسبياً فى الوضع مع الجيران والعكس ، أن بعض أصحاب النظريات الإجتماعية لم يميزوا بين العزلة الجغرافية والعزلة عن الجيران .

حان الوقت كى نثير هذا السؤال : هل طبيعة الإنسان تقاوم التغير أو تحب التغير بالضرورة ؟ لاشك أن الأجابة ستكون إجابة على مشكلة التغير الإجتماعى ، وكل ما ستعمله هو مقارنة أراء بعض العلماء .

يؤكد باجوت Bagehot على ندرة التقدم الثقافى وأن حالة الإستقرار هى حالة الإنسان التى تتكرر غالباً ، وعندما بدء التاريخ وجد أن معظم الأجناس غير متقدمة وتوضح البيانات المتوافرة كما تؤكد أن كثيراً من الشعوب السابقة على ظهور الكتابة وشبه المتعلمة تحفظ بسمات ومركبات ثقافتها القديمة لدرجة أنها تظهر درجة عالية من الثبات الفكرى .

وقد استنتج فيدال دى لابلنكى Videl de la Blaehe وجود قدر من التقدم فى الثقافات المنعزلة ، ولكن بعد فترة من الوقت تأتى فترة من الأنحلال والضعف . وما لم تدخل عوامل تكسر هذه الدائرة الخبيثة تسود فترة من الحكم الخاملة . ويشير أوجبرن Ogburn "أن الإنسان فى بعض المواقف يريد التغير ، وفى مواقف أخرى لا يريد" .

تنظيم القرابة وثبات التفكير :

الخاصية الثانية من مرحلة التطور الثقافى للشعوب البدائية هى إنتشار تنظيم القرابة فأقوى روابط إجتماعية هى روابط القرابة لأن العزلة قضت على أى روابط أخرى ، وهذه الروابط القرابية تجعل التفكير ثابتاً لا يتغير ، لأن الجماعة القرابية وهى وحدة نقل التراث والتقاليد بين جيل لآخر ، تؤثر تأثيراً قوياً فى شخصية الطفل وبذلك تجعل الكبار أو المرشدين كل منهم يشبه الآخر إلى حد كبير ، كما تجعلهم يتوائمون مع المجتمع الذى

يعيشون فيه فالطفل يعيش مع أقاربه ولا يستطيع قطع روابطه بهم ، وإذا فرضنا وحدث هذا الأنحراف ، أى قطع الإنسان روابطه بأهله فإن العملية تشبه عملية قطع الحبل السرى التى تسبب كثيراً من الألم ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بعيداً عن أهله .

ففى خطى هذه السنين الطويلة يحاول الكبار تشكيل الصغار على صورتهم كما يحاولون المحافظة على وحده المجتمع المحلى وتماسكه ، لأن المجتمع يوفر أسباب الحماية والأمن ، وأننا نعلم أنه فى كثير من الشعوب البدائية امتدت عملية إرضاع الأطفال من الثدى فترة زمنية طويلة قد تستمر إلى أربع سنوات ، ولذلك فإن العلاقات بين الزوج والزوجة علاقات قوية ، وكذلك الحال بالنسبة لعلاقات الأم بطفلها . ولذلك فإننا نندهش من وجود الاعتماد المتبادل بين كل هذه الخطوط والعوامل البيولوجية تجعل من التنظيم القرابى نوعاً من البناء متزايد القوة والتأثير فى خلق الشخصية الأساسية .

الضبط الإجتماعى والكبار :

يتضح لنا مما سبق أهمية تنظيم القرابة وأثره القوى على نمط الحياة والضبط الإجتماعى الذى يمارسه الأفراد الكبار السن فى الجماعة . ولا يتخذ الضبط صور الأوامر أو النواهى وقد يكون أقوى ضبط إجتماعى وأكثره فاعلية ذلك الضبط الذى ليس من السهل ملاحظته وليس ظاهراً وليس رسمياً وهو أقرب إلينا من اليدين أو القدمين ، أن قوى كبار السن لا تمارس بصورة مباشرة ، فهم يشكلون شخصية الفرد ويرسمون سياسة الحياة فى الجماعة القرابية ويحدد الأمور فى حياة كل شاب ، ولذلك فإنه لا حاجة إلى الضبط الإجتماعى المباشر . أما التأثير السائد القوى فتمارسه شعائر التحاشى الجزئى أو الكلى ، المحرمات ، الطقوس ، طرق العمل المقدسة . أى قواعد العرف والنظام .

وتزداد قوى كبار السن إذا عرفنا أن الملاحظة الشخصية وإمتصاص التقاليد يتم من خلال الكلمة المنطوقة وحدها وهى لذلك المصدر الوحيد للمعرفة والحكمة .

وبسبب كل هذه الظواهر يسود فى الشعوب البدائية نمط الحكم الأستبدادى ذى الطابع التقليدى . وهو نوع من الحكم يستمد شرعيته من قداسة أوامر وسلطات الحكام بفضل بقائهم واستمرارهم فى الحياة . ولكن فى الدولة الدنيوية فإن الوضع يختلف تماماً

لأن العلاقات بين الحاكم وموظفيه من ناحية ، ورعاياه من ناحية أخرى هى علاقات صحبه وقائمة على إحترام الحاكم وطاعته .

التميز بين الجنسين :

من السمات المعروفة عند معظم الشعوب البدائية هو التقسيم الدقيق للسلوك الإجتماعى بين الذكور والأناث . ولو أن الشعوب الحديثة تضع معايير لسلوك الرجل والمرأة ، كما تحدد ماهية عمل الرجل وماهية عمل المرأة ولكن هذه التحديدات غامضة غير واضحة ، ثم جاءت رياح التغييرات العنيفة فى الخمسين عاما الماضية وجعلت من المرأة منافساً للرجل فى كثير من مجالات العمل التى كانت مقصورة على الرجال وحدهم سنين طويلة .

والشعوب البدائية تضع خطوطا واضحة تفصل بين عمل الرجل وعمل المرأة ، ولاشك أنه توجد إختلافات كبيرة بين الجماعات البدائية فيما يكون عمل المرأة وفيما يكون عمل الرجل .

ومن الظواهر المصاحبة لهذا التحديد الدقيق الصارم هو نظام التحريمات الخاص بالرجال والتحريمات الخاصة بالمرأة . فليس على الرجل تناول أنواع معينة من الأطعمة وكذلك المرأة ، ولا ينبغى على المحارم أن يخبر حبيبته بأسرار رقص الرجال الذى يؤدينه وهم يرتدون الأقنعة وكما أن المرأة الماهرة فى التوليد عليها الامتناع عن الاشارة إلى فنها فى حضور زوجها أو أبيها أو أخيها . هذه التحريمات وغيرها من تحريمات لا نهاية لها تؤكد الاعتقاد بوجود احتياجات حادة بين الجنسين وبصفة خاصة من ناحية السمات الجنسية والعقلية .

ومن الظواهر التى تؤكد على وجود هذا التميز بين الرجل والمرأة اعتقادهم بأن دور المرأة فى التناسل أكثر أهمية من دور الرجل وخاصة عندما يضاف إلى ذلك بعض الظواهر الشاذة حتى الاجهاض والولادة قبل موعدها المحدد ، وغير ذلك ولا يقتصر الفصل بين عمل المرأة وعمل الرجل على العمل الدنيوى ، بل يمتد ذلك إلى العالم الآخر . إذ تؤكد البدائية أن المرأة لن يكون لها دور فى الحياة الأخرى .

وإذا كانت هناك شعوب بدائية تضع المرأة فى وضع أقل من الرجل فى العالم الدنيوى إلى جانب العالم الآخر ، فأن هناك شعوباً أخرى تضع المرأة فى وضع أفضل ، ففى الثقافيات الأمومية تحتفظ المرأة بسلطات خاصة تكفل لها وضع السيادة ، إلا أن هذه المجتمعات قليلة للغاية . وعلى أى‌حال أن وضع المرأة أقل من الرجل فى كل المجتمعات البدائية إلا فى بعض الحالات القليلة وتستطيع أن تستدل على ذلك من بعض الأمثال :

- "الرجل بلا أمرأة هو عقل بدون جسد ، والمرأة بدون رجل هى جسم بلا عقل" (ألمانى).
- "أن للمرأة شعراً طويلاً وعقلاً صغيراً" (يوغسلافى) .
- "ليس للدجاجة أن تصبح ديكاً" (روسى) .
- "الزوج هو والد زوجته" (روسى) .

السياسات السكانية :

لا يكتفى التفكير البدائى أن يضع المرأة فى منزلة أدنى من منزلة الرجل ، بل أنه فى بعض المجتمعات تقتل الأنثى عند ولادتها خاصة إذا كان الصراع قاسياً من أجل الحياة ، فالفلاح الصينى يقتل ابنته وهى طفلة قد تعوقه ولا تساعده بعكس الأبناء الذين قد يساعدون أسرهم . وتحديد السكان على هذا النحو لا يتم على حساب الأناث ، فهناك مجتمعات كثيرة تحدد عدد سكانها على حساب أحد الجنسين الذكور والأناث ، فالشعوب البدائية تقيد الزيادة الطبيعية فى عدد السكان بدلاً من علاج المشكلة عن طريق الهجرة . فعندما تشعر بأن هناك خطراً يهدد الموارد التى تعيش عليها ، تلجأ إلى تحديد عدد السكان عن طريق قتل الأطفال فكأن هذه الشعوب لا تعتقد فى تلك الحكمة القائلة بأن الله عندما يخلق فما فأنه يرسل له الطعام الذى يملأه .

وهناك أسباب كثيرة تجعلنا ننسب لكبار السن فى المجتمعات البدائية هذا النوع من التفكير الذى تحدثنا عنه فى الفقرة السابقة . ولعل من أهمها : أن الأمور مستقرة فى المجتمعات التى يسودها روابط القرابة فالمجتمع المحلى المنعزل لا يتغير بدرجات محسوسة . كما أن التغير بطئ للغاية فى طرق الحصول على الطعام ، فكمية الطعام تحددها أساليب

الحصول عليه وفضلاً عن ذلك فإن حجم الجماعة يتحدد فى ضوء كميات الأطعمة المتوافرة . ولذلك فإن الجماعة أما أن تسعى لتوفير كميات وفيرة من الطعام وأما أن تحدد عدد أعضائها فى ضوء كميات الطعام المتوافرة وهذا هو الأسلوب الشائع ، فتلجأ تلك الشعوب إلى وسائل منع الحمل البدائية أو الاجهاض أو قتل الأطفال أو ذبحهم ، ومعنى ذلك أن المالتسية أو المالتسية الجديدة منتشرة فى تفكير كثير من الشعوب البدائية .

القيادة الكاريزمية :

هناك القيادة التقليدية ، ولو أن كبار السن يحصلون على الهيبة من مصادر أخرى وهى وظيفتهم الخاصة بنقل التراث وتطبيقه . كما أن هناك نوعاً آخر من القيادة الكاريزمية (كلمة Charisma كلمة يونانية تعنى الهدية المقدسة أو الروحية ، ونجد هذه القيادة مصدرها فى التقديس غير العادى إلى شئ مقدس أو البطولة ، أو الأقتداء باحد الأشخاص وتعليماته التى يكشف عنها أو يبتكرها . وليس من الضرورى دائماً أن يكون القائد الكاريزمى قائداً دينياً فقد يمارس نفوذه فى المجال السياسى ، أو أن البطولة فى الحرب قد ترفعه إلى صفوف القائد الكاريزمى .

وهناك عنصر آخر تتضمنه القيادة الكاريزمية وهو ما يعلق بالأفكار الدينية فوق الطبيعية ولو أن الجانب الدينى ليس الأساس . ويتضح ذلك العنصر من الاعتقاد بأن القائد الكاريزمى يمتلك أو يمتلئ بقوة لا شخصية غامضة قد يطلق عليها حسنة أو مانا ، وهذه القوة هى السبب فيما يتمتع به من صفات غير عادية . فالرئاسة هى رئاسة لأن الرئيس يمتلك صفات تشير إلى المانا التى يستمتع بها . وهذا الاعتقاد شائع كثيراً بين الشعوب البدائية وتختلف المانا عن السحر فالمانا مسألة أكثر عمومية أما السحر فمسألة محدودة ومحلية وشخصية .

ومفهوم المانا كقوة غامضة مع إرتباطها مع التحريم أو القوة السلبية قد أثر فى التفكير الإجتماعى عند البدائيين بطرق مختلفة وبصفة خاصة فى أفكارهم عن القيادة والقرابة وغيرها . وليس من الضرورى أن يكون الرئيس هو الكاهن ، فالرئيس يكون رئيسا بسبب المانا وسيطرته على الطقس والمحصولات الزراعية وعمليات الطبيعة المختلفة

وقد يفصل الرئيس وذلك حتى تنتقل سلطاته غير الطبيعية إلى منافس ناجح بذلك يمكن أن تظل التربة خصبة . وبسبب الاعتقاد فى أن المانا التى يتمتع بها الرئيس أو الملك هى قوة تسيطر على الطعام والطقس أو الشفاء والمرض ، يتلقى القادة فى الشعوب البدائية هدايا فى مقابل المانا. وهذه هى المانا فى صورتها الأيجابية .

كما أن للمانا أثارها السلبية . فقد يكون الملك مملوء بالمانا تماماً حتى أن الشخص الذى يلمسه أو يلمس ممتلكاته يمرض فى الحال أو قد يموت . وعندما يتميز التفسير الإجتماعى البدائى بهذا الاعتقاد فإن المانا تصبح أداة قوية للضبط الإجتماعى فهى تأخذ شكل رجل الشرطة أو الجندى أو أنها تجعل هيبة الملك سهلة للغاية .

التكنولوجيا :

الإنسان كائن ناطق أى أنه مفكر وهو مدنى بالطبع أىأنه يعيش فى مجتمع ومعنى ذلك أن الإنسان منذ القدم بدأ يحيا حياة إجتماعية وهو يفكر . وهو لا يفكر فيما حوله فحسب، بل يفكر أيضاً فيمن تربطه وإياه علاقات إجتماعية ومعنى ذلك أول مظهر من مظاهر نشاطه كأنه نشاط جماعى .

والإنسان أيضاً كان صانعاً . فهو يحاول أن يتكيف مع البيئة التى يعيش فيها ويحاول السيطرة على الطبيعة وإستخدامها لصالحه ، ولذلك يصنع الأدوات لتساعده فى معيشته. وهو لا يقف أمام الطبيعة بمفرده – بل مع غيره من أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها فهو يعمل مع غيره ويتعاون مع باقى أفراد الجماعة فى تدبير حاجاته وإشباعها . أى أن العمل المشترك هو الظاهرة الأساسية ، وكما أن التأثير الجماعى فى مظاهر الطبيعة مسألة موجودة– منذ نشأ الإنسان على الأرض . فالصيد والرعى والزراعة كلها تتم داخل جماعات . وهذا – النشاط الجماعى صاحبه وصدر عنه مجموعة من الطاقات الإجتماعية المعقدة . كما أن التكنولوجيا بمفهومها البدائى البسيط التى تتمثل فى مجموعة من الأدوات الحجرية أو المعدنية هى النتائج الأولى لقهر الطبيعة ومحاولة إستغلالها والحصول على خبراتها لصالح الجماعة .

ولذلك نستطيع القول أن أول مظهر من مظاهر التفكير البشرى كان مرتبطاً بالتكنولوجيا التى كانت تستوحى من تنظيمات الإنسان المتصلة بالعشيرة أو الجماعة أو المجتمعات الإنسانية والحياة الإجتماعية بصفة عامة . كما أن المقولات المنطقية التى يعتبرها علماء المنطق مقولات عقلية مبادئ أساسية هى فى الواقع مقولات مجتمعية ، نبعت عن التجربة الجماعية عند محاولة الجماعة أداء نشاطها للاتصال بالنظام الكونى الطبيعى ، ومحاولة الإنسان تنسيق العلاقة بينه وبين الطبيعة لاستغلالها لامكان قضاء حاجات الجماعة أو العشيرة وأصبحت المدركات العقلية منبثقة من هذه العلاقة – علاقة الإنسان بالكون– التى تعتبر مسألة ضرورية لكل حياة إجتماعية .

ويتضح من ذلك أن هناك ثلاثة عوامل لابد أن نأخذها فى الحسبان هى العلاقات – الإجتماعية والتكنولوجية ، والبيئة الطبيعية ، بينها علاقة التفاعل والتأثير المتبادل ، وإذا أردنا فهم سلسلة التغير الإجتماعى بطريقة تكاملية لابد من مراعاة هذه العوامل الثلاث ، وأهمال أى عنصر منها لا يساعد على فهم الحياة الإجتماعية .

ولاشك أن الفكر على إختلاف مستوياته هو محرك الطاقات الخلاقة للجماعات الإنسانية وهو الأداة التى تحكم وتنظم وتنسق عناصر الكيان الفردى والمجتمعى وبقدر إنطلاق الفكر فى آفاقه وتحرره من القيود والمعوقات بقدر ما يكون التوافق بين العوامل الثلاث للعلاقات الإجتماعية ، العامل الأيكولوجى ، العامل التكنولوجى وبقدر خلاص المجتمع من خرافاته بقدر سيرة فى طريق التقدم والرقى .

الأسطورة :

أن المعرفة الإنسانية معرفة إجتماعية ، فأول نتاج فكرى إنسانى – وهو الأسطورة البدائية – كانت تحكى تمثيليات وتصورات إجتماعية ، فقد كانت كل دوافعها الأساسية ومصادرها الرئيسية نابعة من ظروف الحياة الإجتماعية . فالأسطورة توضح أن الطبيعة فى ذهن الإنسان البدائى هى صورة لعالمه الإجتماعى .

ولا نستطيع الموافقة على رأى عالم الإجتماع الفرنسى ليفى بريل أن العقلية البدائية غير منطقية فى تفكيرها أو متنافسة مع تفكيرها أو غريبة فى تصوراتها أو متناقضة فى

تعليلاتها غير واعية بفكرة ثبات القوانين الطبيعية . وإنما نوافق على رأى مالينوفسكى فى دراسته الحقلية الأنثروبولوجية حين قرر أن القواعد التى تتبعها الجماعات البدائية فى إنتاجها والتى تبدو على أنها ممارسات سحرية مستقلة تمام الإستقلال عن الأمور الطبيعية. ومن الخطأ أن نزعم أن الإنسان فى مرحلة مبكرة من مراحل تطورة كان يعيش فى عالم مضطرب يختلط فيه الواقع ، أو تلتقى فيه المسائل الطبيعية بالمسائل الشعورية الأدراكية . إن الإنسان البدائى لا يلجأ إلى السحر وشعائره الدينية لتقدم له العون والمساعدة إلا عندما تنتهى معرفته وعندما لا يساعده جهده على بلوغ ما يصبوا إليه .

كما أن عالم الإجتماع الفرنسى دور كايم أبرز فى تحليله للطوطمية أن عبادة وتقديس القبيلة لرمزها الطوطمى إنما هو تقديس للعشيرة أو القبيلة نفسها . أى أنها تقدس مجموعة التنظيمات الإجتماعية التى تسير عليها البشرية فى حياتها وفى علاقاتها الإجتماعية .

والدليل على ذلك أن الفكر الإجتماعى البدائى يرتكز أساساً على الإعتقاد المتين بوحدة الحياة الطبيعية والإجتماعية ، فيطمس كل الفروق بينهما وليس معنى ذلك أن الفكر البدائى يطمس كل الفروق من الناحية التجريبية الحسية ولكنه كان يعيش فى إطار فكر أسطورى دينى ، يقضى بأن مجتمع الحياة أو المجتمع البيولوجى الحيوى لا يتمتع الإنسان فيه بأى منزلة أرفع من منزلة أى كائن - نباتاً كان أو حيواناً - فالناس والحيوانات والنبات كلها تقف فى خط واحد .

كما أن الفكر البدائى لا يفصل بين الأشياء المقدسة ، فالمقدس لا يمتاز عن العلمانى (أو الدينوى) بالسمو والرفعة أو التأثير الخارق كما أن المقدس قد يصبح علمانياً ، والعلمانى قد يصبح مقدساً وهكذا فى الطقوس والممارسات التى يراها المجتمع .

ويقرر العلماء وعلى رأسهم دوركايم أن الحياة العقلية ومبادئ الفكر ترجع إلى أصول الجماعة فالمقولات أو المبادئ العقلية مثل فكرة الزمان والمكان ، والجنس والعقلية والعدد والجوهر وما إلى ذلك ترجع إلى تنظيمات الحياة الإجتماعية نفسها فالتقسيم الزمانى إلى أسابيع وأيام وشهور يطابق التكرار الزمنى لمواعيد الطقوس والأعياد والحفلات الجماعية العامة . فالتقسم السنوى يرجع إلى مصطلحات وأحداث وأوضاع إجتماعية . وكذلك

الحال بالنسبة لفكرة المكان فالتنظيم المكانى نتيجة التنظيم الإجتماعى ، فالمكان ليس ذلك الوسط اللا محدود ولكنه تجسيد لأوضاع مكانية لها أهميتها الإجتماعية .

كما أن الفكر البدائى تصور "الزمن" وحدة كلية متصلة مستمرة فهناك وحدة متصلة يمكن أن تتعلق بإتخاذ زمن الأحداث الإجتماعية والظواهر الطبيعية والأنشطة الحيوية . والأهم من ذلك هناك وحدة فى نظام التتابع بمعنى أن أجيال النفس تكون سلسلة واحدة لا تنقطع وعن طريق التجسيد والتناسخ تظل المراحل الأولى فى الحياة مستمرة ، كما يمتزج الحاضر بالماضى والمستقبل دون أن يكون بينهما خط حاسم .

والدليل على هذا القول أن الإنسان البدائى لا يعترف بحقيقة الموت ولا يعتبرها ظاهرة طبيعية أو حيوية . فالوفاة عمل من أعمال الكهانة ، أو الإنتقام السحرى ، وناتج عن العين الشريرة . فقد أوضحت الدراسات عن قبائل إستراليا الأصليين أنها لا تعرف شيئاً اسمه الموت الطبيعى ، ويبدو أن فكرة "فناء الإنسان" فكرة غريبة عن الفكر الإجتماعى البدائى. وهذه الوحدة الزمانية تنعكس فى الفكر الإجتماعى السائد بين الجماعات التى فيها عبادة السلف وينطوى هذا اللون من العبادة على التسليم بفكرة الامتداد الزمنى بين الخلف والسلف . وتظهر هذه العبادة فى الصين القديمة وعند الرومان .

كل هذا يوضح أن الفكر البدائى تميز بخاصية أساسية هى الوحدة المتكاملة بين الحياة الإجتماعية والحياة الطبيعية والمملكة الحيوانية . وكان القوى الطبيعية وغيرها من القوى التى تواجهه .

وحينما كان يعجز الإنسان فى معركة تحدى أى قوة ، كان الفكر الإجتماعى يسعفه بضمانات تحييد هذه القوى ، عن طريق عبادة مظاهر الطبيعة ، أو الدخول فى معاهدة مع الآلهة أو القيام بمجموعة الشعائر الجنائزية ، لمقاومة الخوف من الموت بعد أن أوضحت عنده أن الموت نهاية الحياة الدنيوية .

والفكر البدائى أعطى سمة من التقديس للعمل الإنسانى ، فالعمل له قيمة أخلاقية فالبدائى لا يقف موقفاً سلبياً بين الخير والشر ، بل ينبغى أن يفضل الخير وأن يبتعد عن الشر . كما أن العمل المنتج هو خير فى ذاته . فالرجل الذى يصطاد من أجل جماعته إنما يؤدى واجباً أخلاقياً ودينياً .

وقد وضع الإنسان البدائى نظاماً من التحريمات Taboo بسبب حساسيته لأخلاقية العمل ويبدو أن ذلك كان محاولة لتحديد الواجبات الإجتماعية الواجب إتباعها فى المواقف والمناسبات فهناك تحريمات - خاصة بالعلاقة بين الرعايا ورؤسائهم الروحين والسياسيين ، وتحريمات خاصة بالحياة والشئون الأسرية ، والأقتصاد ونظام الملكية ..... الخ .

مقولات الزمان والمكان :

وأخيراً نشير إلى مقولتى الزمان والمكان بصفة خاصة نظراً لأهميتها . ونوضح العوامل الإجتماعية الداخلية فى تكوينها .

يشير الدكتور أحمد أبو زيد فى الجزء الثانى فى كتابة البناء الإجتماعىَ إلى أن الدورة السنوية فى المجتمعات البسيطة التى ترتبط مناشطها الإقتصادية والإجتماعية إرتباطاً وثيقاً بالظروف الجغرافية السائدة فيها تدفع تلك المجتمعات إلى إتخاذ نمطين مختلفين من التنظيم الإجتماعى نتيجة للتعارض الواضح بين هذه الظروف ، ويظهر هذا بوضوح فى الجماعات القبلية التى تعتمد فى حياتها على الجمع والالتقاط أو صيد السهم أو قنص الحيوان أو الرعى أو الزراعة . ويزيد من أهمية هذا الموضوع إرتباط المقاييس الزمنية والمكانية فى الشعوب البسيطة بالمناشط الإجتماعية والإقتصادية . وهذا معناه ، أن الشعوب والمجتمعات لا تتبع نفس أسلوب التوقيت أو مقاييس المسافات المتبعة فى المجتمعات المتقدمة ، فالزمان لا يقاس بالساعات والدقائق . والمسافة لا تقاس بالأميال أو الكيلو مترات وإنما يقاس الزمان والمكان بنوع النشاط الذى يمارس فى وقت معين بالذات أو بوجود بعض الموانع الفيزيقية آبار أو مرتفعات فى المكان الذى يقصده المرء فالمقاييس التى يتبعها المجتمع الحديث المتقدم والتى تؤخذ على أنها الزمان أو المكان المخصص لا تعتبر ذات أهمية أو جدوى بالنسبة للمجتمع البسيط أو البدائى لأنها تتفق وبقية إيقاعات الحياة .

وقد أدى ذلك الأختلاف فى النظرة إلى الزمان والمكان بكثير من الكتاب الأوربيين إلى الأعتقاد بأن الشعوب البدائية ليس لديها فكرة عن الزمان وأنها لا تستطيع أن تقدر بالضبط المسافة التى تفصل بين مكانيين بدقة ، وهو اعتقاد غير دقيق تماماً . فكل شعب له مفهوماته وتصوراته وطرقه الخاصة لقياس الزمن ، وكلها تختلف إلى حد كبير عما نجده فى المجتمعات المتقدمة نظراً لأختلاف المناشط وإيقاع الحياة .

ومن هنا كان إهتمام علماء الأنثروبولوجيا الإجتماعية بتبين المعانى الإجتماعية لمفهومى الزمان والمكان فى المجتمعات التقليدية ودراسة المقاييس التى تستخدم فى تلك المجتمعات وأوجه الخلاف بينها وبين ما نجده فى المجتمعات الحديثة .

ويمكن أن نرد الأهتمام بهذا الموضوع إلى كتابات أميل دوركايم من ناحية ومارسيل موسى من الناحية الأخرى . وقد تعرض دوركايم لهاتين الفكرتين فى مقدمة وخاتمة كتابة عن (الصور الأولية للحياة الدينية عند البدائيين) ففى هذا الكتاب يتابع دوركايم فكرته الأساسية من أن المقولات جميعاً ومنها الزمان والمكان تنشأ عن الدين وبالتالى عن المجتمع ذاته . والواقع كما يقول دوركايم من الصعب على المرء أن يتكلم عن الزمان الذى هو ليس تتابعاً للسنوات والشهور والأسابيع والأيام والساعات . صحيح أن تجربتنا السابقة وتذكر الأحداث التى يرى بها الفرد تساعد على فهم الزمن ، ولكن مفهوم الزمان لا يتألف فقط من تذكر كل أحداث تلك الحياة الماضية مهما بلغ ذلك التذكر من الكمال . فالمهم فى نظر دوركايم "زمنى" شخصياً ، وأما المهم هو الزمان فى عمومه كما يتصوره جميع أفراد المجتمع أو جميع الأشخاص الذين ينتمون إلى ثقافة معينة ، وهذا كفيل فى حد ذاته يبين لنا أن فكرة الزمان فكرة جماعية يضاف إلى ذلك أن الملاحظة الدقيقة تدلنا على أن جميع العناصر التى نستعين بها لمعرفة الوقت مستخدمة هى أيضاً من الحياة الإجتماعية ذاتها . فالتقسيمات المتعارف عليها بين الناس إلى أيام وأسابيع وشهور وسنين وغيرها إنما تتفق كل الاتفاق مع الشعائر والحفلات والمراسيم على فترات مرسومة . فكل التقاويم التى تعترف بها المجتمعات ليست سوى تعبيرات عن رتابة المناشط الإجتماعية ويؤكد الأنتظام حدوثها . فمقولة الزمن تعبر عن الوقت المشترك بين الجماعة ككل . فهو بذلك زمان إجتماعى له كل مقومات النظم الإجتماعية .

لقد كانت المشكلة الرئيسية التى اهتم بها العلماء هى كيف أمكن للإنسان فى المجتمعات المختلفة الوصول إلى هذه الفكرة ومدى إرتباطها بتجارب هذه الشعوب والمجتمعات فى حياتها اليومية .

الواقع أن مفهوم الزمان يتضمن نوعين متمايزين من التجربة الأولى هى فكرة التكرار كل تكرار وتتابع الساعات والأيام والأسابيع والفصول وما إلى ذلك والثانية هى فكرة

الأستمرار التى نستمدها من أحساسنا بأن الأشياء الحية تولد وتنمو وتكتمل ثم تموت . ففكرة الزمان فى ذاتها ترجع لدى كل الشعوب والمجتمعات الإنسانية إلى إدراك هده الشعوب والمجتمعات للظواهر الطبيعية التى تعيش فيها والتى تتكرر . أن عملية الحياة ذاتها لا يمكن إرجاعها إلى الوراء بحيث تسير فى خطوات عكسية وهذا يصدق على كل الشعوب بغض النظر عن كل مستوياتها الثقافية وإختلاف الوسائل والأدوات التى تتخذها لقياس الزمن . وهذا لا يمنع من أن بعض المجتمعات البدائية لا تنظر إلى الوقت على أنه مجرد تتابع فترات زمنية متلاحقة وأنه بالأحرى سلسلة من التذبذب أو التراوح بين شيئين متقابلين كالليل والنهار أو الصيف والشتاء ، أو الجدب والرخاء ، والشباب والشيخوخة ، أو الحياة والموت ، وربما هذه كانت أبسط الوسائل التى أستطاعت بها الشعوب البدائية فهم ومعرفة مرور الزمن .

وهناك دراستان فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية لفكرة الزمان فى اثنين من المجتمعات البدائية والتقليدية الدراسة الأولى للأستاذ ايفانزير ريتشارد والثانية للدكتور أحمد أبو زيد .

وقد درس أيفانز براتشارد الزمان عند النوير ، وحاول أن يدلل على أن مفهوم الزمان عندهم حددته لهم نفس الظروف البيئية التى يعيشون فيها . وقد ميز بين نوعين من الزمان الأول هو ما تطلق عليه الزمان الأيكولوجى ويقصد به كل التصورات التى هى إنعكاسات لعلاقات الناس بالبيئة ، وبالثانى هو الزمان البنائى ويقصد به التصورات التى هى إنعكاسات بعلاقة الناس ببعض فى البناء الإجتماعى وكلا النوعان يشير إلى تطلع الأحداث التى لها أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع ، والزمان الأيكولوجى هو زمان دورى بمعنى أنه يتكرر دائماً فى شكل دورات . مثل الدورة السنوية التى تنعكس فيها تغيرات الطبيعة وإستجابات الناس لهذه التغيرات . ولذلك لا يمكن إستخدام الزمان الأيكولوجى فى التمييز بين فترات زمنية أطول من الفصول التى تنقسم إليها السنة . وهى عند النوير عبارة عن اثنين هما فصل الجفاف وفصل المطر . أما الزمان النهائى فهو زمان تقدمى أى أنه يسير فى خط واحد مستمر ولا يكاد يتكرر .

والدورة الأيكولوجية عند النوير هى السنة ، وتمتاز بإيقاع خاص يتميز فى تحركات الناس الفصلية بين القرى ومخيمات الماشية إستجابة لثنائية الظروف المناخية . والواقع أن هذه المناشط الإجتماعية التى ترتبط بالتغيرات الموسمية هى الأساس الأول الذى تقوم عليه

فكرة النوير عن الزمان وهـم يعتمـدون فى تقدير الوقـت أو مقياس الزمـن على بعض العوامل الأيكولوجية التى تتحكـم إلى حـد بعيـد فـى تحركـات النـاس ، ولعل أهـم هـذه العوامل هو مدى وفرة الماء وجودة العشب والنبات على العموم ثـم وجـود السـمك فى النهيرات والمستنقعات . فإحتياجات الماشية والتغيرات التى تطرأ على موارد الطعام تترجم الإيقاع الأيكولوجى إلى إيقاع إجتماعى أثناء السنة فالنوير لا يسـتخدمون أسماء الشـهور مثلاً فى الأشارة إلى الأحداث الماضية وإنما يربطونهـا ببعـض أوجـه النشـاط البـارزه التـى كانوا يمارسونها بالفعل وقت وقوع هذه الأحداث مثـل الأنتقـال مـن القـرى إلى مخيمـات الماشية أو البدء فى حصد الذرة وما إلى ذلك . فالزمان بالنسبة لهم علاقة بين أنواع مختلفة من النشاط الأقتصادى أو الإجتماعى . ومن هنا كان النوير يتخذون من المراحل المختلفـة التى تمر بها زراعة الذرة مثلاً ونضج المحصول إشارات وعلامات لتحديد الزمن . كذلـك قد يلجأ الناس فى تحديد الزمن الذى وقع فيه الحدث إلى ربطه بحدث آخر هـام واقـع فـى نفس الوقت أو بإحصاء عدد مرات القدوم ، أو مرات ظهور الشمس منذ وقوع ذلك الحادث .

ويعتمد النوير فى تحديد الزمن على الأعمال والمناشط العادية الرتيبة التى يقومون بهـا فى حياتهم العادية فمرور الوقت بالنسبة للنويـر هـو عبـارة عـن تتـابع الأعمـال المختلفـة وعلاقتها أحدها بالآخر ، مثل نقل الماشية من الحظيرة إلى الأكواخ وحلب البقـر وإرسـال القطعان إلى المراعى وعودة الماشية وحلبها للمرة الأخيرة فى الماء ثـم إدخالها فـى الحظـائر وهكذا . فالرجل منهم يقول سأعود عند حلب اللبن أو سأرحل عندما تعـود العجـول إلى المراعى وهكـذا . وإذا كـان الزمـان فـى عمومـه هـو العلاقـة بـين المناشــط الإقتصاديـة والإجتماعية المختلفة فيجب أن نفهـم فـى الوقـت ذاتـه أن لـه مفهومـاً يختلـف فـى فصـل الجفاف نظراً لرقابة واتساق ودقة التوقيــت الزمنـى أثنـاء الجفـاف . ولكنهـم يجـدون مـن الصعب تحديد العلاقة بين الحوادث فى رموز عددية مجردة فهم يفكرون دائماً بالأشارة إلى المناشط الإجتماعية وإلى تتابع هذه المناشط وكذلك إلى البناء الإجتماعى وإلى الفوارق البنائية .

أن أكبر وأطول وحدة للزمان الأيكولوجى عندهم السنة ، وتوجد عنـد النويـر ألفـاظ تشير إلى السنة الماضية والسنة قبل الماضية والسنة الحالية والسنة القادمـة ثـم السـنة التـى تليها أو فيما وراء ذلك أن مسألة التوقيت الدقيق تكـون بالأشـارة إلى البنـاء الإجتمـاعى والتنظيم الداخل فـى تكوينـه . أى لابـد مـن الإعتمـاد علـى النظـام الإجتمـاعى وخاصـة

طبقات العمر فالنوير يذكرون أنّ حادثة ما وقعت بعد تكوين طبقة عمرية معينة مثلاً أو أثناء فترة تكديس طبقة عمرية أخرى ولكنهم يعجـرون عـن تحديـد عـدد السـنوات التـى مرت على هذه الحادثة فالزمان يحسب بطبقات العمـر ويمكـن أن نقـول أن الفـترة التـى تنقضى بين بداية طبقتين متتاليتين هى عشر سنوات تقريباً مما قد يسـاعد فـى النهايـة علـى الوصول إلى تقدير تقريبى للزمن الذى مر على الأحداث السابقة

والشئ نفسه يصدق على فكرة المكان . فلقد أهتم بعض علماء الإجتماع وبخاصة فى فرنسا بما سموه بالمكان الإجتماعى تمييزاً له عن المكـان الهندسـى وتـابعهم فـى ذلـك بعـض العلماء الأمريكين مثـل سـوروكين وقـد تعـرض دوركـايم لفكـرة المكـان فـى كتابـة عـن "الصورة الأولية للحياة الدينية" وعرض للفكـرة بنفـس الطريقـة التـى اتبعهـا فـى دراسـة "الزمان الإجتماعى" أن الشئ الذى يساعد على وضع وتحديد الأشياء والتمييز بينهـا فـى المكان هو إختلاف جزئيات المكان بحيث يمكن وضع الأشـياء بطـرق مختلفـة بحيـث يكـون بعضها إلى اليمـين وبعضهـا إلى اليسـار ، والبعـض إلى أعلـى والبعـض الآخـر إلى أسـفل ، والبعض الجنوب أو الشمال ، والبعض الآخر فى الشرق أو الغرب وهكذا . فالأمر أشـبه بطريقة توزيع الأشياء وتحديدها فى الزمان حيـث يقتضـى الأمـر وجـود تواريـخ محـددة . وهذا معناه أن المكان مثل الزمان قابل للتقسيم والتمييز بين أنقسامه وهـذا لمـن يتيسـر إلا فى المجتمع والحياة الإجتماعية . فالمجتمع يعطى قيمة معينة لكل إتجاه من الأتجاهات المعروفة كالشمال أو الشرق أو اليمين أو اليسار ، ثم يمد هذه القيم إلى المواقع المكانية المختلفـة . ونستطيع تقريب فكرة المكان من الأذهان إذا ذكرنا تصور بعض القبائل الأسترالية وبعض قبائل الهنود الحمر فى أمريكا للمكان من أنه دائرة واسعة فالواقع أن هذه القبائل تسـتمد هذه الصورة للمكان من نفس الطريقة التى تنظم بها معسكراتها فهى تقسم مخيماتها فى العادة فى شكل دائرة ثم تتم هذه الدائرة المكانية بنفـس النظـام الـذى نقسـم بـه الدائـرة القبلية وعلى صورتها بل أنها تميز بين عدد من المناطق تتساوى تماماً مع عدد العشائر التـى تنقسم إليها . وذلك بالإضافة إلى الموقع الذى تمثله كل عشيرة داخل المعسـكر هـو الـذى يحدد إتجاه هذه المناطق مع تمييز كل منطقة عن الأخرى عـن طريـق الطوطـم الـذى تنتمـى إليه كل عشيرة ، وواضح أن تقسيم المكان يختلف من مجتمع لآخر مما يـدل علـى أن هـذه التقسيمات إنما يستمدها المرء من الحياة الإجتماعية ذاتها وليس من طبيعة الإنسان الذاتية[1].

---

(١) انظر د . أحمد الخشاب نفس المرجع السابق .

الفصل الثالث

الفكر الإجتماعى

فى المجتمعات الشرقية القديمة

تتميز المجتمعات الشرقية القديمة بأنها مجتمعات تاريخية ، أى أن لها تاريخاً مكتوباً ، وذلك بفضل تقدمها وإنتقالها من مرحلة الصيد والترحل من مكان آخر إلى مرحلة الزراعة وما تتطلبه من إستقرار وتنظيم إجتماعى ، كانت مجتمعات متقدمة من النواحى الفنية والتكنولوجية وتركت لنا آثاراً مادية تدل على ما كانت فيه من حضارة . وعرفت نظام التخصص وتقسيم العمل الإجتماعى . ويمتاز البناء الإجتماعى لهذه المجتمعات بوجود نظام التدرج الطبقى وإستناد النظام السياسى والإقتصادى على أساس دينى . ويعتبر الفكر الإجتماعى إنعكاساً للبناء الإجتماعى والمثل الإجتماعية التى إرتضاها المجتمع فى ذلك الوقت .

وسنتناول ثلاث حضارات قديمة هى مصر وبابل والصين :

أولاً : الفكر الإجتماعى فى مصر القديمة :

نستطيع تحديد ملامح التفكير الإجتماعى فى النواحى التالية :

١ - التدرج الطبقى :

كان البناء الإجتماعى مرتكزاً على تقسيم طبقى فى قمة هذا البناء الطبقى يجلس الفراعنة باعتبارهم حكاماً سياسيين آلهة أو أشباه الآلهة أو منحدرين عن الآلهة ولذلك كانوا يجمعون فى أيديهم بين السلطتين الزمنية والدينية . ويلى هذه الطبقة طبقة الكهنة الذين يقومون بالخدمة فى المعابد ، ثم طبقة قادة الجيش القائمون على حراسة الأماكن المقدسة ثم طبقة الفنيين والصناع وأخيراً طبقة الفلاحين . ويرتكز هذا النظام كله على النظام الدينى وعندما يتغير النظام الدينى تتغير النظم السياسية والإقتصادية والعكس أيضاً صحيح .

ويرجع ذلك إلى أن الفكر الإجتماعى كان يصور الآلهة المحلين لاعلى أساس أنهم مجرد آلهة وإنما أيضاً قادة حربيين ورؤساء سياسيين أى أن الالهة له السيطرة على كل النواحى الدينية والحربية والسياسية . فإذا انتصرت مدينة على مدينة أخرى فإن آلهة المدينة الغالبة تصبح الآلهة الأكبر بالنسبة لآلهة المدينة المغلوبة . ولذلك كانت فكرة التوحيد فى الديانة المصرية القديمة قد سارت جنباً إلى جنب مع فكرة الوحدة السياسية للدولة المصرية القديمة، فبعد أن وحد الملك مينا الوجهين القبلى والبحرى تحققت فى عهده الوحدة الدينية .

وبذلك أصبح للسلطة الدينية سلطة مركزية فى النواحى السياسية والإقتصادية . وقد ساعد هذا الأمر على نشأة تشريعات وقوانين عامة بالنسبة للدولة ، هذه القوانين صارت تحكم سلوك الأفراد وعلاقتهم ومعاملاتهم بعضهم ببعض . ويتضح من كل هذا أن التفكير الإجتماعى كان يحمل فى ثناياه بواكير النضوج التشريعى والقانونى إلى جانب بواكير التنظيمات الإجتماعية .

٢ - الأفكار الإقتصادية :

أثبتت الوثائق التاريخية أن الفكر الإجتماعى قد أهتم بفكرة الملكية وكان نظام الملكية يرتكز على حقوق الهية فلايجوز للفرد إمتلاك المعابد . فلم يكن الكهنة ملاكاً وإنما كانوا يستغلون الحقوق الزراعية لصالح الهيئات الدينية . وكان كبار الملاك يمنحون الكهنة بعض الأملاك بقصد الصلاة على أرواحهم وتقديم القرابين بعد وفاتهم . ويعمل بالأرض الفلاحون وهم يكونون طبقة إنصاف الأحرار وعرف المجتمع فى ذلك الوقت نظام العبيد الذين تنتقل ملكيتهم بالميراث . فقد كان الرق مشروعاً بالنسبة للزنوج وأسرى الحرب من الأجانب .

٣ - الأفكار الدينية :

كانت الطقوس الدينية لقدماء المصريين تعكس حياتهم الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والتربوية والفنية . كما كانت السلطة السياسية ترتكز على الحكومة الدينية التى جعلت من الفراعنة آلهة وجعلت من الكهنة طبقة الأشراف المثقفين والقضاء .

وكان لكل عشيرة معبودها الذى يحميها وقد أدى اتحاد العشائر إلى اتحاد هذه المعبودات المتعددة .ولذلك كانت الأساطير القديمة تحكى التحالف السياسى أو التنافس الأقليمى ويتضح من ذلك أن التفكير الدينى كان يتأثر بالظروف السياسية والأوضاع الإقتصادية .

وقد نشأت فلسفات دينية تفسر خلق العالم ونظامه الإجتماعى والدينى فى المعابد المركزية مثل هليوبولس ومنف وطيبة .

وكان الآلهة الوظيفيون يجسدون إهتمامات المجتمع المصرى القديم فمصر كبلد زراعى يحتاج إلى ضمانات لنجاح الأنتاج الزراعى والحيوانى . فكان هؤلاء الآلهة خبراء فنيين يضمنون التقدم فى الزراعة وتربية الحيوان . فهناك اله للأرض يدعى "نوت" ويتبع هذا الاله عدداً من أرواح الآلهة ومنها حابى الذى يروى الأرض كما أن هناك اله للحبوب وآخر للحصاد .

وبسبب الإهتمام بالثروة الحيوانية قدست بعض الحيوانات مثل العجل أبيس فى منف وكبش آمون فى طيبة وغير ذلك .

غير أن تقديس هذه الفصائل الحيوانية كان له أهمية خاصة عند العامة دون الخاصة . الأمر الذى يوضح أن الإعتبار الإقتصادى يكمن وراء تقديسها . وكانت الأساطير الدينية تدعم هذا التقديس وقد نشأت التربية فى أحضان الدين . فقام الكهنة بوظيفة التعليم مرضاة للآلهة إلى جانب تقديس الأدب وإجلال العلم . فكان الكاهن يعلم أبناء حيه وجيرانه فى مكان ملحق بالمعبد كما تكفلت الدولة بإقامة نظام تعليمى ودينى فأنشأت دور التعليم المختلفة .

وكل هذا يوضح أن التفكير الإجتماعى مصطبغاً بالصبغة الدينية .

٤ – التأملات القانونية :

اهتم التفكير فى مصر القديمة إهتماماً بالغاً بالناحية التشريعية فأوراق البردى والنقوش على جدران المعابد كلها زاخرة بالقواعد القانونية . وقد وحد الملك مينا القوانين المصرية

وجعل قانون "تحوت" سائداً فى الوجهين القبلى والبحرى كما عرف المصريون القدماء كثيراً من النظم الدستورية والمنظمات السياسية على مستوى الدولة ، ومارسوا نظام اللامركزية على أساس أن المدينة تؤلف وحدة سياسية متكاملة .

٥ - الطوطمية في مصر :

كان السكان القدماء صيادون رعاة دخلوا وادى النيل منذ عشرين ألف سنة وأحضروا معهم أشهر مبدأ من مبادئ التنظيم وهو الطوطمية ويتكون جوهرياً من الأدعاء بأن كياناً مادياً غير بشرى قد يكون غير عضوى وقد يكون عضوياً فى أغلب الأحوال هو جد الجماعة القرابية ويطلق اسم هذا الكيان على الجماعة أوأعضائها أو الاثنين معاً . وهناك خصائص أخرى ، والطوطم دائماً حيوان ولا يمكن أن يقتله أبداً أحفاده أو سلالته من البشر إلا فى حالة الطقوس الدينية كما أن هؤلاء الأحفاد يحتفلن بتحريم الزنا . ولا يدعى بيكر وبارنز أن الطوطمية مسألة أساسية أو ذات أهمية بالغة فى حياة الشعوب البدائية فكل ملاحظاتها تنطبق فى المحل الأول على الظواهر كدليل على وجود نسق من التفكير الإجتماعى.

وقد ترك سكان الوادى كثيراً من الصور توضحهم وهم يصطادون ويحاربون أو يعملون فى الزراعة فى حضور بعض الرموز من بينها الصقور والبقر والفيلة وغيرها . وهناك رأى علمى ينسب إليها أهمية طوطمية فهى تشير إلى عشائر طوطمية .

وفى كثير من الجماعات الطوطمية ، الحكم الأستبدادى يمارسه عدد من الأفراد كبار السن .

والتقاليد الدينية المسجلة فى مصر القديمة تشير إلى ماضى لا يبتعد كثيراً من بداية العصور التاريخية (٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد) حيث جماعة من كبار السن هى التى تمارس الحكم وهذا يثبت أن التنظيم الطوطمى كان له نفوذ فى مصر فى عصور ما قبل التاريخ .

٦ - أسطورة أوزيريس وأهميتها الإجتماعية :

كثيراً من الملوك أطلقوا على أنفسهم خدام حوريس وهو لقب له أهميته العظيمة بالنسبة لعلاقة فرعون بأسطورة أوزيريس . فالآله حوريس هو اله النور والسماء وهو يقيم فى كل المملكة السماوية ، فهو الصقر (وقد كانت العلامة التى تشير إلى فكرة الآلهة

هى رسم الصقر) . وإلى جانب خدام حورس الذين كان لهم النقوذ فى مصر السفلى كان هناك عدد آخر من الملوك الذين يظهرون الولاء والأنتماء إلى "ست" ويبدو هذا الآله فى صورة مختلفة فأحياناً فى صورة بقر الوحش وأحياناً فى صور الكلب السلوقى ، وأحياناً فى صور آكل النمل . ويبدو أن هذه الحيوانات كانت فى الأصل طوطم لعدد من العشائر كانت تقيم فى مصر العليا ونجحت فى بسط نفوذها وسيطرتها على كثير من العشائر فى هذا الأقليم . وأصبح الآله ست يرمز إلى القوى التى تضاد وتعارض . خدام حورس اله النور والسماء ، أما قوة ست نفسه فتتمثل فى الظلام والرعد والعواصف ورياح الخماسين الصحراوية وعند غروب الشمس وإختفاء القمر يعمل ست على تمزيق عيون حورس ينتقم حورس لنفسه بأحضار ست . ويعتقد العالم موريث أن الأسطورة تسجل فترة من المعارك والصراعات قبل عصر الملوك بين الدلتا حيث الاله حورس والوادى حيث الاله ست والأمر الجدير بالذكر أن الاله تحوت الذى كان يتدخل بين الفريقين والذى كان يضمد جروحها لجأ إلى هوليوبلس التى تقع عند ملتقى مصر العليا بمصر الدنيا.

ويعد سلسلة من المعارك أخلى حورس مكانة لأوزيريس شقيق الأب وإيزيس أخت الأم وحوريس طفليهما . ويبدو أن أوزيريس هى الاله لمجموعة من Momes فى الدلتا تتأثر بطقوس الأخصاب وكان ست يذبح أخاه ويقطعه إلى عدد من القطع ولكن إيزيس تجمع القطع معاً وتمارس سحرها وتعيد حورس إلى الحياة . وقد أختفى حورس الكبير من الديانة المصرية واحتل مكانة حوريس الطفل .

وتفسر الأسطورة على النحو التالى :

أوزيريس ملك الدلتا يمثل ويرمز إلى هؤلاء الرؤساء الذين يركزون فى شخصيتهم سلطة العشيرة .

وعندما عرفت العشائر حياة الأستقرار وأصبحت القوة متمركزة فى أوزيريس تغيرت عادات الزواج . وبسبب الأرتباط بالأرض كف الرجل عن الخروج من العشيرة للبحث عن زوجته فقد حل الزواج الداخلى محل الزواج الخارجى . وتزوج أوزيريس من أخته إيزيس وارتبط هذا الزواج بالهيبة المقدسة واستمر فى تمييز الحياة المصرية . وأصبح هذا

النظام فى الزواج يميز إنتقال المجتمع من النظام الأموى حيث تعتقد كل امرأة فى العشيرة أن الطوطم يلحقها إلى النظام الأبوى حيث الزوج هو الأب الحقيقى .

ومع ذلك فقد أحتفظت أسرة أوزيريس ببعض الآثار المتعلقة بالنظام الإجتماعى السابق واستمرت فى المجتمع المصرى .

ويرى بانزوبيكر أن الأسطورة تمثل الأنتقال من نظام العشيرة إلى نظام العائلة والأنتقال من سلطة المجتمع المحلى إلى سلطة الفرد . وهذا السبب فى أن الملك أوزيريس الأساس فى قيام النظام الملكى كما تشير إلى حكمه بإعتبار أقدم نمط من أنماط الحكومة القانونية المدنية .

ولكن أهمية أوزيريس أعظم من ذلك فهو اله للخصب يرمز إلى الطمى الذى يحمله النيل كما يرمز إلى الفيضان السنوى ولاحتفاظ بجسد أوزيريس ضرورى للغاية إذا أراد أن ينجب من إيزيس إبنة حورس . وهذا يفسر العناية الفائقة بأجساد الفراعنة بعد موتهم.

والفرعون يقلد سيده أوزيريس الذى يروى الأرض بالماء وفى اللحظة التى يبدو أن ست ينشر الشر عندما يجف النهر وتصبح الأرض السوداء مسحوقاً يرمى فرعون أمراً مكتوباً فى النهر كى يفيض مرة أخرى ومن ثم يرتفع الماء .

والفرعون عظيم فى جلاله أكثر من أوزيريس وأكثر من حورس وقد وضع علماء الفلك المصريون فى هليوبوليس تقويماً سنوياً واختاروا نقطة البداية منتصف يونيو وهو موعد فيضان النيل . وهوليوبوليس هو الاسم اليونانى الذى يطلق على المدينة المصرية التى تدعى بيت رع إلى درع هو الابن المصرى ، بابن له وأصبح فرعون يرمز إلى شخص رع وأوزيريس وحورس عند تتويج الملك يصعد إلى عرشه كالشمس فى السماء ، وخلال أسلوب من التفكير يصعد الملك يوماً ما مؤكداً إعادة ظهور ملك الخير .

(ب) الفكر الإجتماعى فى بابل :

١ - التدرج الطبقى :

كان الكلدانيون - وهم أقدم سكان بابل متخصصين فى الطقوس الدينية ويقضون حياتهم فى التأمل والفلسفة ويلجأ إليهم العامة فى تفسير أحلامهم . ولذلك كان مقامهم عالياً . يؤلفون طبقة معفاه من الضرائب والألتزامات العامة .

ويلى هذه الطبقة طبقة الجند .. وكانت الظروف هى التى تطلبت أن يحتل الجنود مكانة مرتفعة لأن أشور كانت مملكة شاسعة بعيدة الحدود مؤلفة من عناصر مختلفة ولذلك لابد من أن يكون الحكم قوياً يعتمد على جيش قوى . وانعكس هذا الوضع فى الفن الأشورى... فاللوحات التى تركوها تمثل أفظع وأبشع المواقف فى معاملة الأعداء وأسرى الحرب .

وكان الملك على قمة هذا البناء الطبقى فهو الذى يقود جيوشه وهو بمثابة الاله الأعظم "أشور" على الأرض وكان الملك يؤلف كل سنة جيوشاً لأستتاب الأمن فى البلاد. وتعسكر الجيوش خارج كل مدينة ثم تسرح كل عام وتعود إلى أوطانها .

وتتألف طبقة العامة من التجار والفلاحين ويتميزون عن غيرهم بأنهم كانوا حفاة الأقدام وعراه الرؤوس بخلاف الكهنة ورجال القصر الذين يرتدون القرنس التى تختلف أشكالها بإختلاف الوظائف والمراكز . وكان لبس الشعار مقصوراً على الأمراء ورجال الحرب ولكل شخص من الطبقات العليا زخرف رمزى يستخدم للتوقيع .

٢ – الديانة السومرية :

يقوم الدين السومرى على مجموعة كبيرة من الآلهة مرتبة على نسق التثليث وهناك مجموعة أخرى آلهية تعبر فى الواقع عن الصفات التى تصف بها الآله الأم . وهناك آلهة الخصب ويرتبط بأسطورة الموت والبعث الذى يموت شتاء ثم يعود فى الربيع وهناك أيضا طبقة من الآلهة المحاربة كان للمدن المختلفة آلهة محلية على نحو ما نجده فى مصر القديمة مثلاً.

ولم يكن الأشوريون يميزون بين الآلهة والملوك وكان إحترامهم للملك أشبه بالعبادة لم يكن أحد من أفراد الشعب يجرؤ الكلام إليه . وكان الملك هو المصدر الذى تنبعث عنه كل ما يختص بالمسائل الدينية والحربية .

وهناك دلائل تشير إلى إنتقال الديانة الكلدانية إلى الأغريق طريق آسيا الصغرى كما كان الشائع عند البابليين نظام تعدد الزوجات .

العلم عند الكلدانيين :

سجل الكلدانيين أفكارهم فى مصنفات شاملة التاريخ والدين والأساطير . كما احتوى كثيراً من الآراء الدينية والتشريعية كما تركوا بضع معلومات فلكية ورياضية ومجموعة مشوشة من التنجيم والسحر .

(جـ) الفكر الإجتماعى فى المجتمع الهندى القديم :

تعتبر الأشعار الهندية القديمة المعروفة باسم "ماها بهارتا" من أقدم المصادر الهندية التى تعكس الأفكار الإجتماعية للحضارة الهندية القديمة .

وكانت الأفكار الإجتماعية والسياسية ممتزجة بالقواعد الدينية والممارسات الطقوسية وقد ورد فى تعاليم "مانو" أن الآله براهما خلق الملوك مزودين بمجموعة من العناصر للقوى المقدسة التى أصطنعت من الوهج أو النار المقدسة ويتضح من ذلك أن السلطة السياسية من طبيعة دينية لأنها مستمدة من سلطة الآله الأكبر "براهما" .

كما نصت تعاليم مانوا على تقديس طبقة رجال الدين من البراهمة وأوجب على الملوك إحترامهم ، وجعلت أملاكهم مقدسة لا يعتدى عليها ولا تفرض عليها جزية ... وهم أعوان الملوك فى سلطاتهم .

ويرتكز التنظيم الإجتماعى للمجتمع الهندى القديم على التفاوت الطبقى الذى أرسى الدين قواعده ونظم علاقة كل طبقة بالطبقات الأخرى . ويرتكز هذا التنظيم على دعامتين الأولى : توارث المركز الإجتماعى الذى لا يمكن أن يتغير والثانية : ضرورة مراعاة العرف والتقاليد التى تلتزم بها كل طبقة فلكل طبقة التزاماتها ووظائفها الإجتماعية التى جاءت من وحى الاله براهما .

ويقف على قمة السلم الطبقى طبقة البراهما ، وهى طبقة رجال الدين وهى طبقة نصف مقدسة تمارس الطقوس الدينية بقصد حماية الأنتاج الزراعى وزيادته وقد فرضت عليها التعاليم المانوية خضوعها لكثير من التحريمات ، فحرمت عليها الزواج أو الأختلاط بغيرهم من سلالات وخاصة من القبائل التى كانت تسكن الهند قبل هجرة البراهما إليها.

وبذلك بقيت طبقة البراهما – وهى الغازية فى عزلة أرستقراطية عن بقية الطبقات التى تؤلف المجتمع . وقد ظل هذا اللون من التفكير الإجتماعى مسيطراً على المجتمع الهندى حتى ظهر المصلح الإجتماعى "ساكيامونى" صاحب التعاليم الدينية المقدسة التى عرفت باسم الديانة البوذية وتمثل تعاليم بوذا ثورة جذرية على الأسس الإجتماعية التى ارتكزت عليها الديناة البراهمية .

ودعت البوذية إلى القضاء على مظاهر المغالاة فى التفرقة بين الطوائف من حيث الحقوق والالتزامات غير أنها أنتهجت طريقاً سلبياً يتمثل فى محاولة الفرد للخلاص من نزواته وشهواته الملحة . غير أن البوذية تتألف من مجموعة من القواعد السلوكية العملية التى يجب على الفرد الالتزام بها لكى يحيا حياة فاضلة خالية من الآلام والآثام . ولذلك امتزجت البوذية ببعض الآراء الصوفية ومعنى هذا أن البوذية أبعدت الناس عن التفكير فى شئون الحياة الدنيوية والحقوق والواجبات ومع ذلك فقد أعلنت فى نفس الوقت مبادئ الإنسانية التى تدعو إلى عدم التفرقة بين الطبقات ، فهناك قانون أبدى أطلق عليه مصطلح (الكرماء) ووفق هذا القانون وجد الناس متساوين فى الخلقة والحقوق بقدر مساواتهم فى حظوظهم من الآلام لأن الوجود مرتبط بالألم والرغبة فى الحصول على أى شئ ينطوى على عنصر الألم الملازم لهذه الرغبة . ومن ثم كان القصد فى الرغبات والشهوات وسيلة للتقليل من عناء الحياة .

فالتفكير الإجتماعى البوذى ذو طابع أخلاقى سلوكى يدعو الى خلاص المجتمع الهندى من براثن النظام الطائفى عن طريق هدم العقيدة البراهمية وأثبتت البوذية بالتفسيرات العقلية لأسفار الفيدا أن كل الطبقات تتساوى فى طبيعتها الحيوية والإجتماعية وأن فى إستطاعة أى إنسان مهما كانت الطائفة التى ينتمى إليها أن يكتسب هذه الصفة عن طريق بعض الفضائل السلوكية العملية هى الأستقامة والتأمل والحكمة .

ولكن التأملات البوذية لم ترق بتفكيرها الإجتماعى إلى حد إستخلاص مفاهيم أساسية فى النظريات السياسية أو الحقوق المدنية بل حاولت صبغ السلوك والنشاط الفردى والجماعى بصبغة صوفية ذات مسحة دينية . ولم يصل المجتمع الهندى القديم فى تفكيره إلى التنظيم الإجتماعى والأقتصادى والسياسى الذى بلغته المدينة المصرية القديمة .

ولم تخلو الحضارة الهندية من بعض المفكرين الإجتماعيين الذين تبنوا بعض الآراء الإجتماعية وحاولوا تطبيقها فى ميدان السياسة العملية وفى مقدمة هؤلاء المفكرين المفكر الهندى كوتيلا وقد اشار هذا المفكر إلى نشأة الدولة والسلطة بإعتبارهما ضرورة إجتماعية وقد دافع عن نظرية الحكم المطلق ... فقد إفترض وجود الحالة البدائية حيث يسيطر قانون الغاب . ولذلك لابد من قيام الحاكم الذى يتولى حماية الضعيف من بطش القوى . وهكذا فإن القانون يسود بدلاً من حكم الغاب وبذلك يستمر المجتمع فى الوجود ولكى يؤدى الحاكم وظيفته الإجتماعية لابد أن يكون حازماً وماكراً . إلا أنه أشار أيضاً إلى بعض الأفكار الديمقراطية مثل إشراك الشعب فى الحكم عن طريق مجالس الشورى .

وعلى أى حال فإن التعاليم البوذية وأن كانت تجنح إلى الزهد فى أمور الدنيا إلا أنها تتضمن مفاهيم خلقية عملية . فقد وضعت الأخلاق الحميدة والسير الطاهرة فوق الثروة والجاة بل فوق الطقوس والشعائر الدينية .

أن التفكير الإجتماعى البوذى له طابعه الأخلاقى السلوكى الذى يعمل على خلاص المجتمع الهندى من براثن النظام الطائفى عن طريق هدم العقيدة البراهمية التى كانت تزعم أن البراهمية من طبيعة مقدسة وأثبتت البوذية أن كل الطبقات الإجتماعية تتساوى فى طبيعتها البيولوجية .

خاتمة :

وعلى أى حال يتميز التفكير الإجتماعى فى الشرق القديم بعدة سمات منها :

أنه كان مشتتاً ومتفرقاً فى كثير من الكتابات التى وصلتنا عن هذا العهد البعيد ، ولم ينشأ نتيجة الدراسة المقصودة وكان ذا طابع فردى شخصى فى أصله وتعبيره فلم يكن نتيجة مدارس أو أنماط متباينة من التفكير الإجتماعى ويدور حول الفرد وليس الجماعة . ويهدف هذا التفكير إلى تقديم النصائح المتعلقة بالحياة اليومية ... غير أنه اوجد تفكيراً إجتماعياً يهتم بما يسمى بالجماعات الأولية كالعشيرة والجيرة والقرية . ويتميز هذا التفكير الإجتماعى بالطابع التقليدى المحافظ فلم يتكلم عن التقدم الإجتماعى ورأيه عن التغير الإجتماعى إنما ينشأ عن قوى ما وراء الطبيعة .

الفصل الرابع

الفكر الإجتماعى عند اليونان

سنناقش فى هذا الفصل العقلية اليونانية وبخاصة كريت وهى مركزة الحضارة اليونانية .

كل هذه الحضارات البرونزية تحمل آثاراً من التأثير المصرى – وهى حضارة أسمى بكثير من حضارة الغزاه أهل الشمال على الأقل لفترة خمسة قرون بعد الهجرات العظيمة. وهؤلاء الغزاة البرابرة حطموا الحضارة التى وجدوها لأنهم لا يستطيعون مجاراتها لمدة خمسمائة عام على الأقل .

وحتى الألف الرابعة قبل الميلاد استمر سكان اليونان فى العصر البرونزى فيما عدا سكان جزيرة كريت إذ يبدو أنهم أستخدموا البرنز فى عصر مبكر . وإزدياد إتصالهم بمصر وفنيقيا جعلت حضارة سكان كريت تنمو بسرعة متزايدة وفى عام ٢٠٠٠ – ٢٢٠٠ قبل الميلاد تقريباً تجمعت القرى الكريتيه وكونت دولة ملكية قوية فى نفس الفترة تقريباً التى ازدهرت فيها المملكة الوسطى فى مصر بملوكها الأثنى عشر قد شيد الملك قصراً قوياً وجمع الجزية من الأمراء وإزدادت العلاقة البحريه مع مصر وازدهرت التجارة . واستمر إزدهار الدولة فترة من الزمان حتى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد حيث ساد الجزيرة خراب شامل وظلت الحضارة الكريتية قائمة فترة تتراوح بين ٢٥ عام ومائة عام ثم ظهرت فجأة بصورة فاقت كثيراً ما كانت عليه .

لقد نشبت حروب كثيرة بين أثينا وفارس . ولم يستطيع النظام القديم فى أثينا أن يقف فى مواجهة الآثار التخريبية التى سببتها الحروب الفارسية ، والهزيمة على يد أهل أسبرطه فأنهارت الحياة فى المدينة اليونانية . ولذلك وعدت حكومة الأغنياء بإصلاح أوضاع الدولة القديمة ، وبدأت النزعة النفعية فى الأنتشار ولم يستطع أحد الوقوف أمامها . ففى مجال الخدمة العسكرية كان الضباط الأثينيون لا يراعون مصالح وطنهم بل يعملون فى

خدمة السلطات الأجنبية كلما أمكنهم ذلك رعاية لمصالحهم الخاصة . كما أصبح الرجال في أثينا يتقاضون الرشاوى فى كل ناحية من نواحى الحياة . فقد أنهارت جدران الدولة ، ولم يبق شئ ليحميهم من أنفسهم إلا خطة جديدة للتنظيم الإجتماعى وفقاً لأسس رشيده.

وترجع الإتجاهات المميزة للفكر الإجتماعى اليونانى إلى البيئة الإجتماعية التى عاش فيها اليونانيون . فلم تتكون دولة مركزية واحدة بل وجدت عدة دول ، فقد كان لكل مدينة دولتها الخاصة بها تعرف باسم دولة المدينة وكانت كل دولة تتمتع بالحرية .

وأنعكست هذه الحرية على معظم التفكير الإغريقى فى الظواهر الإجتماعية ونظراً لوجود سكان المدينة معاً . وهى مدينة صغيرة الحجم فقد أدى هذا إلى وجود درجة عالية من التشابه العقلى بين المواطنين ، ثم أدى هذا التشابه إلى وجود الشعور الجماعى الذى كان الأساس لكثير من النظريات اليوتوبية أو المثالية عن المجتمع . تلك النظريات التى ظهرت فى كتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب السياسة لأرسطو . وبالرغم من مطالبة الأثنين بتكوين إمبراطورية تجارية ، إلا أن الحضارة اليونانية كانت على أساس اقتصاد زراعى ، وهذا الاعتماد على الزراعة كان من العوامل التى أدت إلى وجود نظرة استاتيكية ثابتة عن العمليات الإجتماعية . ولذلك يصف أرسطو الدولة المثلى بأنها الدولة التى تتصف بالثبات والاستقرار . وبالرغم من ثراء الفكر الإغريقى ، إلا أنه لم يشتمل إلا على القليل من الدراسات الأستقرائية عن الظواهر الإجتماعية ويستثنى من ذلك أرسطو، أى أن المفكرين اليونان اتبعوا المنهج الأستدلالى ، ولم يتضح المنهج الأستقرائى إلا فى منتصف القرن السابع عشر على يد بعض الفلاسفة والعلماء الطبيعيين . ثم حاول بعض علماء الإجتماع إتباع هذا المنهج إبتداء من كونت فى القرن الثامن عشر .

يحتل التفكير الإجتماعى عند الأغريق القدماء مكاناً بارزاً فى تاريخ التفكير الإجتماعى الإنسانى ، فقد حددوا – بصورة ما – المواقف والأتجاهات لكثير من المدارس الإجتماعية فى العصور الحديثة ... فنجد أن أفلاطون مثلاً يمثل الاتجاه المخطط الذى لا يؤمن بالعشوائية أو التلقائية كما يمثل أرسطو الاتجاه الدينامى . وأن إختلافات البيئة والبناء الديموجرافى يفرض عليها صفة التنوع وتقسيم العمل والتعقد الوظيفى .

ولاشك أن الفكر اليونانى قد التقى واحتك بالفكر الشرقى القديم وخاصة الفكر البابلى الآشورى والفكر الفارسى والفكر الفرعونى . فالإتصال الحضارى والأحتكاك الثقافى له دوره فى توجيه الفكر الإجتماعى نحو الموضوعية . فقد اتصلت الحضارة اليونانية بالحضارات الأخرى نتيجة لهجرة بعض القبائل من الشعوب المجاورة ونتيجة الحروب اليونانية وأصحاب الحضارات الشرقية القديمة وبخاصة البابلية والآشورية والفارسية . فضلاً عن حركة التبادل التجارى التى راجت فى تلك المرحلة خاصة وأن اليونانيين كانوا يشتغلون بالتجارة بين الشعوب المختلفة . فضلاً عن زيادة بعض الكهنة اليونان وفلاسفتها لمصر القديمة وزيادتهم لمعابدها والتقائهم مع الكهنة الذين كانوا يقومون بوظيفة التعليم ، فقد زار هيرودت وغيره مصر ونقلوا عنها كثيراً من المعارف . وهذا الإتصال والإحتكاك أدى إلى إنتقال قيم وعادات جديدة على المجتمع اليونانى .

غير أن أهم ما فى التفكير الإجتماعى اليونانى :

١ – سقراط .

٢ – السوفسطائيون .

٣ – افلاطون .

٤ – أرسطو .

لم يصل إلينا سجلات كثيرة من أقوال سقراط حتى أننا لا نستطيع أن نجزم بأن له نظرية عن الدولة . ويبدو من المعقول الأفتراض بأنه اتبع السوفسطائيين فى إدخال مفهوم قانون الطبيعة الذى يختلف عن قانون الإنسان ويعارضه وبذلك يكون قد فتح الطريق أمام خط من التفكير أصبح أساساً خصباً لنظريات الأصول السياسية والإجتماعية . ولا نستطيع أن نجزم بأنه قال شيئاً عن هذا الأحتمال وعلى أى حال فإن المتفق عليه أن إسهام سقراط فى علم السياسة يتمثل فى إصراره على وضع تعريفات دقيقة للمصطلحات التى نستخدمها كما أن المتفق عليه أنه لم يضع أية نظريات مطرده فى أى مجال من مجالات الفكر . فقد كانت أعظم تبعه له أنه يسخر من المذاهب التى أنتشرت فى عصره . وقد لخصت جانبيت هذه النقطة بقولها :

"لا يوجد شئ علمى فى المناقشات السياسية لسقراط . فقد كانت السياسة عنده فوق كل الأعتبارات العملية والأخلاقية . فقد تناول واجبات الحياة العامة وواجبات الحياة الخاصة أيضاً ، دون أن يضع لنا أية نظرية مجردة على الأطلاق" .

أفلاطون : (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) :

اتخذ التفكير اليونانى الطابع اليوتوبى المثالى ويبدأ هذا التفكير عند سقراط ويبلغ ذروته عند أفلاطون ، وقد تأثر أفلاطون فى تفكيره بطبيعة الأزمة الإجتماعية التى كان يعانيها المجتمع الأثينى فى ذلك الحين ، وما أحدثه السوفسطائيون من هدم القيم لذلك المجتمع ولذلك أنطوى تفكير أفلاطون على تصورات ذهنية وتطلعات مثالية مستوحاه إلى حد كبير من مجتمع أسبرطه وتجسيد كل ذلك فى المدينة الفاضلة التى خططها أفلاطون ، وكأنها تمثل الهروب من الواقع القيمى والأخلاقى فى أثينا .

ولم يكن الفكر الإجتماعى اليونانى يميز بين الدولة والمجتمع فليست المدينة سوى أكبر وحدة سياسية .

وليس معنى هذا أن الفكر الإجتماعى كان بعيداً عن تحليل دقيق لمظاهر الحياة الإجتماعية وخاصة ما اتصل منها بالقيم الجديدة التى نشأت نتيجة إحتكاك المجتمع الأغريقى بالحضارات الأخرى - المجاورة وخاصة الحضارتين الفرعونية والبابلية الآشورية.

يعتبر أفلاطون أشهر أتباع سقراط وكانت أول مؤلفاته عن المجتمع والدولة ولعل أشهر كتاباته هو كتاب الجمهورية أو المدينة الفاضلة والكتاب لا يعالج المسائل التى عالجها بصورة عامية ، بل أنه صورها بطريقة مثالية وكانت الدولة مثالية لدرجة أن أفلاطون نفسه كان يشك فى إمكان تطبيقها وإخراجها إلى حيز الواقع . وقد أختلفت الآراء حول الأهمية العلمية لكتاب لجمهورية . وقد أشارا بولوك Pollock "أعتقد أن جمهورية أفلاطون ، يجب إعتبارها ممارسة براقة للخيال الفلسفى وليس أسهاماً فى علم السياسة" .

وقد يكون نيتلشيب Nettleship أكثر تقديراً فقد قال : كل الجمهورية ليست سوى محاولة لتفسير طبيعةالإنسان تفسيراً سيكولوجيا . وتعتمد طريقة الكتاب على مسلمة أساسية وهى أن كل نظم المجتمع الطبقى والقانون ، والدين ، والفن وغير ذلك ،

هى النتائج النهائية لروح الإنسان ، وهو مبدأ داخلى للحياة يعمل من تلقاء نفسه فى هذه الأشكال الخارجية" .

وأفلاطون فى كتابه الجمهورية يفسر أصل المجتمع (أو الدولة كما كان يستخدم المصطلح) وترجع جذور المجتمع إلى حاجات البشر المتباينة وما ينشأ عن ذلك من تقسيم للعمل وليست هذه صورة تاريخية إذا يحدثنا نيتشليب "بأنها منطقية لأصل المجتمع وبهذا المعنى فهى توضح لنا إشباع تلك الحاجات ، تبعاً لترتيبها المنطقى" .

وتتكون الدولة – فى رأى أفلاطون – من التكامل بين الأشخاص الذين لهم حاجات والأشخاص الذين يشبعون تلك الحاجات فهى تتكون من الأشخاص الذين ينتمون إلى هاتين الفئتين أما الحاجات الأولية للإنسان فهى : الغذاء ، المأوى والملبس . وأما الشروط الأساسية فى تباين سكان المدينة الأولى فهو أن أحد السكان يجب أن يكون فلاحاً ، والثانى بناءاً ، والثالث نساجاً ، والرابع صانع أحذية . ويرى أفلاطون أن كل فكرة فى المجتمع – فى فترته الأولى – يجب أن تتضمن أربعة أو خمسة من الرجال . وبذلك يقوم المجتمع على مبدأ تقسيم العمل فهو ضرورى لوجود المجتمع ، كما أن له قيمة فى إنتاج سلع أفضل من السلع التى يستطيع رجل واحد إنتاجها إذا اضطر إلى إشباع كل حاجاته. ويعنى هذا أن تقسيم العمل أوجد التخصص ، وهذا بالطبع ماهر فى أداء عمله .

ثم رأى أفلاطون ضرورة إضافة طبقات أخرى فى تكوين الدولة . فإن الفلاح والبناء والنساج وصانع الأحذية كلهم يحتاجون إلى أدوات ولذلك لابد من وجود النجار والحداد لصناعة هذه الأدوات . وقد رأى لمكان أن تكون المدينة فى موضع معين بحيث تصل إلى درجة الأكتفاء الذاتى ولكى يتحقق ذلك لابد من وجود طبقة التجار الذين يشترون من المدن المجاورة كل ما تحتاج إليه مدينتهم . وينبغى ألا يذهب التجار صفر اليدين بل ينبغى أن يأخذون معهم إنتاج مدينتهم . ليبدلوه مع إنتاج المدن الأخرى . ومعنى هذا أن الأنتاج يجب أن يكون كبيراً ويفيض عن حاجات سكان المدينة ، ولكى تتحقق الزيادة فى الإنتاج ينبغى أن تزداد أعداد الفلاحين والصناع . وقد يضطر التجار إلى عبور البحار ولذلك يحتاجون إلى سفن وبحارة . ثم وصل أفلاطون فى تفكيره إلى أن التجارة لا تحقق فى المدينة إلا إذا وجد السوق حيث يشتغل تجار الجملة الذين يمدون التجار المحليين بكل ما يحتاجون إليه من سلع . وأخيراً فهناك طبقة الخدم – والعبيد والحاجة إليهم ماسه كى تكون الدولة طبيعية وكاملة .

وبعد أن وصف أفلاطون أصل الدولة أخذ فى وصف الحياة البدائية كما يتصورها وهذا الوصف يشبه وصف روسو Rousseau للإنسان فى حالة الطبيعة . غير أن التشابه بين الوصفين يرجع إلى عدم وجود القمع فى الحياة البدائية وما ينشأ عن ذلك من سعادة فالتشابه ليس فى المسائل الخارجية . ويمكن القول أن صورة أفلاطون تمثل مرحلة من الحضارة أكثر تقدماً من صورة روسو .

ولكن أفلاطون لم يكن راضياً عن تصوره للدولة المثالية لأن الإنسان فى تلك الدولة يكتفى بإشباع حاجاته المادية ولذلك فإن الدولة غير مناسبة فهى مجرد "مدينة للخنازير" ولتحقيق الكمال ينبغى وجود قدر من الكماليات . التى يتطلب بدورها عدداً آخر من الطبقات تقوم بالخدمات الضرورية لأشباع الحاجات الجديدة . وتتمثل هذه الطبقات فى : الغوانى النحاتين ، الرسامين ، الموسيقيين ، الشعراء ، الراقصات ، الحلاقين ، الطباخين ، الممرضات ، الأطباء . وهذا العدد الضخم من الحاجات يتطلب إتساع حدود الدولة .

إن تصور أفلاطون للدولة المثالية ، بما يتميز به من شيوعية تنشر بين طبقة الحكام وطبقة الجند ، لاشك أنه تصور يوتوبى قائم على الأعتقاد بأن الإنسان قادر على التحكم فى علاقاته الإجتماعية وأن التنظيم الإجتماعى ليس سوى فن وليس نمواً مستمراً ، وهذا هو شأن كل اليوتوبيات التى جاءت بعد أفلاطون . أن – توجيه اللوم شئ سهل كما أن توجيه الأنتقاد إلى مفكر مثل أفلاطون يكسب الإنسان شهرة واسعة كما أنه يملأ النفس بالغرور غير أن أفلاطون نفسه كان يدرى تماماً عدم أمكان تنفيذ خطته . وفى كتابه القوانين Laws وضع له المثالية الثانية أو أفضل دولة ممكنة فى الظروق القائمة وقد سمح بالملكية الخاصة والحياة العائلية ولكنه أصر بشكل غريب على أن يكون عدد سكان الدولة ٥,٠٤٠ نسمه وعلى الحكام واجب محدد هو تنظيم عدد السكان والحرص على إستمرار هذه الحالة دون أدنى تغيير .

وعلى أى حال فقد خطط أفلاطون البناء الإجتماعى الأمثل للمدينة الفاضلة . ويرتكز هذا البناء على ثلاث طبقات رئيسية مرتبة بعضها فوق بعض . لكل طبقة وظائفها الخاصة بها . الطبقة العليا تتكون من الحكام الذين يتولون سياسة أمور الدولة العليا ثم يليها طبقة الجند التى تدافع عن أفراد المجتمع وتحمى مصالح الطبقة الحاكمة . ثم تأتى طبقة العمال من الفلاحين والصناع وتعمل هذه الطبقة على توفير حاجات الشعب .

وتقوم السلطة العليا بعدة وظائف كما تتوزع السلطات على النحو التالى :

١ – حراس الدستور : ويتولون المحافظة على الدستور .

٢ – مجلس الشيوخ : يتولى حكم المدينة بالأتفاق مع حراس الدستور .

٣ – الكهنـــــــة : يسهرون على رعاية المعابد والقيام بالطقوس الدينية .

٤ – حكيم التربيـــة : يهيمن على شئون التربية الأخلاقية .

٥ – رجـال القضاء : والحاكم يحكمون وفقاً لقوانين العقـل التى لا تتعـارض معها القوانين الآلهية التى ترعى إلى تحقيق العدالة والفضيلة.

ولكى يتحقق التساند والتجانس بين مكونات البناء الإجتماعى . ينبغى أن تتحلى كـل طبقة بفضيلة من الفضائل حتى تؤدى وظيفتها بطريقة طيبــة . ففضيلـة الطبقـة الدنيـا هـى الأحتمال والتعفف .. وينبغى أن يتحقق لطبقة الجند فضيلة الشجاعة ، أما الطبقة الحاكمة ففضيلتها الحكمة .

غير أن من الصعب تحقيق هذه الفضائل إلا بعد تغيير أسلوب التنشئة الإجتماعية حتـى ينتج الفلاحون والعمال ما يحتاج إليه المجتمع ويستهلكون قدراً ضئيلاً منه ويتركون الباقى لطبقة الجند وطبقة الحكام . ولا يتحقق ذلك إلا إذا ترك لهم ملكية ما فى حوزتهم ولكـن الملكية الفردية حرمت على الجنود والحكام كما حرم عليهم تكوين الأسرة لأن كثيراً مـن المشاكل تنشأ بسبب ملكية المال والنساء والأطفال ويسمح للجنود بزواج المتعة على أن تتولى الدولة تربية أطفالهم ويتفرغ الجنود لمهامهم القتالية .

واهتـم أفلاطـون بشـكل الحكومـة ، لأن الحكومة إذا كـانت صالحة فتسـتقر المدينـة وتستكمل بناءها . فالحكومة الأرستقراطية هى الحكومة المثالية فهـى تتـألف مـن نخبة مـن

العلماء الفلاسفة وتعمل على تحقيق التوافق بين المنظمات والكمال فى العلاقات .. ولكن المدينة لا تصل إلى هذا الشكل بطريقة عشوائية أو تلقائية بل عن طريق التجربة السياسية. وتبدأ هذه التجربة عادة بالشكل الدكتاتورى الحربى الذى يتولى السلطة فيه مجموعة من طبقة الجنود ، ويبدأ الإستقلال الإقتصادى من جانب التجار واصحاب رؤوس الأموال ، ومن ثم يسود الظلم الإجتماعى فينشأ شكل جديد من الحكم يطلق عليه أفلاطون الأوليجاركية وهو يقابل حكم الأقلية وينتهى هذا الصراع إلى تغير سياسى يؤدى إلى حكم الشعب أو ذلك الشكل السياسى المعروف بالشكل الديمقراطى أو حكم الغوغاء . واهتم أفلاطون بمسألة السكان ورأى أن يكون عدد السكان على قدر حاجة الدولة ومعنى هذا أنه لابد من تنظيم الزواج . ولا مانع لديه من إعدام من زاد عن حاجة الدولة، حتى تحتفظ الدولة بحجمها الأمثل ، ولا جريمة لأعدام الطفل المشوه أو ناقص التركيب . وينبغى إعدام الأفراد المعتوهين وعديمى النفع فاسدى الأخلاق والمرضى ممن لا يرجى شفاؤهم كما ينبغى على الدولة العمل على تحسين النسل . فيوضع أطفال الدولة فى مكان مشترك يتولى رعايتهم وتغذيتهم نساء متخصصات حتى يمكن تحطيم الأطار العائلى .

ومهما كانت آراء أفلاطون بعيدة عن الواقعية أو غير مألوفة ، إلا أنها تعكس بالضرورة الواقع الإجتماعى والسياسى والإقتصادى الذى كان يعيش فيه ويمثل هذا التفكير الهروب من ذلك الواقع ومحاولة وضع تخطيط مثالى للتنظيم الإجتماعى المرتكز على أساس فلسفى أخلاقى .

السوفسطائيون :

نشأة جماعة السوفسطائيين فى وقت كان المجتمع اليونانى قد أصابه الكثير من الضعف ويعتبر السفسطائيون من رواد الفكر الإجتماعى الجدلى فى صورته البدائية ومن أوائل من أتجهوا إتجاهاً واقعياً نقدياً فى معالجة الموضوعات الإجتماعية ولقد أحرقت كتبهم ومؤلفاتهم ولكن بعض أفكارهم وصلتنا عن طريق خصومهم وهذه الآراء تعكس دورهم

فى توجيه الفكر نحو الأهتمام بالوضع الإجتماعى ، وقد عارضوا الآراء الفلسفية التى ترتكز على الأهتمام بالكليات المجردة والتعميمات المطلقة والقضايا والمسلمات الثابتة . كما انتقدوا التفسيرات الأسطورية الشائعة وسخروا منها . ونادوا بضرورة الأهتمام بالفرد والمواطن وحقوقه فيجب أن يكون المواطن محور إهتمام الدولة وهاجموا القول بأن الفرد مجرد تابع للجماعة .وناقشوا القيم الإجتماعية المجردة فالعدل – فى نظرهم – ليس فكرة مجردة يمكن الوصول إليها بالتفكير المنطقى ، ولكنه لابد أن يتحقق فى الواقع ، فهو نتيجة الممارسة الإجتماعية ولكنهم جعلوا الفرد مقياس كل شئ فما يراه عدلاً فهو عدل وما يراه حقاً فهو حق ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى نبذهم فكرة الحقيقة المطلقة وكأنهم يريدون نشر مبدأ النسبية الإجتماعية . ومهاجمة المنطق الذى كان يتذرع به أصحاب المصالح والمزايا المكتسبة للدفاع عن مكاسبهم الإجتماعية . والواقع أن السوفسطائيين هاجموا بحماس وقوة مظاهر عدم المساواة الإجتماعية وأشكال الظلم الإجتماعى التى أنتشرت فى المجتمع اليونانى . وكان ذلك واضحاً فى مهاجمتهم لنظام الرق والعبودية وفكرة المواطنة اليونانية التى ترتكز على النظرة العنصرية ، أى أنهم حاولوا هدم البناء الطبقى فى المجتمع الإغريقى .

كما هاجم السوفسطائيون القانون الأخلاقى والتشريع الدينى ونادوا بالقانون الطبيعى الذى يعمل على تحقيق العدالة الإجتماعية ... فالسعادة فى القانون الطبيعى هى فى العدول من اللذة إلى المنفعة .

أرسطو : (٣٢٢ – ٣٨٤ ق . م) :

تلميذ أفلاطون ومعارضه ، وأستاذ الإسكندر الأكبر من أشهر شخصيات التاريخ كله ليس بسبب معرفته وما انجزه فحسب بل وأيضاً بسبب تأثيره الواسع على أجيال متعاقبة ولاشك أنه لا يوجد فيلسوف فى العصور القديمة له مثل تأثير أرسطو على الأجيال التى جاءت بعده . ويدعى العلماء أن كتابات أرسطو من بين الكتابات القليلة التى نافست الإنجيل فى النفوذ والتأثير أكثر من ثلاثة قرون خلال سيادة الفلسفة المدرسية على التفكير الإنسانى .

وأهم تباين بين أفلاطون وأرسطو يتمثل فى المنهج الذى أتبعه كل منهما فالأول كان خيالياً فى المحل الأول واتبع المنهج الإستدلالى فى حين أرسطو كان يبنى كتاباته على ما أجراه من ملاحظات وكان إستقرائياً وعندما يقارن بولوك Pollock بين المفكرين العظيمين يشير إلى أننا لم تعد نتأثر بسحر أسلوب أفلاطون وعظمة خياله وأفلاطون كمن يجلس فى بالون يطير به فى الهواء ويأخذ فكرة عن بعض الأشياء على سطح الأرض يراها من خلال الضباب . فى حين أن أرسطو يعمل على سطح الأرض ويشق الطريق بنفسه والإنسان يعجب بعقله فى تناول الموضوع ويشير بكير وبارنز إلى أنه على الرغم من صدق تعميمات بولوك وخاصة عند دراسة النظريات الإجتماعية لأفلاطون فى كتابه القوانين أكثر كمالاً وأكثر دقة من كتابات أرسطو .

ويعتبر أرسطو رائد نظرية التطور إلا أنه لم يقدم لنا شيئاً عن أصل الإنسان . عندما درس أصل الدولة والمجتمع قدم لنا نظرية ولكن عندما قدم لنا كتابة السياسة لم يستهله بموضوعات مجردة ثم يوضح هذه الموضوعات بالإشارة إلى الظروف القائمة بل تناول مباشرة مناقشة تحليلة لأصل الدولة ومنفعتها فقد أشار إلى أنه من أجل إستمرار العنصر البشرى يجب أن يتحد الجنسان فهذا هو المطلب الأول لأستمرار الدولة فى الوجود ثم يأتى بعد ذلك العلاقة الضرورية بين السيد والعبد "هى ضرورية لبقاء كل منهما" وهكذا فهناك علاقتان أساسيتان الأولى هى علاقة الزوج بزوجته والثانية هى القائمة على الطبيعة لتوفير الحاجات اليومية للإنسان .

وتصور أرسطو لطبيعة علاقات الأسرة مسألة جديرة بالتأمل فإن نظرته إلى العلاقات بين الجنسين تختلف كثيراً عن نظرة أفلاطون كما تتمثل فى كتاب "الجمهورية" . فبدلاً من شيوعية النساء نشاهد المساواة بين الجنسين ، ومشاركة المرأة فى نفس المهن التى يزاولها الرجل. وقد وصف أرسطو أسرة قائمة على زواج الرجل الواحد من امرأة واحدة حيث يبدو الأب هو الحاكم المطلق وحيث يعاقب الزانى بالحرمان من حقوق المواطنة . وفضلاً عن ذلك ينبغى ألا تشارك النساء فى نفس مهن الرجال لأن مكان المرأة فى البيت تدير الشئون المنزلية . وكان أرسطو من أشد المؤمنين بالحق الطبيعى للعبودية . فالأشخاص الموهوبين بالمعرفة والفراسة جعلتهم الطبيعة حكاماً ، وهؤلاء الذين لا يملكون

سوى القوة الجسدية مع قليل من التفكير عليهم القيام بالخدمات . وليس هذا مجرد نوع من التأمل أو التفكير بل كان مقتنعاً اقتناعاً تاماً بالبيانات الإمبريقية المتوافرة عن الصدق العملى لهذه الفكرة .

وقد تعجب لهذه الصراحة من جانب أرسطو وهو يقول أن بعض الناس خلقوا كى يكونوا حكاماً وأناساً آخرين خلقوا كى يكونوا محكومين . وعلى أى حال فإن هذه الآراء أكثر صدقاً من رأى بعض المفكرين فى القرن الثامن عشر الذين أشاروا إلى المساواة البيولوجية الطبيعية بين كل البشر .

فالاسرة هى أول إرتباط بين الناس ، ويلى ذلك القرية التى تنشأ عن اتحاد عدد من الأسر . والقرية أكثر كمالاً من الأسرة لأنها لا تكتفى بتوفير الحاجات اليومية للإنسان والقرية فى نظر أرسطو – فى صورتها الطبيعية ، تجمع تكوينى خالص وهى مستمدة من الأسرة .

والدولة هى الشكل الثالث من المجتمع وهى أسمى الأشكال الثلاث وتنشأ الدولة من اتحاد عدد من القرى تحقق الأكتفاء الذاتى لنفسها . ولاشك أن أصل الدولة يرجع إلى توفير الضرورات الفيزيقة للحياة ، ولكنها استمرت فى الوجود لأنها وفرت الظروف المناسبة للتطور الكامل للطبيعة الإجتماعية للإنسان . وتساءل أرسطو عن السبب وأجاب عن هذا السؤال إجابة تقع فى جوهر علم الإجتماع وهو أن "الإنسان كائن إجتماعى بالطبيعة" ، وليست الدولة خلقاً مصطنعاً بل تنشأ بصورة طبيعية عن حاجات الإنسان وميوله الطبيعية . والحيوانات كلها كائنات طبيعيية ولكن الإنسان كائن إجتماعى بسبب قوة النطق أو الكلام ، وهذه المسألة بدأ علماء الإجتماع المحدثين وبخاصة بعد ميد Mead فى إستثمارها إلى أقصى حد مستطاع . وإذا كان المجتمع ضرورياً للتطور الكامل للإنسان فهو من الناحية المنطقية سابق على الفرد وأهم منه وسابق فى الزمن على وجود الشخصية المتطورة . وبالتالى فإن أى شخص قادر على أن يعيش فى عزلة تامة عن المجتمع أو يريد تحقيق ذلك هو شخص شاذ غير طبيعى . وفى الجزء الأخير من معالجة أصل الدولة يبدو أن أرسطو يعتبر الدولة بمثابة التنظيم السياسى للمجتمع وميز بين المفهومين ويبدو أنه يعتقد فى وجود مرحلة سابقة على ظهور الدولة ، وأن الدولة ضرورية كى

يمكن التغلب على الشروط الطبيعية للإنسان . ولكن إذا أخذنا كتاباته ككل يبدو أنه لا يعتقد فى أن الدولة ثمرة النمو العضوى .

ومن الناحية التاريخية فإن آراء أرسطو عن الأصول الإجتماعية **Social genesis** ليست كلية كما أنها ليست دقيقة بمقارنتها بآراء أفلاطون كما جاءت فى كتابة القوانين. كما أنه فشل فى تحليل تقسيم العمل الإجتماعى بنفس الدقة التى ظهرت عند أفلاطون فى كتابة "الجمهورية" .

وقد أخطأ "أرسطو" عندما أشار إلى أن المجتمع سابق على الفرد ولو أن كثيراً من المفكرين يشيرون إلى أن المسألة تتعلق بالأسبقية المنطقية ولكن الرأى الصحيح . هو أن المجتمع ليس سابقاً على الفرد ، كما أن الفرد ليس سابقاً على المجتمع فكل منهما مكمل للآخر وضرورى لكماله .

وفى الكتاب الرابع من كتاب السياسة ، يشير أرسطو فى عبارة واضحة إلى النظرية العضوية عن المجتمع ، وهى نظرية شاعت فى التاريخ وصاغها صياغة دقيقة عدد من العلماء خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ومن أشهر هؤلاء العلماء : سبنسر **Spenser** وشافل **Schaffle** وليلينفلد **Lilienfled** ووورمز **Worms** ولكن أرسطو لم يعقد المماثلة بالتفصيل بين المجتمع الكائن العضوى ومع ذلك فمن الواضح أنه فهم المبدأ فهما كاملاً . ويتكون المجتمع من عدة نظم . نظام الإستمرار فى الوجود ويتمثل فى الصناع والرعاه والعمل . ونظام التوزيع ويتمثل فى التجاره ونظام الأدارة والحكم ويتمثل فى المحاربين والمشرعين والحكام والقضاة . ولم يهتم أرسطو بتطور هذه النظم وتباينها ولم يدرك أن كل فئة تستطيع أن تتجمع فى طبقة واحدة كما لم يدرك أن التقدم يأتى من تباين البناء والوظيفة ولكنه على أى حال قدم لنا تخطيطاً أولياً للنظرية .

وفى الكتابين الثامن والتاسع من الأخلاقيات النيكومية **Nicomacheak ethics** وجد أرسطو الأساس الذاتى الدولة والمجتمع ، ويتمثل هذا فى الأساس فى الصداقة وقد نشأ هذه الفكرة من فكرة أخرى كان قد أشار إليها فى مستهل كتابة السياسة وهى أن الإنسان كائن إجتماعى بالطبيعة .

ويسبب ميل الإنسان للمعاشرة وهو ميل كامن يريد أن يكون له أصدقاء ولا يشعر بالسعادة إلا مع أصدقائه . فالمجتمع أو الرابطة هى الحافز للصداقة . والصدقة هى الصورة الملموسة للطبيعة الإجتماعية للإنسان .

وأرسطو كأفلاطون قدم لنا بناء لدولة مثالية ويكفى هنا الإشارة إلى أهم أفكاره . فهو يرى أن الدولة يجب أن تكون دولة مدينة صغيرة حيث ينبغى أن يعرف المواطنون كل منهم الآخر . وهو فى هذه الناحية مثل أفلاطون . وعلى الرغم من أن أرسطو هاجم الشيوعية فهناك عدة آثار منها فى دولته المثالية ، ومثال ذلك الوجبات المشتركة . وهذه الصورة عن الدولة بأفقها اليونانى المحدود وبأستقرارها وسكونها لا تهم عالم السياسة الحديث . والواقع كما يثير بيورى **Bury** أن المدن اليونانية لو كانت وفق نموذج أرسطو لما فعلت شيء من أجل الحضارة اليونانية .

نظريات أرسطو :

كان أرسطو أعظم الكتاب تأثيراً فى الفكر الإجتماعى بسبب عمق فهمه للعمليات الإجتماعية وبسبب تأثيره القوى على الفكر فى العصور الوسطى . وقد فاق أفلاطون فى كثير من النواحى من ناحية دراسته لأساس العلاقات السياسية والإجتماعية . وقد أدخل أرسطو المنهج الإمبيريقى المطرد فى دراسة الظواهر الإجتماعية فى حين أن أفلاطون اعتمد تماماً على الطريقة التأملية وأهم من ذلك تأكيده المباشر والقاطع بأن الإنسان كائن إجتماعى بطبعه . وهذا المبدأ لو اتبعه المفكرون الذين جاءوا بعده لما وقعوا فى الخطأ القائل بأن المجتمع قام من خلال التعاقد الإجتماعى الأصيل ذلك التعاقد القائم على مبدأ الوعى بالمصلحة الذاتية .

وأوضح أرسطو تفسيراً للتطور الإجتماعى على أساس المنفعة وهو توسيع للطبيعة الإجتماعية ومجال الرغبة والحاجة إلى المجتمع . ومن هذه الناحية تقدم على أفلاطون ، الذى دافع عن التفسير النفعى والإقتصادى إلى درجة استبعد الأساس الوراثى ولو أن تفسير أرسطو أكثر شمولاً وأحسن توازناً ، ولكن تحليله كان أقل كمالاً من تحليل أفلاطون وبخاصة عند تحليل الأسس الإقتصادية للمجتمع . ولكن مشروعه عن الدولة المثالية لم

يكن أفضل من مشروع أفلاطون لأنهما يونانيان تحكمهما المثل اليونانية عن الشمول والإقليمية والمحلية كما أن أفكار الإستقرار الإجتماعى هو الغاية التى يجب أن تسعى إليها نظم المجتمع وأن المجتمع سابق على الفرد من ناحية .

أما الأساس الذاتى للمجتمع فهو عند أرسطو كامن فى الصداقة هو فى تحليلة للصداقة يقترب من نظرية جيد نجز Conscousness of Kind وأخيراً قدم لنا أرسطو عبارة أكثر كمالاً عن المماثلة العضوية من عبارة أفلاطون الذى اقتصر على تأكيد الوحدة العضوية .

وأخيراً نذكر أهم المبادئ التى أنطوى عليها تفكير أرسطو :

١ - الدولة هى الأطار السياسى للمدينة وهى تنظيم حياة المواطنين تبعاً للقانون .

٢ - وجوهر القانون العدالة التى لا تتحقق إلا من خلال تطبيق القانون الأخلاقى الذى يرتكز حول الفضيلة والمساواة الإجتماعية . والمساواة نوعان : مساواة توزيعه بحيث يتناول الأفراد أجورهم حسب كفاءاتهم . ومساواة تعويضية بحيث يتساوى جميع الأفراد أمام القانون . وينبثق من خلال تفكير أرسطو بعض القضايا الأساسية التى حددت فيما بعد مواقف عدد كبير من المدارس الإجتماعية ومن بين هذه القضايا .

١ - التأكيد على دينامية المجتمع وإعتبار التغير شرطاً أساسياً لحياة المجتمعات الإنسانية فهو يرفض فكرة الثبات المطلق ويأخذ بفكرة النسبية الزمانية والمكانية . فليس هناك نظام إجتماعى مثالى يمكن تطبيقه على كل الشعوب .

٢ - الإهتمام بدراسة البناء الإجتماعى من الناحية المورفولوجية ومن الناحية الوظيفية ويتألف البناء الإجتماعى من ست طبقات ولكل منها واجباته ووظيفتها الإجتماعية . فطبقة الزراع تنتج المواد الغذائية . وطبقة الصناع تزاول الصناعات اليدوية . وطبقة الجند ترد العدوان . وطبقة الأثرياء تمد الدولة برأس المال لإشباع الحاجات . وطبقة الكهنوت تشرف على العبادة ، وطبقة القضاة والحكام تتولى القضاء بين الناس ولابد أن تتحقق لكل سمات خلقية تؤهلها لأداء وظيفتها الإجتماعية . كما لابد من تحقيق التساند بين هذه الطبقات حتى يتحقق التوازن بين المواطنبن الأحرار وبين العبيد .

٣ - إبرار أهمية التوازن وكذلك التغير الديمجرافى فيرى أرسطو أن البناء الإجتماعى يظل متوازناً بحكم التساند الطبقى ، ولكن هذا التوازن قد يختل أو يتحطم عن طريق التغير الديمجرافى . فقد ينمو أحد أحياء المدينة أو يزداد عدد أعضاء إحدى الطبقات عن العدد الذى يكفل إحداث التوازن بين هذا الحى والأحياء الأخرى أو بين هذه الطبقة والطبقات الأخرى أو قد يزداد مجموع السكان زيادة ملحوظة بحيث لا يستطيع دستور المدينة مواجهة متطلبات هذا العدد لأن كل دستور يتفق مع عدد معين من السكان. وكل عدد من السكان يستلزم شكلاً سياسياً معيناً أو دستوراً خاصاً حتى تتحقق المساواة الإجتماعية والإقتصادية . ومعنى هذا أن يكون عدد السكان متوازناً يضمن المواطنون الرخاء المادى ويضمن الحكام التقدم الفكرى لتكون الحكومة صالحة . ولا يمانع أرسطو فى أن تلجأ الدولة إلى إباحة الإجهاض إذا إزداد عدد السكان عن متطلبات الرخاء والسعادة

ومن العوامل التى تؤدى إلى ضعف البناء الإجتماعى العامل البيئى الجغرافى فعندما تحول البيئة الجغرافية دون تحقيق الوحدة الإجتماعية والسياسية لسكان المدينة كأن يفصل بين أجواء المدينة جبل أو نهر فلا يتحقق التوافق التام بين الأنظمة الإجتماعية لكل أجزاء المدينة وبذلك يصعب الإحتفاظ بمقومات الوحدة .

غير أن فساد نظام الحكم يعتبر أهم عامل من العوامل القلق الإجتماعية .

فهناك أشكال صالحة للحكم تتمثل فى رأيه فى حكومة الفرد الفاضل العادل وحكومة الصفوة الفاضلة العادلة ثم حكومة الجمهورية أو حكومة الطبقة الوسطى . ولكن هذه الأشكال الصالحة قد تتعرض للفساد وتتحول إلى حكومات فاسدة تقابلها حكومة الطغيان (الفرد المستبد) والحكومة الأوليجاركية (حكم الأغنياء) والديمقراطية الزائفة (حكم الغوغاء) .

٥ - تفسير وتحليل الثورات الإجتماعية التى كانت منتشرة فى مجتمع اليونان فى تلك المرحلة على أسس سياسية وإقتصادية وسلالية وديموجرافية وبيئية .

المدرسة الرواقية :

هى مدرسة فلسفية أسسها "زينون" فى النصف الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد واستمرت حتى نهاية الإمبرطورية الرومانية الغربية واتفق الرواقيون مع أرسطو من

ناحية أن الإنسان لابد أن يكون إجتماعياً حتى تنمو شخصيته وأن يؤدى واجباته نحو زملائه . وكان مفهوم المجتمع عند الرواقيين أوسع من تصور المجتمع عند المدارس الإغريقية الأخرى إذ كان المجتمع عند هذه المدارس إما إغريقيا أو بربريا . أما الرواقين فكانوا يعتقدون فى المجتمع العالمى ، والمواطن العالمى ، من ثم كانوا يؤمنون بالآخرة الإنسانية أو الأخوة بين الصفوة على الأقل .

المدرسة الأبيقورية : (٤٣٢ – ٢٧٠ ق.م) :

أسسها "أبيقور" ، وكان تصورها عن المجتمع يخالف تصور المجتمع عند الرواقية . إذ يدرك كل فرد مصلحته الذاتية ، ولكنه لا يستطيع تحقيق مصالحة إلا إذا كون علاقات إجتماعية مع غيره . وقد أدت هذه الفكرة إلى ظهور فكرة أخرى هى العقد الإجتماعى والمجتمع يمر بمرحلة سابقة على الإجتماع وهى مرحلة لها مساوئ كثيرة ولذلك يفكر الأفراد فى إنشاء علاقات إجتماعية . أى أنهم يتعاقدون على المعيشة والتعاون لضمان تحقيق مصالحهم . وهم فى هذه الناحية يختلفون عن أفلاطون وأرسطو .

وإذا قارنا بين الرواقين والأبيقوريين نجد أن الأبيقوريين نظرتهم فردية والرواقيون نزعتهم إجتماعية ، الأبيقوريون ماديون إذ يتخذون من المصالح المادية أساساً للعلاقات الإجتماعية . فى حين أن الرواقين يتميزون بالنزعة العقلية الروحية[1] .

---

(١) انظر : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية – لجنة التأليف والترجمة . القاهرة ١٩٥٨ .

د . أحمد الخشاب مرجع سابق .

د . حسن سعفان مرجع سابق .

الفصل الخامس

الفكر الإجتماعى

فى العصور الوسطى

١ – العصور الوسطى الأولى :

الإتجاهات الرئيسية :

نشأ الفكر الإجتماعى فى العصور الوسطى بفضل اتحاد عدة عناصر معاً فقد أتى من الرومان المفهوم الذى عبر عنه سينيكا Seneca تعبيراً واضحاً ، وهو طبيعة النظم السياسية الإصطناعية Artificial .

نتيجة عاملين : الأول هو الإنحدار من عصر بدائى ذهنى ، والثانى هو العقد مع الحكومة . كما أتى من الرومان مبادئ القوانين التى تساند أفكار الإستبداد الدنيوى فضلاً عن أفكار السيادة الشعبية والموافقة الشعبية بإعتبارها الأساس الذى تقوم عليه القوة الأمبراطورية .

وأتت من المسيحية فكرة سقوط الإنسان التى اتفقت مع المفهوم الوثنى عن الوراثة أو الإنحدار من عصر ذهبى ، كما جاء من المسيحية مبدأ طبيعية السلطة السياسية المقدسة ، وعقيدة الإستقلال الذاتى للحياة الروحية وقد أسهمت الدولة الجديدة فى أوربا الشمالية بفكرة أن السلطة السياسية ليست سوى سلطة مفوضة لكل المجتمع ، وبذلك تتفق مع النظرية القانونية للمحامين الرومان بالنسبة للسيادة الشعبية كما تؤكدها وتساندها كما أن المفهوم المسيحى على الأساس عن الأخوة الإنسانية والوحدة العضوية بين البلاد المسيحية ، فضلاً عن التباين الدقيق بين طبقات العصور الوسطى التى تتألف من

رجال الدين والنبلاء والنواب والعمال - كل هذا مال إلى إحياء وجهة النظر الأفلاطونية عن وحدة المجتمع العضوية القائمة على أساس تقسيم العمل الوظيفى . كما أن المدرسين فى العصور الوسطى المتأخرة عملوا على إحياء أعمال أرسطو ولذلك أدخلوا إهتمام أرسطو بالنزعة الإجتماعية الطبيعية عند الإنسان ، ومعنى هذا أن المجتمع هو إنتاج طبيعى ولذلك فالحكومة طبيعية وضرورية كى يظل المجتمع ثابتاً ومستقراً .

وكانت المشكلة السياسية العملية هى تقسيم السلطة بين الكنيسة والدولة وقد أعد الآباء الأراضى لقيام المعركة لقبولهم مبدأ كل من بول Poul وبيتر Peter أن الحكومة نظام مقدس . ولكن الكنيسة أيضاً مقدسة ، ومن ثم نشأت مشكلة تقرير أولوية أحد هذين النظامين فكل منهما له قوة مقدسة ولا نهائية . وإزداد الموقف تعقيداً لأن الكنيسة دخلت النظام الإقطاعى كما أن لها دوراً كبيراً فى الأرض فى حين أن الحكام الدنيويين تضايقو من إستئثار رجال الكنيسة برموز السلطتين الدينية والدنيوية . وقد استغرق كتابة فى هذه الفترة مسألة خلق علاقات التوافق بين السلطتين الدنيوية والدينية ، وقد بلغ هذا الإهتمام ذروته فى النظرية المتطرفة من الدولة كما تمثل فى كتاب جون أوف سالسبورى John of salisbury المسمى بوليكراتيكس Polyoraticus وكما تتمثل فى الدفاع الحربى عن السلطة الدنيوية من جانب كل من بيير دابوا Piere Dabois ومارسيلو أوف بادوا Marsiglio of padus .

ولم تسهم اليقظة الفكرية أثناء القرن التاسع إسهاماً واضحاً فى النظرية الإجتماعية والسياسية . فقد قبل الكتاب الفكرة التقليدية العامة عن حالة الطبيعية البدائية المليئة بالإضطرابات والقلاقل الأمر الذى أدى إلى قيام السلطة السياسية لأعادة النظام والقضاء على القلاقل والإضطرابات .

وقد حدثت تطورات هامة خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر فقد آتى إحياء القانون الرومانى بنظريات السيادة الشعبية والإستبداد الدنيوى . كما أن المبدأ القانونى ساند وأيد مفهوم آباء الكنيسة من العصر الذهبى البدائى تلاه "السقوط" الأمر الذى جعل التنظيم السياسى أمراً ضرورياً لحفظ النظام .

وقد دافع القسيس فيرى (١٠٨٥ م) عن جريجورى السابع وخلال ذلك الدفاع أعلن- لأول مرة فى تاريخ أوربا الغربية - مبدأ العقد الحكومى كأساس تقوم عليه السلطة السياسة ، وأعتبر الإستبداد أو الطغيان خرقاً للعقد الأصلى الذى له الفضل فى تعيين الحاكم فى منصبه . ولذلك فإن إستبداد الحاكم معناه خرق العقد ، الأمر الذى يجعل الثورة أو العصيان أمراً مشروعاً .

وقد عرض جون أوف ساليسيورى وهو رمز من رجال الدين الإنجليز (١١٥ - ١١٨٠م) فى كتابه بوليكرانيكس نظرية الدولة عرضاً كاملاً وقد زاد من تأكد دونية الأمير عن القسيس واعتبر الحاكم أو الأمير ضرورياً كى يقمع الشرور البشرية . كما قدم لنا المماثلة بين جسم الفرد والدولة وافترض أن المجتمع يضم جمعات أو طبقات تقابل الروح والعقل والقلب والأعضاء الأخرى عند الإنسان . الأمير هو رأس الجسم السياسى والقسيس هو روحه أما النائب فهو القلب ، وأما القضاه والإداريون فهم أعضاء الحس ، والجنود والضباط يمثلون الأيدى أما الموظفون فهم المعدة والأمعاء ، وأخيراً فإن الفلاحين يمثلون الأقدام .

وقد سبق أن تنبأ كل من أفلاطون وأرسطو بهذه الفكرة وعقد "الأكوينى" هذه المماثلة العضوية ثم ظهرت فى عبارة أكثر وضوحاً عند كل من مارشيلوا أوف بادوا ونيكولاس أوف كويسا Nicholas of cusa وقد نالت الفكرة كل "الأستحسان" والقبول بسبب توافقها مع النظام الإقطاعى فى العصور الوسطى ، الذى يتكون من الأمراء الحكام ، ورئيس الأساقفة والنبلاء والنواب والفلاحين وغيرهم وقد لخص الأستاذ راندال J . H . Randall الطبيعة الوظيفية لمفهوم المجتمع بقوله :

"أن الظاهرة الأساسية فى حضارة العصور الوسطى هى الإنسجام الكامل بين الفرد والمجتمع الذى يتكون من تسلسل كبير من الأوامر الصاعدة ، حيث لكل إنسان وظيفة حددها له الرب والتزمات معترف بها ، كما أن له حقوقه وامتيازاته . وكل إنسان عضو فى إقطاعية أو جماعة وكل إقطاعية عضو ضرورى فى الكل يؤدى وظيفة خاصة به ، كما أنها فى نفس الوقت - ضرورية للحياة الكلية للبلاد المسيحية . ولا يستطيع الإنسان تحقيق أغراضه إلا من خلال إشتراكه فى حياة الجماعة ، ولكن المجتمع لا يستطيع توفير

الموقف المناسب للحياة الكلية لإعضائه الأفراد إلا من خلال مساعدة كل فرد من أفراد وكل جماعة من جماعاته ويوجد جميع الناس من أجل الآخرين ويرتبطون معاً بمجموعة من الإلتزامات المتشابكة .

وهذه النظرة الوظيفية للمجتمع أكتسبت شهرة فى عصرنا بفضل الإقتصاديين الأحرار مثل تامنى R . H . Tamney وقد بدأ الفكر السياسى والإجتماعى يتضح فى القرن الثالث عشر مع أعمال البرتوس ماجنوس Albertus Magnas (١٢٠٦ - ١٢٠٨) ، الذى حاول التعبير عن النظرة المسيحية تعبيراً فلسفياً فأستعان بمنطق أرسطو وفلسفته وأدخل سياسة أرسطو عندما تناول المشاكل السياسية كما مهد الطريق للعمل الذى أنجزه تلميذه توماس الأكوينى Thomads Aquioas (١٢٢٥ - ١٢٧٤) الذى كان كتابه نظام الحكم الأساسى De regimine principum أعظم المؤلفات التى ظهرت خلال العصور الوسطى فى الفكر الإجتماعى والسياسى .

وكفيلسوف مدرسى قبل تومس الأكوينى مبدأ أرسطو عن النزعة الإجتماعية الفطرية عند الإنسان كما أخذ بتحليله للأجهزة السياسية وأشار إلى أن المجتمع المدنى يتضمن ثلاثة أفكار رئيسية هى : الأولى : أن الإنسان إجتماعى بطبعه . الثانية يضم المجتمع مجموعة من الأغراض والمصالح ولا يستطيع الإنسان تحقيق مصالحة بصورة أفضل إلا من خلال العلاقات الإجتماعية الثالثة : أن القوة العليا ضرورية لتوجيه المجتمع من أجل المصلحة المشتركة ، ومساعدة الحاكم على إستخدام قدراته الفائقة من أجل منفعة المجتمع. كما أن أصل الدولة كامن فى الحاكم الأبوى الطبيعى الذى يمارسه رؤساء الأسر . ومن أجل خلق تنظيم سياسى كبير يتسم بالكفاءة والفاعلية لابد من تفويض هذه السلطات لرئيس عام من خلال التعاقد .

ويبرهن "الأكوينى" على روحه المدرسية الصادقة بأن مزج العقيدة المسيحية بالنظرية الأرسطية وأشار إلى أن السلطة السياسية تأتى كلية من الآله وحده ، ولو أنه قد يفوضها إلى الشعب ومعنى ذلك أن القوة السياسية أدنى من القوة الدينية وقد أنكر "الأكوينى" أن دولة المدينة هى التنظيم السياسى المثالى واتخذ خطوة فى اتجاه ماكيافيللى ، بأن أعلن موافقته وتفضيله لدولة الأقليم الذى يتكون من عدة مدن كما إتبع جون أوف سالسبسيورى فى تخطيطه للماثلة العضوية للدولة

ونظريات "الأكوينى" عن أثر الطقس على المجتمع والثقافة تجسد الفكر التقليدى العام فى العصور الكلاسيكية كما هو واضح فى كتابات أرسطو ولكن "الأكوينى" أضاف من عنده تعليقات أصلية ويقضى هذا الفكر التقليدى بأن شعوب المناطق المتوسطة أو ذات الطقس المعتدل هى الشعوب المتفرقة وتستخدم الفكرة لتعظيم شأن أوربا المسيحية .

"دانتى" Dante (١٢٦٥ - ١٣٢١) وضع دانتى نظريات السياسة فى خدمة مشروع من أجل إقامة النظام الملكى الأوربى العالمى ومن أجل التنسيق بين سلطتى الكنيسة والدولة وقد وضع هذا المشروع كى يضع حداً للنزاع العالمى لكى يستطيع المجتمع تحقيق وظيفتة بأن يجعل الإنسان قادراً على ممارسة قدراته الفكرية فى التأمل والتفكير دون معوقات ولقد دافع "بيردوابوا وماريشيلوا" على تفوق الدولة وسموها من حيث أن الأول دافع عن سمو الكنيسة ولاشك كتاب "دانتى" يمثل عبارة مكتوبة على قبر الماضى السياسى ولكنه لا ينبئ "بشئ" عن المستقبل . وقد حطمت البروتستانية الكنيسة العالمية كما أن النزعة القومية أضرت بكل المفاهيم الأمبراطورية مثل النظام العالمى .

وفى كتابه المشهور المسمى المأدبة The Bannuet عرض دانتى تفسيراً هاماً للتقليد كعملية إجتماعية وبذلك تنبأ العالم الفرنسى "جبرائيل تارد" وعند مناقشة طريقة نشأة الشهرة والسمعة السيئة أوضح الطريق الذى يسير فيه تقليد بنسبة هندسية وكيف ينحرف عن طريقه .

٣ - العصور الوسطى المتأخرة :

لقد حدثت تغيرات فى المجتمع الأوربى بين عام ١٣٠٠م وعام ١٦٠٠م أحدث عدة تطورات أخرى فى النظرية السياسية وهناك عدة أفكار سادت التفكير فى العصر الوسيط من أهمها مذهب ما فوق الطبيعة عند المسيحية ونظام الأقطاع والمثل الأمبراطورية فضلاً على الصراع بين الكنيسة والدولة . ودارت المناقشات حول : نشأة الملكيات ، وقوة الدولة المتزايدة وقيام الحكومة اليناببية .

أما الهجوم الأول على أفكار العصر الوسيط فيتمثل فى نقد المبدأ القائل بتفوق الكنيسة على الدولة ، كما أثار الشك إزاء فكرة "دانتى" عن التنسيق بين سلطات ووظائف الكنيسة العالمية والإمبراطورية .

وعاد القانون الرومانى فى الظهور عام ١٠٨٥ تقريباً ليشجع مبدأ تفوق الدولة على الكنيسة وعلى كل النظم الأخرى . وقد وقف خبراء القانون الرومانى إلى جانب الملوك والأباطرة فى إدعاءاتهم الدنيوية وأعلنوا أن قوة الدولة مطلقة وتستطيع القضاء على معارضة أية جماعة بداخلها . وكان بيير ديبوا (١٢٥٥ - ١٣٢١) قد دافع فى كتابه De recupertione terre عن فيليب العادل فى صراعه ضد البابا بونيفاس الثامن Pope Boniface VIII وقد حذر البابا من التدخل فى الشئون الدنيوية لأن مثل هذا التدخل - فى الماضى كلف المسيحين ملكية الأرض المقدسة . وقد وضع برنامجاً للاصلاح الإجتماعى ، ومن بين ما طالب به أعادة بناء الحكومة الفرنسية وإصلاح القانون وتسهيل تحقيق العدل وأن يكون عملياً ومصادرة ممتلكات الكنيسة وتجديد الجيش الفرنسى وإستخدام التحكيم الدولى لإنهاء الخلافات بين الدول ويعتبر "دى بوا" الشخصية الراديكالية الإجتماعية الرئيسية فى العصور الوسطى .

مارشيلو أوف بادوا (١٢٧٠ - ١٣٤٢) :

يعتبر كتابه Befensor pacis من أهم الكتب التى صدرت فى العصر الوسيط وهاجم الكنيسة الكاثوليكية بروح وعصرية "فولتير" ، وهاجم بقوة المبدأ الكاثوليكى الأساسى المتعلق بأولوية القديس بطرس . وأعلن أن القساوسة ليسوا سوى قساوسة للخلاص ، ولقد أنكر إمتثالهم لقوة العفو عن الذنوب كما أنكر عليهم أى حق للتدخل فى الشئون الدنيوية . وكان مارشيلو أقل أصالة من ناحية الفكر الإجتماعى والسياسى وفسر المجتمع بالقول أن المجتمع ضرورى لنوع الإنسان كى يستطيع القيام بالأنشطة التعاونية الضرورية للوجود الجماعى والراحة الإنسانية . ولكن المجتمع غير المنظم قد يصل إلى حالة الإسراف . ولما كانت الحكومة المدنية لا غنى عنها فإن الناس يفوضونها السلطة السياسية لأنهم يجمعون فى أيديهم دائماً قوة السيادة وكان مارشيلوا أول من دافع عن السيادة الشعبية والحكومة النيابية وهى من معتقدات السياسة العضوية . كما أكد مارشيلوا الوحدة العضوية والطبيعية الوظيفية للمجتمع بتوزيع المماثلة العضوية بطريقة شاملة . وأن المهن تتوافق مع أعضاء الجسم وقد فصل مارشيلوا بين السياسة

والدين وبذلك يكون قد سار خطوة فى إنجاز العمل الذى قام به ميكافيللى .

نيقولا أوف كوسا Nicholas of cuasa (١٤٠٤ - ١٤٦٤) قدم نيكولا كتاباً بعنوان De concordantia catholica حيث عرض أعظم تطور ظهر فى المماثلة الوظيفية بين الكائن العضوى الفرد وبين الدولة . وقد أدخل أيضاً مفهوم علم الأمراض السياسية ، وبذلك يكون قد أحيا العباره الأفلاطونية التى تميز الحاكم بأنه طبيب الدولة المريضة فينبغي عليه أن يصف لأمراض الدولة أحسن البضائع التى يمكن أن يقدمها المفكرون - الإجتماعيون فى الماضى والحاضر . كما أكد فترة الموافقة الشعبية كأساس ترتكز عليه السلطة السياسية ، كما وضع مشروعاً أصيلاً للحكومة النيابية[1] .

---

(١) بول ماسون أو رسيل - الفلسفة فى الشرق ترجمة محمد يوسف موسى دار المعارف - القاهرة ١٩٧٤ .

الفصل السادس

الفكر الإجتماعى عند المسلمين

يعتبر القرآن الكريم - فى نظر المسلمين - مصدر العقيدة وهو ينبوع الآراء والأحكام والمعاملات الشرعية . وهو دليل عمل وأسلوب لأحداث التغيير الإجتماعى والأرتقاء بالمجتمع الإنسانى فضلاً عن أفراده . لأنه يتناول موضوعات إجتماعية مختلفة ويتناول كل ما يطرأ على المجتمع من المشاكل .

والإسلام يخضع الجماعات الإنسانية كلها لنظام موحد ويرتفع فوق التناقضات السلالية والعنصرية والعرفية . ففى إطار الوحدة الدينية يمكن أن تتعدد العادات وتتنوع - التقاليد ويمكن أن نجحد أجناساً ولهجات وسلالات - وطبائع مختلفة تربطها ديانة واحدة أى أن المجتمع الإنسانى ينتقل من مرحلة الجزئيات المختلفة إلى مرحلة التجانس والإطار الفكرى الموحد ونستطيع أن نتأمل هذه الآيات القرآنية الكريمة : والأحاديث النبوية الشريفة قال تعالى :

﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ .

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

﴿لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى﴾ .

﴿كلكم لآدم وآدم من تراب﴾ .

ولم ينتشر الإسلام كديانة فحسب بل كأسلوب فكرى . وقد حدد القرآن الكريم مبادئ مرنة لإستمرار المجتمع الإسلامى بأن يتوائم دائماً مع الظروف المتغيرة .

ولاشك أن المصادر الأساسية للفكر الإسلامى هى :

١ - القرآن الكريم .

٢ – الأحاديث النبوية الشريفة : يفسر الحديث ما أجمله القرآن الكريم ويعطى صوره تطبيقية لما أنطوى عليه من مبادئ إجتماعية .

٣ – الإجتهاد : نظراً للإتساع الإقليمى والجغرافى للمجتمع الإسلامى تظهر بعض المشكلات ، التى تتطلب إبداء الرأى فيها .

وإلى جانب ذلك خضع المفكرون الإسلاميون لاحضارات آخرى فقد أتصلوا بالحضارات الأخرى وأطلعوا على ما خلقته من تراث إنسانى ثم قدموا من جانبهم تفكيراً أثرى الفكر الإنسانى بصفة عامة . وسنتناول هنا الفارابى ابن سينا ، ابن ماجه وابن خلدون .

الفارابى

أطلق على الفارابى لقب المعلم الثانى لأنه تبنى كثيراً من أراء أرسطو إلى جانب تأثيره بالأفلاطونية الشرقية التى ظهرت على يد أفلوطين الأسكندرى – ويمثل الفارابى الاتجاه اليويتوبى فى الفكر الإسلامى عندما نشر كتابه "أراء أهل المدينة الفاضلة" وسنعرض هنا– لأهم أرائه فى هذا الموضوع .

١ – طبيعة المجتمع :

يأخذ الفارابى بفكرة أرسطو القائلة بأن الإنسان مدنى بالطبع وأن الإجتماع ضرورى لإشباع الحاجات الضرورية للأفراد ، فضلاً على أنه يشير إلى أهمية تقسيم العمل والتخصص الإجتماعى كأساس لبناء المجتمع . فهو يقول أن الإنسان لا يستطيع وحده إشباع كل حاجاته بل يحتاج إلى قوم يقدم له كل واحد منهم شيئاً مما يحتاج إليه ولا يتأتى هذا إلا بإجتماعات كثيرة .

٢ – أشكال المجتمع الإنسانى :

قسم القارابى أشكال المجتمع الإنسانى إلى إجتماعات إنسانية كاملة وإجتماعات إنسانية غير كاملة فيتكون من ثلاث مستويات من المجتمعات هى الدنيا الوسطى – فالعظمى هى إجتماعات الجماعة كلها على المستوى الإنسانى فى المعمورة ، والصغرى

هى إجتماع أهل المدينة ، أما الوسطى فهى إجتماع أهل الأمة الواحدة . أما عن المجتمعات غير الكاملة فيصنفها إلى ثلاث مراتب : أكملها هى إجتماع أهل القرية أو أهل الحلة (جزء من المدينة) ويليها إجتماع أهل السكة وأخيراً إجتماع أهل المنزل .

ويبدو أن أساس هذا التقسيم هو مدى ما يمكن أن يتحقق فى نطاقه من مظاهر التعاون فى إشباع الحاجات ومدى حاجة بعضها لبعض . فجماعة المنزل فى حاجة إلى جماعة القرية وجماعة القرية أو أهل الحلة فى حاجة إلى جماعة المدينة فالقرية خادمة لأنها تمدها بالحاجات الضرورية . كذلك فإن إجتماع السكة جزء من إجتماع الحلة وإجتماع الحلة جزء من إجتماع المدينة وهى تمثل حاجة الجزء إلى الكل . إذا استطاعت المدينة تكوين وحدة سياسية دخلت المدينة نطاق الجماعات الكاملة فى أولى مراحلها . وإذا تعاونت عدة مدن وأخذت شكل الأمة أصبحت أعلى مرتبة من ناحية الكمال . ولاشك أن الشكل الأمثل هو إجتماع العالم فى وحدة سياسية تحت سيطرة سلطة واحدة .

ثم يركز الفارابى على النواحى المثالية التى ينبغى أن تتحقق كى تصبح هذه الأشكال فاضلة ومقياس ذلك هو مدى ما تحققه لأفرادها من سعادة ، فالإجتماع الفاضل هو الذى يتعاون فيه الأفراد من أجل السعادة والأمة الفاضلة التى تتعاون مدنها فى سبيل السعادة .

وأخيراً المدينة الفاضلة هى المدينة التى يتعاون أفرادها فى سبيل إنجاز الأمور التى تتحقق بها سعادتهم وذلك بأن يختص كل فرد من أفرادها بالعمل الذى يتقنه .

٣ – البناء الإجتماعى للمدينة الفاضلة :

الفارابى يشبه المجتمع بالكائن الحى فهو يقول أن المدينة الفاضلة تشبه الجسد التام الصحيح الذى يتعاون أعضاؤه فى سبيل حياة الكائن الحى والمحافظة عليه . وكما أن أعضاء الجسم مختلفة ومتفاوته ويعتبر القلب أهمها ومصدر حياتها كذلك يعتبر الرئيس مصدر حياة مدينته ودعامة نظمها وسبيل سعادتها . وكما أن القوى العضوية تتفاوت فى الأهمية ، كذلك وظائف المدينة وهيئاتها تتفاوت فى القدرة وفى المهنة .

فالبناء الإجتماعى للمدينة الفاضلة يتكون من الرئيس الذى يمثل القمة ثم أعضاء تقرب مراتبهم من ذلك الرئيس ، وقد جبل كل منهم على قوة فيه بالطبع . وفى الرتبة

التالية يأتى أعضاء مزودون بملكت تعقل بها ما تبتغيه الطبقة العليا . ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء . وهكذا تتدرج المراتب حتى تصل إلى طبقة من الناس يخدمون ويكونون هم الأسفلون .

وتبدو الآراء المثالية عند الفارابى فى معالجته للشروط الواجب توافرها فى رئيس المدينة الفاضلة كما يذكر عوامل تماسك وترابط المجتمع : الإنحدار من أب واحد ، - المصاهرة ، وحدة الجنس والسلالة ، الإشتراك فى اللغة والإشتراك فى التناسل وتشبه الخلق والشيم الطبيعية والإشتراك فى البيئة الطبيعية .

ويؤخذ على الفارابى تأثره بالنزعة الذاتية وإبتعاده عن الناحية الموضوعية فهو قد ركز جهده على ما ينبغى أن يكون عليه شئون الإجتماع وتأثر تأثراً كبيراً بالفلسفة وغالى فى إصدار الأحكام التقيمية عند إجراء دراساته التحليلة المقارنة .

ابن سينا

جاءت معظم أراء ابن سينا فى كتابه "الشفاء" وتستند على بعض أراء أفلاطون والفارابى ولكنها تعكس أيضاً شيئاً من واقع العصر الذى عاش فيه .

١ - طبيعة المجتمع :

تختلف حياة الإنسان عن حياة الحيوان ، فالأخير يحيا حياة غريزية طبيعية . أما الإنسان فله حاجات كثيرة متنوعة وهذا الأمر يتطلب أن يقوم المجتمع على تعاون الأفراد وهذا التعاون لا يتم إلا بتفاوت كفاءات الأفراد . والتفاوت بالذات حكمة آلهية . ومعنى هذا أن طبيعة المجتمع الإنسانى تقوم على التفاوت فى القدرات والتنوع فى التخصصات وتقسيم العمل الإجتماعى والتعاون المشترك .

٢ - التفاضل الإجتماعى :

أن تفاضل الناس من حيث الأموال والآراء منه أنعم الله بها عليهم فى سبيل حفظ بقائهم وازدهار حياتهم ، فلو كانوا متساوين فى الأموال والأقدار كان ذلك أدى إلى

فنائهم وإنقراضهم ، والحقيقة أن الناس لو كانوا كلهم ملوكاً لما استطاعوا أن يتعاونوا فى أعمالهم وأن يتفاهموا فيما بينهم . ويحاول كل منهم أن يستبد بالسلطة وأن يحتكر الجاه لنفسه . وينشأ عن ذلك نشوب النزاعات بينهم كذلك الحال إذا جاءوا جميعاً فقراء . أما إذا كانوا مختلفين فى أقدارهم أدى هذا إلى إستمرار بقائهم وإقتناع كل منهم بحظه . فالغنى المحروم من التفكير والأدب قانع بما له فالمال عند الغنى خير من الأدب والتفكير . والأدب والتفكير عند الفقير خير من المال والمتاع وهكذا .

يوضح كل هذا أن الحياة لا تقوم على التشابه وإنما تقوم على التباين والإختلاف والتفاضل .

٣ – وجوه الدخل والإنفاق :

يحتاج الناس جميعاً إلى القوت وإقتنائه . ولكنهم يختلفون فى وجوه إكتسابه وقد حدد ابن سينا وجوه كسب الرزق منها ما يأتى عن طريق الوراثة ومنها ما يأتى عن طريق كسب. ويجب أن يأتى الرزق من وجوه معنية ، فهى تؤدى بالمرء إلى صلاحة وإستقامة حياته أما إذا خالف هذه الوجوه فهى تؤدى به إلى الفساد وإضطراب الحياة . فيجب أن يأتى الرزق من الإشتغال بصناعة ، وأن يعرق الإنسان ويبذل جهداً واضحاً . وألا يكون ماله محرماً كأن يكون قد سرقه أو غش إنسان آخر . فالرزق القليل الذى يأتى من طريق حلال خير من الكسب الكثير المسروق أو الذى يأتى عن طريق الغش .

ثم حدد ابن سينا وجوه الإنفاق . فهناك وجوه واجبه وأخرى غير واجبه . والوجوه الواجبة قسمان : قسم يتعلق بنفقات الإنسان فى أمور معاشه وقسم يتعلق بأعمال البر .

٤ – الدولة والمدينة :

الدولة عند ابن سينا هى المدينة التى تؤلف دولة كالحال عند الفلاسفة اليونان . ويبدو أنه تأثر بالفارابى فى هذه الناحية فى مدينة الفاضلة ولكنه يختلف عنه فى ناحيتين :
الأولى أن المدينة عند الفارابى مثالية فى حين أن مدينة ابن سينا أقرب إلى الواقعية أما الناحية الثانية فهى أن الفارابى يميل إلى جانب الفلسفة فى حين أن ابن سينا يغلب عليه جانبى الدين والإجتماع .

ويقول ابن سينا أن المدينة مجتمع من الناس يقوم على تعاون الأفراد فالإنسان لا يحسن المعيشة إذا انفرد وحده – فلا يستطيع إنسان أن يتولى تدبير أهله من غير شريك يعاونه على إشباع ضروريات حاجته لأن الإنسان كائن إجتماعى كما قال أرسطو .

ثم يقسم طبقات المدينة إلى ثلاث هم المديرون والصناع والحفظة . وينبغى تنظيم هذه الفئات تنظيماً متسلسلاً ، فينصب الحاكم فى كل فئة منها رئيساً وهو بدوره ينصب تحته رؤساء إلى أن ينتهى إلى أغنياء الناس فلا يكون فى المدينة إنسان معطل ليس له مقام محدد بل يكون لكل منهم منفعة .

ويعالج مشكلة البطالة بنفى العاطلين من المدينة أو حملهم على إصطناع الحرف وعلى الحاكم أن يردعهم وإذا لم يرتدعوا نفاهم من الأرض :

ومصادر مال المدينة ثلاثة : الضرائب على الثمرات والنتاج ، والغرامات التى تفرض عقوبة على المجرمين والغنائم .

وقد نبه ابن سينا إلى بعض المشكلات الإجتماعية التى تبدوا أنها كانت منتشرة فى عصره كالقمار واللصوصية والقوادة والربا . كما أشار إلى بلتين يهدمان أركان المدينة وهما الزنا واللواط لأنهما يؤديان إلى الإستغناء عن الزواج . ويعلى ابن سينا من أمر الزواج ويشترط فيه أن يكون ثابت الدعائم فلا تقع التفرقة بين الزوجين لأقل سبب .

ابن باجه

ما يهمنا من ابن باجه هو آراءه الإجتماعية التى جاءت فى كتابه "تدبير المتوحد" وفيه يتحدث عن المدينة الفاضلة على نحو ما نجده عند الفارابى كما يعالج الإنسان الفاضل ، والإنسان المتوحش (هو الإنسان الفاضل الذى يعيش فى مدينة غير فاضلة) .

١ – علاقة الفرد بالمجتمع :

الإنسان كائن سياسى وهو مدنى بالطبع ، فهو يعيش فى جماعة ويعتبر الإعتزال شراً إذا كان الفرد يحب اعزلة لذاتها أما إذا كان الإعتزال يهدف تجنب الفاسدين من أهل مجتمعه فهو من دروب الخير .

والدولة هى أكبر وحدة إجتماعية ويعبر عنها بالمدينة على نحو ما نجده عند الفارابى وقد تكون المدينة فاضلة وقد تكون المدينة فاسدة ويعبر عن سياسة المدينة أو الدولة بمصالح "تدبير المدينة" والتدبير الفاضل هو التدبير الكامل الذى يشمل مدن العالم كله . فهو يعتقد أن نظام العالم كامل محكم لا خلل فيه .

٢ – المدينة الفاضلة :

تقوم المدينة الفاضلة على أساس الفضيلة التى تحكم العلاقات الإجتماعية بين الأفراد بحيث لا تحتاج المدينة إلى أطباء وقضاة لأن أهل المدينة الفاضلة متحابون ولا يقع بينهم نزاعاً وبذلك لا يحتاجون إلى قاض . كما أن غذائهم يكون وفيراً ونظيفاً بحيث لا تصيبهم أمراض وعلى ذلك لا يحتاجون إلى أطباء والبدن الحسن يستطيع أن يعتنى بنفسه فتبرأ جروحه حتى العظيمة منها من تلقاء نفسها .

وفى المدينة الفاضلة يؤدى كل شخص العمل الذى يجيده ، وهو يقصد بأفعاله نفع المدينة الإنسان الفاضل جزء من المدينة الفاضلة .

٣ – المدن الناقصة :

المدن الناقصة عند ابن باجه أربعة ولكنه لم يطلق عليها أسماء . وكلما كانت هذه المدن أبعد عن الكمال كانت الحاجة فيها إلى الأطباء والقضاة . وميزة أهل المدن الأربع أنهم يجعلون لأنفسهم ملذات جسمية ما لم يكونوا جاهلين لا يعرفون ماذا يريدون .

٤ – تدبير المتوحد :

قد يعيش فى المدينة غير الفاضلة شخص أو أكثر من الفضائل ويسميهم ابن باجه "بالنوابت" وقد استمد هذه التسمية من تشبيهم بالنبات الذى ينمو من تلقاء نفسه بين أنواع الزروع لأن آراءهم تخالف آراء الذين يعيشون معهم . وهؤلاء النوابت من الفلاسفة والقضاء والأطباء ، ووجودهم ضرورى فى المدينة غير الفاضلة حتى ينتفع الأهالى برعايتهم وهدايتهم ولكنهم يعيشون فى المدينة غرباء – وإذا كثر عدد النواب فى المدينة الفاضلة ساعدوا على أن تصبح مدينة فاضلة .

وينقسم السلوك الإنسانى إلى قسمين : بهيمى وإنسانى - فالسلوك البهيمى هو السلوك الذى ينبنى على الحاجة أو الإنفصال ، فإذا اندفع الفرد إلى الطعام بدافع الجوع المحض فإنه يعمل عملاً بهيمياً لأن الحيوان يقوم على الطعام والشراب بدافع الغريزة وحدها ، وليس له غاية وراء الشبع . ولكن غاية الإنسان هو القيام بالأعمال العقلية كذلك السلوك القائم على الإنفعال فإذا ضرب البغل ضرباً شديداً فأنه يرفس ، وهو لا يفكر نتيجة فعله ، فالفعل ليس سوى إنفعالاً طبيعياً يؤدى إلى نتيجة لا دخل لارادته فيها، أما إنفعال الإنسان فهو صادر عن الإرادة والعقل ويدرك تماماً نتائج أفعاله .

ولكن الإنسان مختلف عن الحيوان . فالأ،سان مؤلف من جزئين ، جزء عاقل ثم جسد له حاجات ضرورية لابد من إشباعها . ولذلك لا يمكن أن يكون فعل الإنسان محضاً إنسانياً بل يخالطه جزء بهيمى . ففى عملية الطعام فعلاً متميز أن الدافع الطبيعى الموجود عند الحيوان ثم الغاية القصوى المبنية على إرادة عاقلة . فالإنسان يقصد من طعامه حفظ حياته لمتابعة جهوده الإنسانية أو لينال السعادة العقلية أو السعادة الروحانية .

ونلاحظ أن إراء ابن باجه الإجتماعية تنطوى على لمحات من فهم السلوك ولكن شابها لون من التفكير المثالى الخيالى[1] .

ابن خلدون

ولدابن خلدون فى نوفمبر سنة ١٣٣٢ م . من أسرة ترجع إلى أصل يمنى حضرمى استقرت فى الأندلس .ودرس كثير من العلوم التى كانت سائدة فى عصره من تاريخ

(١) انظر : آدم متز ، الحضارة الأسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة الأسلامية "المجلد الثانى" نقله إلى العربية د . محمد عبد الهادى أبو ريده دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٧ .

- سير توماس آرنولد ، تراث الأسلام ، عربه جرجس فتح ا الله ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٢ .

- جوستاف ، فون جرونباوم ، حضارة الأسلام ، نقله إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد وراجعه عبد الحميد العبادى ، مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦ .

وفلسفة وسياسة كما شغل كثيراً من المناصب الحكومية وقام بكثير من الرحلات فى الشرق والغرب وعمل فى السلك السياسى لدى كثير من الأمراء فى الأندلس وبلاد المغرب ثم أقام بمصر منذ سنة ١٣٨٢ م حتى قبيل وفاته سنة ١٤٠٦ م وتولى فيها كثير من الوظائف فى التدريس والقضاء .

وأهم مؤلفات ابن خلدون التى كان لها صدى عميق وتأثير ضخم مقدمته فى التاريخ واسمها بالكامل .

"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر" ، وفى هذا الكتاب يعرض (ابن خلدون) فكرة الأصيل فى إنشاء علم العمران ونظريته فى فلسفة التاريخ .

أولاً : الأسباب التى أدت إلى دراسة ظواهر الإجتماع :

لاحظ (ابن خلدون) أن المؤرخين من قبله قد امتلأت مؤلفاتهم بأخبار لا تحتمل الصدق ولا يمكن أن تتفق مع الواقع فى شئ ودعاه ذلك البحث عن الأسباب التى تقود المؤرخين إلى الخطأ فى كتاباتهم وقد رأى أن من هذه الأسباب ما يأتى :

١ – التشيعات للآراء والمذاهب .

٢ – الذهول عن المقاصد أى عدم معرفة الدوافع الحقيقة لواقعة تاريخية معينة .

٣ – التقرب من ذوى الشأن .

٤ – جهل المؤرخين بالقوانين التى تخضع لها الظواهر الطبيعية .

٥ – جهلهم بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الإجتماع الإنسانى .

والأسباب الثلاثة الأولى تعتبر من الأساليب الذاتية التى لا عذر للمؤرخين فيها ولعل السببين الأخرين من أهم أسباب الخطأ فى الوقائع التاريخية ومرجعة جهل المؤرخين بالقوانين التىتخضع لها الظواهر الطبيعية كالفلك والكمياء والطبيعة والحيوان والنبات ووظائف الأعضاء وما إليها وقد أدى ذلك إلى أن يأتوا فى مؤلفاتهم بأخبار لا تسمح

قوانين الطبيعة بحدوث مثلها وهذا السبب أيضاً لا عذر للمؤرخين فيه لأن العلوم الطبيعية كانت قد وصلت فى عصر (ابن خلدون) إلى درجة كبيرة من النضج وكان علماؤها قد اهتدوا إلى كشف طائفة كبيرة من القوانين التى تخضع لها ظواهر بحوثهم وكان الواجب على المؤرخين أن يلموا النتائج التى انتهى الباحثون إلى كشفها فى العلوم الطبيعية .

أما الجهل بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الإجتماع الإنسانى أو كما سماها (ابن خلدون) واقعات العمران فلهم العذر فيه وذلك أنه إلى عصر ابن خلدون لم تكن هذه القوانين قد اكتشفت بعد لأن ظاهرات العمران لم تدرس من قبل دراسة ترمى إلى بيان طبيعتها والكشف عما تخضع له من قوانين وإنما درست لأغراض أخرى كبيان ما ينبغى أن تكون عليه أو بيان الوسائل المؤدية إلى إصلاحها أو تثبيتها . ولما كان ابن خلدون حريصاً على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة وعلى عصمة المؤرخين من الوقوع فى الخطأ ، فقد قام هو نفسه بإنشاء هذه الدراسات الجديدة لظاهرات الإجتماع وقام على ضوء هذه الدراسة بمحاولة الكشف عن القوانين التى تخضع لها هذه الظاهرات ومن هذه الدراسة يتألف علم جديد سماه ابن خلدون (بعلم العمران) وهى تسمية أدق تعبيراً لأن العمران لا يصدق إلا على المجتمع الإنسانى وقد قرر (ابن خلدون) أنه بحسب معلوماته وما وصل إليه من مؤلفاته لم يسبقه أحد إليه فقد جاء فى مقدمته المشهورة (وكأن هذا العلم مستقل بنفسه ، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشرى والإجتماع الإنسانى ...) وكان ابن خلدون صادقاً فى قوله إلى حد بعيد .

ثانياً : موضوع الدراسة وأغراضها ومناهجها :

وموضوع هذه الدراسة عند (ابن خلدون) هو ما سماه واقعات العمران ، ولم يحاول (ابن خلدون) أن يعرفها أو يبين خواصها وإنما اكتفى بالتمثيل لها فى أول مقدمة (كالتوحش والعصبيات وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش) والأغراض المباشرة لهذه الدراسة عنده ترمى إلى الكشف عن طبيعة الظاهرات الإجتماعية والوصول إلى القوانين التى تخضع لها .

أما منهج الدراسة فهو يرى أن يكون منهجاً علمياً يعتمد على الإستقراء والملاحظة وكما يقول (قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب ، مع من الرحلات وما يراها الباحث فيها رؤية العين ومن المؤلفات التى تعالج الموضوع المدروس) .

ويمكن تحديد خطوات المنهج عند (ابن خلدون) فى النقاط الآتية :

١ - ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة .

٢ - تعقب الظاهرة الواحدة فى تاريخ الشعب الواحد فى مختلف المراحل التاريخية مع تحرى الصدق فى الروايات التاريخية بمطابقتها مع أصول المعادات وما هو متبع فى هذه المجتمعات .

٣- استخدام منطق المقارنة عند مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها نفس المجتمع كما نقارن بينها وبين غيرها فى المجتمعات الأخرى .

٤- استخدام منطق التعليل بعد جميع المواد الأولية المتصلة بالظاهرة وذلك للوصول إلى القوانين العامة التى تحكم الظواهر المختلفة .

فالطريقة التى يبحث بها "ابن خلدون" الخبر ترجع إلى وجوب البحث عما إذا كان الخبر ممكن الحدوث أو أنه غير ممكن لمناقضته للطبائع العمر ان وكان ابن خلدون يرى ضرورة تفسير الظاهرات وتحليلها والإعتماد فيها على المنهج المقارن .

كما يجب قياس الأخبار على طبيعة العمران ودراسة تطور الظاهرات والنظم العمرانية المختلفة حتى يستقيم التاريخ ويستقيم التفكير فى شئون العمران ومعنى ذلك أن (ابن خلدون) أتبع فى بحثه "الطريقة الوضعية التى تعتمد على تمحيص الخبر قبل تقريره وعلى التفسير العلمى فهو يؤمن بالملاحظة وبما هو قائم فعلاً من واقعات العمران ، وهذه نزعة علمية تدل على عظمة هذا المفكر ونفاذ بصيرته بالنسبة لمستوى زمانه حيث لم يكن المفكرون يهتمون بدراسة الظواهر الإجتماعية لذاتها .

ثالثاً : أقسام الدراسة :

يقسم (ابن خلدون) كتابة إلى ستة فصول تستوعب تقريبا كل فروع الظواهر الإجتماعية المتجانسة فى طبيعتها وهذه الأقسام هى :

أ- فى العمران البشرى وأصنافه وهو يقابل عند المحدثين علم الإجتماع العام .

ب- فى العمران البدوى والأمم الوحشية وهو يقابل علم الانثربولوجى .

جـ- فى الدول والخلافة والملك وهو ما يقابل علم الإجتماع السياسى .

د- فى العمران الحضرى والبلدان والامصار وهو ما يقابل علم الإجتماع الحضرى والريفى .

هـ- فى البضائع والمعاش والكسب وهو ما يقابل علم الإجتماع الاقتصادى .

و- فى العلوم واكتسابها وتعلمها وهو ما يقابل علم الإجتماع التربوى .

وفى ثنايا ظواهر القسم الأخير كثير من الظواهر المختلفة كالظواهر القضائية والعائلية والخلقية والدينية واللغوية والجمالية .

رابعاً : النتائج العامة لأبحاث ابن خلدون :

يبحث ابن خلدون فى الإجتماع الإنسانى وقرر ضرورته لحاجة الأفراد إلى تبادل المنافع وللتعاون ضد الوحوش الضاربة لحماية أنفسهم .

ويبحث ابن خلدون فى تطور المجتمع واشكاله فيحدد له شكلين هما البدو والحضر ويرى أن البداوة أصل للحضارة وسابقة عليها وهذه بلا شك نظرية لها أهميتها فى علم الإجتماع الحضرى الذى يهتم بظاهرة تكوين المدن وأسبابها وكيفية حدوثها فابن خلدون فى دراسة كان يدرس كل طائفة من طوائف الظواهر الإجتماعية على حدة ويستخلص من دراسته لها ماهدته اليه ملاحظاته من أفكار وقوانين فى دراسته للظواهر الاقتصادية . مثلاً لتنتهى إلى عدة قوانين منها .

أن الأفكار إذا قاربت الخراب انتفضت منها الصنائع . ومن دراسته لظواهر السياسة انتهى إلى أن المجتمع البشرى شأنه الفرد الذى يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته وأن للدول أعمار كالأشخاص سواء بسواء وعمر الدولة فى العادة ثلاثة أجيال والجيل أربعون سنة فعمر الدولة إذن مائة وعشرون سنة وخلال هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بأربع مراحل :-

١- المرحلة الأولى : هى مرحلة البداوة .. وهى المرحلة التى يقتصر فيها الأفراد على الضرورى من أحوالهم ويكونون عاجزين عن تحصيل ما فوق الضروريات وتتميز هذه المرحلة بخشونة العيش وتوحش الأفراد وبسالتهم كما تتميز بوضوح العصبيات وضعف الروح الفردية .

٢- والمرحلة الثانية : هى حالة الملك وفيها يتحول المجتمع من البداوة إلى - الحضارة من الشظف إلى الترف ومن الاشتراك فى المجد إلى انفراد الواحد وكل الباقين عن السعى اليه . ومعنى ذلك أن ما يحدث هو تركيز السلطة فى يد شخص أو اسرة أو فئة بعد أن كانت شائعة ولا تختفى العصبيات تماما وإنما تظل ذات وجود فى نفوس الأفراد .

٣- أما المرحلة الثالثة ... فهى مرحلة الحضارة وهى مرحلة ترف ونعيم وفيها يقول (ابن خلدون) ينسى الناس عهد البداوة والخشونة فيصيرون كأن لم يكن ويفقدون حلاوة العزوة والعصبية ويبلغ فيهم الترف غايته فيصيرون عيالا على الدولة وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة .

٤- والمرحلة الرابعة : هى مرحلة الأضمحلال وهى المرحلة التى تسبق سقوط الدولة وزاولها وهى نتيجة حتمية لمرحلة النعيم والترف السابقة عليها .

وهذه الأطوار فى رأى (ابن خلدون) طبيعة تتفق مع طبائع الأشياء فالأصل فى المجتمع حالة البداوة كما يدل على هذا الاستقرار حالة التطور فى المجتمعات الإنسانية ثم تتنازع العصبيات وتكون الغلبة لاحداها التى تستولى عليها (الغلبة هى الملك) . وهناك فرق بين الملك والرياسة التى هى سؤدد وصاحبها متبرع . أما الملك فهو التغلب والحكم - بالقهر كما تعنى حالة الملك كذلك اتساع رقعة المجتمع بعد استقرار الأمور فيه أما فى المرحلة

الثانية فإن أفراد المجتمع يتجاوزون ضرورات العيش وينزعون إلى رقة الأحوال فى المآكل والملبس والزينة وهذه المرحلة تصل بهم إلى مرحلة الأضمحلال إذ بعد يتعود الأفراد على المعيشة الناعمة يستمر حالهم هكذا يأتى يوم تزداد فيه نفقاتهم وتزيد على كسبهم فيضعفون اقتصاديا ويضعف صاحب السلطان بضعفهم كذلك يؤدى الترف إلى مفسدة الاختلاف فتذهب من الأفراد الخصال الخيرة يكون ذلك مؤذنا بحالة الزوال بعد أن يتسرب الهرم إلى المجتمع .

كذلك بحث (ابن خلدون) فى اختلاف الأقاليم الجغرافية وتأثير المناخ فى الوان البشر وفى ذلك من شئونهم الإجتماعية كذلك اختلاف أحوال العمر ان فى الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار وهذه الآراء – تعرف بالنظرية الجغرافية لتفسير الحياة الإجتماعية.

كما تعرض (ابن خلدون) لدراسة الظاهرات المتصله بطريقة التجمع الإنسانى وأثر الظاهرات الجغرافية عليها وقد ظن (دور كاييم) فى القرن العشرين إنه هو أول من تنبه إلى هذه الدراسة البيئية للمجتمع (المورفولوجيا الإجتماعية) فالحقيقة أن ابن خلدون قد سبقة اليها بما يزيد على خمسة قرون .

خامساً : أهم ما يوجه إلى ابن خلدون من مآخذ :

١– نقص الاستقراء :

أن كثيرا من القوانين والأفكار التى انتهى إليها ابن خلدون فى شئون السياسة وقيام الدول أفكار لا تصدق إلا على الأمم التى لاحظها وهى شعوب العرب والعجم والبربر والشعوب التى تشبهها فى التكوين وشئون الإجتماع ، بل لا تصدق على هذه الأمم نفسها إلا فى مرحلة خاصة من مراحل تاريخها وهى المرحلة التى شاهدها أو التى انتهى اليه علمه بها ، وهذا نقص فى استقراء الحقائق .

٢– مبالغته فى أثر البيئة الجغرافية فى شئون الإجتماع :

ارجع ابن خلدون كل ظاهرة إلى البيئة ، مؤثراتها وفى هذا انكار لكثير من العوامل الأخرى التى تتبادل التأثير مع البيئة .

٣- مبالغته في أثر القادة والحكام :

يذهب إلى أن السبب فى التطور الإجتماعى يرجع إلى اختلاف نظم الحكم وتغير الاسرات الحاكمة وفى رسالتهم إلا إذا كانت مجتمعاتيهم مهيأة أصلا إلى ما يدعون اليه .

٤- أتهام ابن خلدون بالتحامل علي العرب :

وضع ابن خلدون فى مقدمته عناوين يظهر فيها فى بادئ الأمر أنه ، يتحامل على العرب وينقص من قدرهم وإن كانت الحقيقة غير ذلك وأيا كان الأمر فإن ابن خلدون الذى عاش فى القرن الرابع عشر هو المنشئ الحقيقى لعلم الإجتماع كما انه سبق فى بحوثه العلامة الايطالى فيكو والعلامة البلجيكى كتيلية والعلامة الفرنسى أوجيست كونت الذى عاش فى القرن التاسع عشر[١] .

٥- دراسات ابن خلدون الاقتصادية :

جعل تقسيم العمل أساسا للتجمع الإنسانى لان الله سبحانة وتعالى خلق الإنسان وفيه ميل لإشباع حاجاته الضرورية ، وهو لا يتمكن من اشباعها وحدة بل لابد من الإجتماع بغيره . فصناعة الخبز تحتاج إلى صناعات عديدة كالحدادة والنجارة وصناعة الآلات الفخارية . كما أن زراعة القمح وغيره تستلزم آلات للحرث والحصاد وغير ذلك فالإنسان يحتاج إلى الإجتماع بغيره ليقوم كل منهم بصناعة أو ملاحة أو غير ذلك من الأعمال حتى يتمكن من المحافظة على حياته وبقاء نوعه .

ويجعل العمل أساسا لقيمة الأشياء فى المجتمع . فالعمل ضرورى لكى يحصل الإنسان على المال فالفلاح يحتاج إلى المال كى يشترى الآلات والحيوان . وكذلك الصانع فلابد من العمل حتى تتحقق المنفعة . ولابد أن يعمل الفرد حتى يحصل على ما يريد ويقول ابن خلدون :

---

(١) انظر : د. مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الأول - تاريخ علم الاجتماع وتطوره القاهرة مكتبة لجنة البيان العربى - الطبعة الأولى ١٩٥٤ .

لابد من الأعمال الإنسانية فى كل مكسوب ومموَل لأنه أن كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر ، أن كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلابد فيه من العمل الإنسانى كما نراه والا لم يقع به انتفاع .

وابن خلدون يرد تطور المجتمع إلى أساس اقتصادى ، فالمجتمعات تدرجت من البساطه إلى التعقيد حسب الطريقة التى كانت تستعمل بها ثروات البيئة والمراحل التى سار فيها المجتمع هى مرحلة البداوة (الزراعة) ثم مرحلة الصناعة .

المرحلة الأولى :

حالة البداوة : ومن الأخطاء الشائعة الاعتقاد بأن ابن خلدون كان يقصد بهذه المرحلة أبناء البادية الرحل وإنما يستعملها للتعبير عن غير المتحضرين على الاطلاق أى أن المصطلح قابل الجماعة البدائية أو المتأخره فهى لا تمثل مرحلة الرعى بالضرورة .

ويشتغل الإنسان فى هذه المرحلة بالزراعة البدائية . ومما يرجح هذا الرأى أنه فسر نشأة الجماعات بحاجتها إلى التعاون فى سبيل أشباع حاجاتها الضرورية للحياة وفى مقدمتها الغذاء وذلك عن طريق صيد الحيوان وعن طرق الزراعة وكان يعتقد أن الزراعة أقدم وجوه المعاش وإنها أولى الحرف منذ آدم عليه السلام .

المرحلة الثانية :

حالة الرعى : وهذه المرحلة تتطلب تقدما فى المستوى الثقافى لانها ترتكز أساسا على فكرة استئناس الحيوان بدلا من قتله .

المرحلة الثالثة :

حالة الصناعة والتجارة : هى المرحلة الأخيرة التى تتطلب علما وخبرة فنية فهى لاتوجد إلا فى أهل الحضر .

والواقع أن هذا التقسيم يتفق مع آراء العلماء المحدثين الذين يرون أن المجتمع الإنسانى مر بثلاث مراحل هى الرعى والزراعة المتقدمة ثم الصناعة .

ثم يؤكد ابن خلدون أن لكل مستوى اقتصادى طبائعه وأخلاقه فالبدو بصورة عامة أقرب إلى الشجاعة والتضامن والعصبية والاخلاق الحميدة أما الحضر فأقرب إلى الرفاهية وأبعد عن تلك الأخلاق الحميدة .

أهمية ابن خلدون :

حاول ابن خلدون جعل المجتمع الموضوع الخاص للدراسة وقادته هذه المحاولة إلى تحليل المجتمع وتقسيمة إلى فئات يمكن معالجتها بالطريقة العلمية وإلى أن يضع تعميمات عن بياناته هذه التعميمات لها أهمية دائمة وقيمة دائمة لعلم الإجتماع ولو أن هذه التعميمات وضعت في البداية كأطار للنقد التاريخى Critical historiography وفى زمان ومكان لا يعرف علم الإجتماع . وقد أشرنا إلى عدد قليل من الموضوعات التى جاءت فى المقدمة وقد أشار كتاب آخرون إلى كثير من الموضوعات . ومن بينها أن ابن خلدون اتبع أرسطو فى نظريته بأن الإنسان اجتماعى بطبعه كما أظهر فى كتاباته آثارا من أفلاطون بأن الإنسان اجتماعى لان مطالبه كثيرة ومتنوعة لدرجة أن اشباعها يتطلب جهدا تعاونيا . كما أن هناك آثارا قوية من بعض المفكرين الإجتماعيين الكلاسيكين من ناحية الاعتقاد بأن صراع الرغبات يوجه المعارك ويقود إلى ضرورة اقامة حكومة لتحقيق النظام والاستقرار . وقد أصر ابن خلدون على ضرورة التجانس لتحقيق الدولة المستقرة بنفس اصرار جيد نجز Giddinga فهنا التماثل بين العصبية (الروح المعنوية) والوعى بالنوع . كما أن تحليل ابن خلدون لتأثير البيئة الفيزيقية على التنظيم الإجتماعى تحليل دقيق يفوق أى دراسة فى هذا الموضوع حتى عن بودان Bodin أن لم يكن منتسكيو Montesque ويحق لابن خلدون- أكثر من العالم الايطالى فيكو Vico المطالبة بشرف تأسيس فلسفة التاريخ فى صورتها الحالية كما أن معالجته للعوامل المتضمنة فى العملية التاريخية معالجة دقيقة تفوق معالجة ذلك الايطالى الذى جاء بعده بثلاثة قرون .

والأكثر من ذلك أهمية ، كانت وجهة النظر والمنهج الذى اتبعه هذا المفكر المسلم . له اتجاه دنيوى نحو الدولة ، ويمكن مقارنته فى هذه الناحية بمكيافيللى وهو الدبلوماسى الخبير الدنيوى . وقد عبر روزنتالد Rosenthal عن ذلك بقوله :

عندما نضع الرجلين جنبا إلى جنب ونركز الاهتمام على تفكيرهما فيما يتعلق بالدولة نجد أنهما يشتركان فى الفصل بين الدولة والتأثير الدينى وطريقته لملاحظة الشئون السياسية غير ثيولوجية بل دنيوية تماما فكل منهما فكر بطريقة واقعية تماما ، لم يسمح لنفسه بالخضوع للاعتبارات الاخلاقية أو الميتافيزيقية ولاحظ الدولة كما هى فى الواقع دون أية عاطفة أو انفعال . أهمية ذلك لتاريخ العقل الإنسانى أهمية عظيمة ففى القرن الرابع عشر أوجدت حضارة الاسلام أفضل ممثل للمذهب الواقعى التاريخى لهذا العالم الإجتماعى الذى تنبأ بنظريات تؤثر فيها[1] .

---

(١) عبد الرحمن خلدون : ، مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب العجمية والبربر ومن عصرهم من ذوى السلطان الأكبر – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة .

الفصل السابع

الفكر الإجتماعى ذو النزعة الفردية فى العصر الحديث

(أ) لقاء الشرق بالغرب وتقدم النزعة الدنيوية :

لا ينظر الأوربيون عادة بعين التقدير إلى أثر الشرق الاسلامى على العالم الغربى وحتى علماء التاريخ أنفسهم يفشلون عادة فى تقدير الوزن الحقيقى للاحتكاك الثقافى القوى .

ولكن هؤلاء الأوربيين يبذلون كل عناية لأهمية أحياء نظريات ارسطو والواقع أن الأهمية الحقيقية لاحياء تلك النظريات ليس هو التعديلات التى لحقت بها بل لانها شاهد على الاحتكاك والاتصال بين الحضارتين الاسلامية والمسيحية فأهم كتابات أرسطو وصلت إلى أوربا العصور الوسطى من خلال الترجمات التى قام بها اليهود من الاسبان (لعل عائلة ابن شيبون من بينهم) الذين تلقوا الشعلة اليونانية من مغاربة اسبانية وكان المغاربة يحجون مرة على الاقل فى حياتهم ، كما يتضح من كتابات الرحالة المسلم العظيم ابن بطوطة فقد سافر هذا الرجل ما يقرب من سبعة وخمسين ألف ميل (اربع رحلات إلى مكة والعودة منها فضلا عن رحلاته إلى الصين وغيرها) ومن خلال رحلات الحج ثم الاحتكاك الثقافى بين المغرب العربى والمشرق العربى الذى كان مركزا للتعليم الدينى التنوير عندما كانت أوربا غارقة فى العصور المظلمة ولم يكن المسلمون يستخدمون الكتابات اليونانية لمساندة كتاب دينى كما كان الحال بالنسبة للاوربيين بل كان للكتابات اليونانية تأثير على النواحى الدنيوية وكان للمسلمين تعليقات كثيرة على كتابات افلاطون وارسطو قبل القرن الحادى عشر ولم يفعل الاوربيون ذلك قبل القرن السابع عشر .

ومن المؤكد أن الاحتكاك بين الثقافات غير المادية التى يمثلها استخدام الجامعات الاوربية الكبير لترجمات ارسطو فى القرن الثالث عشر لم تحدث شيئا جديدا فى كتابات أكويناس Aquinas أو غيره من معاصريه . والواقع أن المدرسين فى ذلك الوقت لم يكن

أهتمامهم كبيرا بشئون العالم الدينوى مثل انشاء الدول وتدهورها ومصير الشعوب لكن الحركات الضخمة كالصلبيين الأوائل والثورة التجارية فعلت الكثير من أجل القضاء على المجتمع الدينى لاوربا المعزولة وأقامت مجتمعا دنيويا .

وبقول آخر كان الاحتكاك الثقافى مع الشرق أكثر فاعلية فى مجال الثقافية المادية كان الصليبيون والتجارة مع الشرق الادنى أكثر شيئ فى هذا المجال فقد اشتغل أهل فينسيا وغيرهم بنقل الصلبيين إلى أسيا الصغرى ويعودون بسلع الشرق الأدنى ، فقد سارت الحرب والتجارة جنبا إلى جنب ويبدو أن مغامرات الصلبيين كانت الوسيلة الرئيسية فى نقل سلع الشرق الكثيرة إلى العالم الغربى . ومن ناحية أخرى فالثورة التجارية لم تبدأ إلا مع بداية القرن الرابع عشر ويجب الا تفكر بأن لها بعض الفضل فى اتساع الاحتكاك الثقافى الذى بدأه الصليبيون ومن ثم بدأت تتساقط جدران العزلة الأوربية .

ان التقارب الجغرافى فى بعض الحالات قد يكون تفسيرا كافيا للاحتكاك الثقافى ولكن فى حالات أخرى ينبغى ادخال اعتبارات أخرى .

والواقع إنه بالنسبة لموضوعنا فإن مسألة الحوار الجغرافى ليس يذى شأن ، ولكن ظاهرة الاضطراب هى الأساس .

كيف نشأ الاضطراب وكيف أحدث الاحتكاك الثقافى ؟ الواقع أن الاضطراب موجود فى كل ثقافة إلى حد ما . وقد وصل توميان Thoman وزنانيسكى Znaniecki إلى تعميم مشهور "الاستقرار الإجتماعى ليس عملية من اعادة التنظيم المستمر لنمط متعدد يحدث به سو ، تنظيم مستمر وإذا كانت الايديولوجيا وما يصاحبها من قواعد عرف Mores ونظم قد أوجدت النظام بعد الاضطراب إلا أن هناك دائما قوى معاكسه نشطة ولأ مكان دعم سيادة الايديولوجيا فإنه ينبغى القضاء على تلك القوى أو التخلص من التوتر والاضطراب الناشئين عن تدخل تلك القوى من خلال بعض المخارج" .

وقد تقضى المخارج على التوتر . من ثم تخفف من الاضطراب أى أن القضاء على التوتر يتم عن طريق "الحشد الذى يرفض" ومن ناحية أخرى يمكن القضاء على التوتر من

خلال الحشد الذى يفعل والنمط الأول يبدو أن التوتر يوجد فى سلوك الجهاز العصبى السمبتاوى . وفى النمط الثانى يبدو أن الجهاز العصبى المركزى أكثر انغماسا ومن الأمثلة على النمط الأول : جنون الرقص فى العصور الوسطى ووباء تعذيب النفس لنيل رضا الرب . أما الامثلة على النمط الثانى فهى : الحملة الصليبية الأولى وتحطيم الباستل ويمكن القول ان النمط الأول هو سلوك منطوى أما الثانى فهو سلوك منبسط وعلى أية حال فطاقة التوتر فى الحالتين تتحول إلى حركة جسيمة ويخف الاضطراب .

ولأ مكان فهم هذه العبارات وتطبيقها على الفترة التى ندرسها من الضرورة الاشارة إلى عصر مبكر ففى نهاية العصور المظلمة كانت أوربا أستاتيكية تقريبا بمعنى أنها تفتقر إلى الابتكار الثقافى ، فقد انتشرت العزلة كما يتضح من الكتابات عن الرحلات والاتجاهات نحو الشعوب الاخرى ، وبمجئ القرنين التاسع والعاشر ارتبطت الجزاءات الدينية بكثير من السلوك الإجتماعى . فقد نشأ مجتمع دينى معزول داخل الثقافات اللاتينية والالمانية ، أن فترة سوء التنظيم الإجتماعى والاسترخاء أو النزعة الفردية التى تميز الحكم فى أوربا الوسطى جاءت بعد فترة من اعادة التنظيم الإجتماعى .

أن التوازن الديناميكى الذى احدثه اعادة التنظيم سراعان ما وجدا التهديد من ازدياد عملية سوء التنظيم . ومما زاد الطين بلة عدة مجاعات خطيرة فى القرن الحادى عشر . وكل العوامل العوامل المرتبطة بالتوتر والاضطراب ويبدو أن الجوع أكثر أهمية وخلال المجاعتين الأولى والثانية عام ١٠٠٥ ، عام ١٠١٦ ، انتشر التشرد اصبح السلوك الجمعى الاصيل القلق والتوتر دفع آلافاً من الأفراد إلى صعود الجبال والنزول منها بحثا عن شئ لا يعرفونه فالنظام الإجتماعى "الذى أعيد تنظيمة هددته الحركات وقد بذلت الجهود الوقت التشرد دون أى فائدة وحتى عقوبة الموت لم تقلح .

كانت كل أوربا فى حالة من الفوضى والاضطراب بسبب الخلافات السياسية والدينية. كما اسهم الطاعون بنصيبه فى هذا الاضطراب السائد فهناك صلة بين الموت الأسود وجنون الرقص فى القرن الرابع عشر . وفى عام ١٠٩٤ تم اعلان أول حملة طاعون من نوع معروف انتشر من القلادرز إلى بوهيما .

أن الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية لا ترجعان إلى العوامل التى سبق أن أوضحناها. فالطبقات الدنيا التى شاركت فى الحركة لا يمكن فهمها دون أن نأخذ فى الاعتبار الاضطراب الذى أوجده الجوع ، الطاعون ، الأرض المقدسة أصبحت مكانا حيث يمكن الشفاء من كل أمراض العالم جنة على سطح الأرض ورمز للهرب فالصليبية كانت وسيلة للراحة بالنسبة للاشخاص المضطربين وبخاصة فى الطبقة الحاكمة . كل شخص ضائع فى أوربا اجتماعيا أو اخلاقيا اشترك فى عملية الذبح والسلب .

نشأ عن الحملة الصليبية الأولى اقامة عدة دول فى سوريا استمرت حوالى قرن من الزمان . وقامت علاقات سلام وازدهرت التجارة مع مملكة القدس وأمارة اديسا **Edesa** وأمارة انطاكية وامارة طبرق .

واختلاط الاساليب الشعبية وقواعد العرف مصدر لسوء التنظيم الإجتماعى ظهر نتيجة لهذا الاحتكاك الثقافى .

وقد وصف ارنست بيكر **Ernest Becker** هذه العملية .

تعاقب البارونات بين فروسية الغرب واغراءات الكماليات الشرقية : عادوا من ميدان الحرب بحوائط مزدانة بالصور وارضيات من الموزايكو وسجاجيد فارسية وملابس حريرية مطرزة . منازلها فى المدن لها خصائص الفيلات المغربية وعاشوا حياة مغربية . دواليبهم مغطاة بالنحاس والفضة صنعها صناع الشرق وحلويات دمشقية . وارتدوا ملابس من الحرير وتحلت نساؤهم .

هذه النعومة التى تميز بها جماعة من المنتصرين نتيجة للاحتكاك الثقافى سرعان ما كان له نتائجه الحتمية . فقد انتصر المسلمون على الدويلات الصليبية واستمر الصراع ولم يهدأ منذ أن بدأ عام ١٠٩٥ وبسبب هذا الصراع استمرت التجارة والسلام ، والصليبيون الذين اضطروا للعودة عادوا ومعهم بضائع من الشرق الادنى هذه السمات الثقافية المستوردة أيقظت الطلب على سلع للشرق الادنى . ولذلك فإن تجار البندقية وجنوا وغيرهم من تجار البحر الأبيض المتوسط حققوا ارباحا طائلة . أن معتقدات ونظريات المسلمين وثقافتهم سرعان ما كان لها تأثير قوى على الغرب وبخاصة فى

الكيمياء والرياضيات ولكن مجال الثقافة المادية هو المجال الاكثر فاعلية فلم يكن هناك صراع من أجل المجتمع الدينى فى الغرب هذا المجتمع الدينى وصل إلى الدرجة العالية من التكامل فى القرن الثالث عشر أن الحروب الصليبية حققت كثيرا من عناصر القلق والاضطرابات وبدأ الشعور بالجماعة فى الظهور والشعور نما عند الأوربيين بفضل الصراع مع المسلمين . وقد ازدادت قوة الكنيسة . نفس العمليات التى أوجدت الوحدة فى القرن الثالث عشر احتوت على بذور سوء التنظيم ، لأن الصلبيين احضروا معهم احتكاكا ثقافيا مع الشرق ، طوفان الشرق سلع الشرق الدنيوية التى بدأت تفيض على العالم الحديث .

فلاسفة القرن الثامن عشر المتفائلون كتبوا عن التقدم والكمال الإنسانى عندما بدأ أفق الإنسان يتسع بفضل النشاط العلمى والفلسفى والأدب الذى بدأ فى القرن السابع عشر وهو قرن بيكون وهاربى وكيلو وليبنزا ولذلك لهم عصرهم الخاص بالتنوير العقلى عندما تكلموا عن أثر التخلص من الروابط التقليدية كانوا يتكلمون عن مجتمعات الفساد الايطالية التى تأثرت بقوة باتصال الشرق بالغرب .

أن التخلص من روابط الوطن أو من الجماعة القرابية أو من المجتمع الدينى المنعزل قد يفصل الرجل عن طبيعته الإنسانية فقد ارتبطت عملية النزعة الفردية بالشر والجريمة ولكن هؤلاء الناس حققوا أشياءا عظيمة .

ان الانجازات العظيمة للعصور الوسطى المتأخرة ترجع إلى سببين أولاً : انهيار المجتمع الدينى المعزول بتأثير اللقاء بين الشرق والغرب وانتشار الحروب الصليبية والتجارة مع الشرق الادنى مع ما نشأ عن ذلك من نزعة فردية وثانياً : صراع الافكار بسبب نقصان الثقافة المادية وغير المادية بسبب الاكتشافات والثورة التجارية واحياء التعليم . وقد انتشر الاتجاه الدنيوى فى كل الحياة ، وأثر فى كل ناحية فى نمو المراكز الحضرية وانهيار نظام الاقطاع وازدياد حجم السوق ، نشأة نظام اقتصاد النقود مبدأ السعر العادل والتعليم أصبح دنيويا .

(ب) أهمية النزعة الإنسانية :

لعصر النهضة أهميته البالغة فى تطور الحضارة الحديثة فقد قضى على عصر الظلام بفضل القوى الكامنة الناشئة عن تقدير جديد للأدب الكلاسيكى والتقدم الملحوظ فى

الفن خلال القرنين التاليين لعام ١٤٥٠- ونسبت معظم النتائج لهذا السبب وحدة دون ذكر لنشأة المعلم الحديث ونشأة نظم الدولة القومية . والواقع أن هذه الفترة بين ١٤٥٠- ١٧٠٠م وهى عصر النهضة تشير إلى النزعة الإنسانية وتطور الفن .

أن الاهتمام المتزايد بالاداب اليونانية والرومانية لم ينتج أى ثورة فكرية ملحوظة ولا أى دافع نحو حب الاستطلاع العلمى . والاسهام الوحيد من جانب النزعة الإنسانية هو الكشف عن كتابات علماء اليونان الذين كان لهم افكار أكثر حداثة فى المسائل العلمية من شخصيات العصور الوسطى . ولو أننا نعترف بأن معرفتهم كانت قيمتها قليلة بالنسبة للعلم ، ولكن أعظم الشخصيات الموسوعية بين علماء اليونان وهو أرسطو عرفه الدارسون فى ترجمات من اللغة العربية فى نهاية القرن الحادى عشر وفى ترجمات ممتازة للاصول اليونانية من نهاية القرن الثالث عشر . أن علماء الإنسانيات كان يجذبهم الكتابات الغامضة أكثر مما يجذبهم الكتابات العلمية القديمة ، فقد لمع شيشرر والافلاطونية المحدثة أكثر مما لمع أرشميدس مثلا .

أن خلق الاهتمام بالعالم الدنيوى كان دافعا للسير فى اتجاه حب الاستطلاع العلمى بالمقارنة بمذهب المقارنة بمذهب فوق الطبيعة للمسيحية المدرسية ومع ذلك كان حافزا ضعيفا وغير مباشر ولم يظهر أى أثر بسبب الميول المقاومة للروح العلمية للحركة الإنسانية فى التعليم . أن روح الإنسان قوت ودعمت من الاتجاه الصوفى والجمالى وليس الاتجاه العلمى العقلانى أن الدافع الذى أعطته الحركة الإنسانية للعلم والدراسات الدنيوانية قد عطله عن اتجاه ما فوق الطبيعة فى فترة الاصلاح ومقاومة الاصلاح وفى الوقت الذى أفاقت فيه الروح العلمية من هذه الضربة فإن المغامرين التجار المكشفين العلماء قد حققوا عالما جديدا من الحقائق والافكار غريبا تماما عن عالم لوتر واراسموس وغيرهما .

أن اختراع الطابعة الذى جاء نتيجة لجهد جونبرج فى فترة النزعة الإنسانية كان اسهاما هاما للتطور النهائى لأسلوب هو شئ خاص بالجهد التعاونى والاتصال الثقافى إلا وهو العلم لحديث . ولكن الخدمة كانت غير مباشرة وترجع إلى الصدقة وليست نتيجة سببية فلا يوجد فيض مباشر من الكتابات العلمية ، ومعظم الكتب التى طبعت خلال القرن الأول بعد جونبرج لم تكن كتب علمية ونقدية ولكن كتب فى الزهد واللاهوت فالكتب

التى تعكس الفكر والعلم الجديد لم تطبع بأعداد كبيرة إلا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر والطباعة لم تجعل من السهل وجود أدب مخالف لتعاليم الكنيسة فالحكومات الأوربية جعلت الطباعة دون ترخيص جريمة خطيرة وأنشئت رقابة على الصحافة وعلى أى حال أن احياء التعليم بخاصة من ناحية جانبية الإنسانى له أثر على التيارات العميقة للتطور الإجتماعى .

١- ماكيافيللى : (١٤٦٩-١٥٢٧م) .

يرتبط أسم نيكولا ماكيافيللى بالماكيافيلية أو الدسائس السياسية والواقع أنه يستحق هذه السمعة ولكن يبتغى أن نراه فى ضوء آخر فقد خرج على طرق التفكير السائدة فى عصره وأكد أنه ليس من الضرورى أن تأخذ كل الاشياء على أساس القانون المقدس المزعوم . ثم لم يكن ماكيافيللى مثاليا بالمعنى الدقيق للكلمة ولكنه أختلط بالناس وسافر كثيرا ودرس الظروف الواقعية . وأعلن أن الناس يجب أن نراهم على الحالة التى هم عليها، وليس فى ضوء بعض الأفكار الكاذبة السائدة عنهم .

لقد استخدم ماكيافيللى ما يسمى بالطريقة الاستقرائية أو المنهج العلمى قبل أن يظهر فرنسيس بيكون - مؤسس المنهج العلمى بمائة عام . فقد لاحظ ماكيافيللى الظروف التى يعيشها الناس واستخلص استنتاجاته من هذه الملاحظات واعتقد أنه ليس من الضرورى أن يسير الإنسان فى سلوكه تبعا للاخلاقيات المجردة أو الافكار المثالية غير العلمية والغريب إنه نادى بهذه الأفكار فى الوقت الذى كان فيه السجن أو النفى الموت جزاء كل شخص يعارض السلطات الاوتوقراطية وانتقل ماكيافيللى من الاخلاق المجردة إلى الضرورات الواقعية ، ولم يكن وسطا فى موقفه . فقد عاش وفكره فى ضرورات اللحظة التى يعيشها فقد استجاب بشدة لضغوط وتوترات الساعة الأمر الذى جعل نظرته محدودة لا تهتم بالشمول والاتساع .

وقد كتب ماكيافيللى عن القادة والحكومة . فقد دافع عن الحكم الاستبدادى كما دافع عن الحكم الديمقراطى تبعا لظروف العصر والمكان . وفى كتابه الأمير وصف بكل دقة سمات وطرق الحاكم الذى ينبغى معاملة اتباعة بالسلطة المطلقة . وفى كتابة Dkscourses تناول شكل الحكم الديموقراطى الجمهورى .

وهو يرى أن الأمير الناجح عليه أن يكون محبوبا من شعبة كما ينبغى أن يخافه هذا الشعب . فهو يلجأ إلى والقوة وإلى الغش إذا استدعى الحال ذلك وينبغى أن يتخلص من القوانين ويصدر قوانين جديدة تتناسب والمواقف الإجتماعية ويجب أن يكون رحيما فى نظر الناس وليس قاسيا وأن يتحلى بالشفقة ليمنع الاضطرابات الإجتماعية ويجب إلا يسمح لاحد باستغلال هذه الشفقة من جانب أشخاص لا يشعرون بالجميل . ويجب أن يكون راجح العقل ، فهو أما أن يكون صديقا مخلا أو كريما .

وينبغى أن يكون أبويا ، فيهتم بأن ينال شعبه الغذاء الكافى والحياة الطبية . وبذلك ينال حب شعبه ويعمل على تغذية هذا الحب وتقويته .

وأما عند تناول الشئون الدولية فينبغى أن يكون قويا يحمى مدينته أو أمته ويصدر القوانين الصالحة للنمو الداخلى للأمة . وقد أخطأ ماكيافيللى كثيرا ، وعلى أى حال فقد كان يساند الحكم الشمولى .

ويقول النقاد أن تفسيراته السياسية والإجتماعية لا تقوم على التأمل الفرضى بل على أساس الملاحظة الاستقرائية وقد أدت فلسفته الإجتماعية إلى ابحاث استقرائية فى مجالات التحليل الإجتماعى والضبط الإجتماعى . وتقوم فلسفته على الدوافع الطبيعية وليس على الأسس الاخلاقية الأصيلة وهو انتهازى واضح . وقد اهتم بممارسة الشعائر الدينية وحتى فى هذه الناحية كان انتهازيا . فلم يهتم بالمزايا الروحية التى يستطيع الفرد أن يحصل عليها من الدين ، ولكن اهتمامه بالدين من ناحية أن يساعد الحاكم على دعم قوته. كانت نظرته محدودة ، فلا يهتم إلا بالامة التى تؤلف دولة ، ولم يدرك أن هناك جماعات اخرى أكبر من الامة .

يعتبر نيوكلاى ماكيافيللى من أبرز فلاسفة السياسة فى هذا العصر وتشكلت فلسفة السياسية بظروف العصر الذى عاش فيه . فقد شاهد عظمة انجلترا وفرنسا كما شاهد الانقسام والفوضى فى وطنه أيطاليا .

وله كتابان هما الامير والمقالات . والكتاب الثانى أقل شهرة ولكنه أكثر عمقا ويعتبر كتاب الامير أدق دراسة اجتماعية عن القيادة والفلسفة العملية السياسية حتى ذلك

الوقت ، هذا الكتاب هو رسالة سياسية أهداها ماكيافيللى إلى الامير لورنزوميدسيس لكى ينقذ أيطاليا من الفوضى .

وعندما درس المجتمع تعرض للإنسان وهو يراه لا يهتم إلا بذاته ، كما إنه جشع ولا يحس بالشبع إلا إذا حصل على المال والمكانة الإجتماعية . ومن تحليلة لطبيعة الإنسان على الاساليب التى يجب أن يتبعها الحاكم كى يكون ناجحا . كان يرى أن الغاية تبرر الوسيلة فعلى الحاكم اتخاذ أى وسيلة كى يصل إلى غايته وبذلك فصل بين الاخلاق والسياسة . وليس معنى هذا إنه لا يعترف بالمبادئ الاخلاقية الدينية ولكنه يرفض اتخاذ القرارات السياسية على أساس من هذه المبادئ فقد اجاز للحاكم أن يتنكر لمبادئة الدينية الاخلاقية . وفى كتابه المقالات عكف على دراسة الشعب الرومانى ودرس النظام السياسى للامبراطورية الرومانية ووصل إلى تحديد اسباب عظمة روما وانهيارها فالدولة فى رأيه تنمو وتزدهر من ثم تنهار .

ومعنى هذا ان ماكيافيللى اعتمد على التاريخ فى بحوثه ، ولكنه لم يضع نظرية اجتماعية وسياسية على الرغم من أن كتاباته حازت شهرة واسعة .

٢- فرنسيس بيكون :

أسهم فرنسيس بيكون أسهامات هامة فى الفكر الإجتماعى اليوتوبى وقد أكد أهمية التفكير الاستقرائى وبذلك فرض التزامات كبيرة على المفكرين الإجتماعيين . وقد ساعد على تحرير الاشخاص من المعتقدات القديمة والخرافات . وقدم لهم أسلوبا جديدا لكى يفهموا الحرية الفردية على أساس جديد . ولكى يتحرر الشخص نفسه ينبغى أن يتخلص من الاحكام السابقة غير الرشيدة ، سواء ورثها عن المجتمع الذى يعيش فيه أو قد توصل اليها بنفسه وقد وفر لنفسه الحماية من الاحكام التى يصل اليها لانه ينظر إلى الحياة والعالم من خلال عيون البشر . وهذه الاحكام السابقة مشتركة بين كل النوع الإنسانى فهى أوهام الجنس البشرى **The Idols of the trible** كما أن الشخص يتجنب الادعاءات الفردية الخالصة ، التى يتمسك بها بسبب خبرته الفردية الخاصة به والتى يضعها خارج مجال الخبرة المشتركة وهذه هى أوهام الكهف وهناك أوهام الحكمة التى تجعل الشخص

يعتقد بصورة لاضرورة لها على الكلمات واللغة . كما أن أوهام المسرح . هى أتساق الفكر التقليدى كان المبدأ الذى وصفه : أن تبعد نفسك ونفوس الآخرين بقدر الامكان عن طريق الشئ الذى تريد أن تراه .

وعندما يستطيع الشخص حذف الاستعدادات البشرية فإنه يستطيع جمع الحقائق ويصنفها فى فئات ، ثم استخلاص النتائج منها ، ثم يعمل طبقا للقوانين التى استنتجها أن المعرفة تعطى القوة . والمعرفة الإجتماعية تعطى القوة لتحسين الظروف الإنسانية وتجعل فى الامكان تحقيق الضبط الإجتماعى الحكيم . وبذلك يكون قد فتح الطريق أمام نمو الشحص.

وكان يعتقد أن قدرا كبيرا ممن الحرية الشخصية يدمر الحكومة والنظام الإجتماعى العام. فإذا كان كل شخص قانونا فى حد ذاته ينشأ الحكم الاستبدادى - ويثور هذا السؤال كيف يتحد الاشخاص ذووا الحرية الفردية فى مجتمع دون أن يتنازلوا عن حريتهم؟ والاجابة على هذا السؤال اتخذت شكل مناقشة فى موضوع العقد الإجتماعى العقد أو الاتفاق بين الأشخاص - كوحدات لتكوين المجتمعات ودعم وجودها . وقد ثارت هذه المناقشة خلال القرن السابع عشر ثم ازدادت قوة فى القرن الثامن عشر .

هوبز :

توماس هوبز Thomas Hobbes (١٥٨٨-١٦٥٩) من الفلاسفة الإجتماعين الانجليز أدخل فى تحليله للمجتمع فكرة أن الإنسان كان فى الأصل يتصف بمركزية الذات والانانية وحب اللذة . فهو مستقل ، أما أهتمامه بالناس الآخرين فقائم على قدرتهم على رعاية مصالحة . هو وهم يرغبونه فى نفس الأشياء . فقد تنافس كل يد اخرى واصبحت هذه الحالة من الصراع المستمر مدمر لكل الاطراف كما لا يمكن احتمالها ولذلك وافق كل شخص على ان يتنازل عن بعض حقوقه الثمينة لسيادة أو سلطة مركزية ، عليها أن تضع القانون الذى يوجه السلوك . وهكذا كانت الحرب القائمة بين كل شخص والجميع مع يصاحبها من حالة السيادة على الحاكم . وبهذه الطريقة وجد هوبز نفسه فى موقف الحيرة لانه ساند صورة من الحكومة المطلقة يعتقد فيها ، وانكر فى الوقت نفسه الحق المقدس للملوك فهو يود نظام الحكم المطلق غير

الديمقراطي . وقد اضفى على الملك سلطة بشرية وليست مقدسة . وهو على أى حال جعل السيادة للشعب وليس لحق مقدس .

ولكى يتخلص هوبز من ظروف حرب كل فرد فى حالة الطبيعة حيث لكل انسان الحق فى كل شئ توصل هوبز إلى حالة متطرفة من نظام الحكم غير الديمقراطى . وكان لتعليمه الدينى – البيوريتانى– قد صبغ فكرة الإجتماعى بالقسوة . فقد كان البيوريتان يعتقدون فى القضاء الكامل على ميول الإنسان المتوحش وفى القضاء التام على الملوك . ولم يحلل هوبز بعمق الأسس العزيزية لطبيعة الإنسان .

وقد سئل هوبز عن السبب فى أن النوع الإنسانى لا يستطيع أن يعيش معا فى امن وسلام دون خلق اتفاقات مصطنعة وقد أشاروا له بأن النحل والدبابير لا تحتاج إلى اتفاقات مصطنعة .

لماذا يضطر الإنسان إلى ذلك ؟ وقد قدم ستة اسباب عن اختلاف الإنسان عن الحشرات الإجتماعية :

١– يقوم التنافس المستمر بين الناس من أجل الشرف والاحترام ، ولا تفعل الحشرات الإجتماعية ذلك .

٢– يسعى كل انسان نحو الشر ولذلك فإن الخير المشترك ليس هو بالضبط الخير الخاص.

٣– يسعى بعض الناس إلى اصلاح التنظيم الإجتماعى فى عصرهم .

٤– للإنسان قوة الكلمات المقنعة .

٥– يميز الإنسان بين الاصابة والتدمير .

٦– يصل الناس إلى اتفاقيات من خلال المواثيق .

٤– الفسيوقراط :

عندما حل القرن الثامن عشر ، أصبح مفهوم "حرية الفرد" متبلورا فى مبادئ حقوق الأفراد الطبيعية ، كما أصبحت علاقات التعاقد المجتمعية بين الأفراد المستقلين ومبدأ حرية

العمل والمرور بدأ فى علم السياسة . وقد تبنى الفسيوقراط أفكار الحرية الطبيعية والحرية الاقتصادية ، ومارسوا نفوذا عظيما فى فرنسا خلال الحقبات الثلاث التالية لعام ١٧٥٠ . وكان قادتهم هم كنزنى ، دى جورنى ، كوندرسية ، وتيرجو . وكانوا يعتقدون بوجود قانون طبيعى يحكم الحياة البشرية ، كما يوجد قانون طبيعى يحكم العالم الفيزيقى والإنسان يغضب من القيود الإجتماعية ولكن فى ظل القانون الطبيعى لكل فرد (حقوق طبيعية وأهمها هو الحق فى ممارسة كل قدراته طالما لا يتدخل فى حقوق الافراد الآخرين ويختلف الفسيوقراط عن المفكرين الانجليز من أمثال جون لوك الذين قبلوا فكرة "حرية الفرد" لأن الفسيوقراط يذهبون إلى القول أن العقد الإجتماعى لا يحذف الحرية الطبيعية) .

ويعتقد الفسيوقراط أن الوظيفة الرئيسية للضبط الحكومى هى المحافظة على الحرية الطبيعية للأفراد . وينبغى على الحكومة ألا تنظم الصناعة والتجارة لانها سوف تضر بحقوق بعض الأفراد وبخاصة اصحاب الأعمال . ولمعاملة غير العادلة لأصحاب الأعمال سيجعل معاملتهم قاسية لمستخدميهم ومعنى هذا أن صاحب العمل غير العادل سيكون غير قادر على الحصول على العمال وسيضطر إلى وقت المعاملة الظالمة دون تدخل من الحكومة وبالمثل فإن التاجر غير الامين سيفقد عملاءه وسيطر إلى أن يكون أمينا أو يغلق محلة دون تتدخل الحكومة وأصبح الفسيوقراط مشهورين بعبارتهم : دعه يعمل دعه يمر .

٥- روسو :

كان جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) شخصية محيرة ، وعلى أى حال فهو معروف بانه بطل فكرة العقد الإجتماعى لقد دافع عن الاسرة كنظام اجتماعى ونظر إلى الأبوة بكل تقدير ، ولكنه حمل اطفاله واودعهم أحد الملاجئ . ولقد أدان عناصر التفكك فى الحضارة وطالب بالعودة إلى طرق الطبيعة البسيطة . وفى مؤلفة الرئيسى أميل والعقد الإجتماعى . هاجم الحضارة بكل قوة وأكد أن الحضارة قد دمرت حقوق الإنسان الطبيعية .

ويذهب روسو إلى القول بأن الحياة المبكرة للنوع الإنسانى كانت مثالية فى بساطتها وحلاوتها . فلم تعرف الصراع ولا الحرب . ثم عاد روسو فى كتاباته الأخيرة إلى تعديل

اعتقاده واكد أن الاضطراب البدائى جعل من الضرورى وجود نوع من التنظيم الإجتماعى واعتقد أن الحضارة تولد الشرور الإجتماعية وتؤدى أن اجلا أو عاجلا إلى الانهيار الإجتماعى فقد اصبح الفساد فى المجتمع أمرا مشهورا . وسادت اللامساواة الإجتماعية وهى أمر غير محتمل "لقد ولد الإنسان حرا ولكنه مقيد بالسلاسل فى كل مكان" لقد فقد الإنسان السعادة بسبب تعقد الحياة الإجتماعية .

وينادى بترك الفرد حرا لتنفيذ خططه ومشروعاته ، ولا تقيده بقواعد اجتماعية معقدة أو قيود أو واجبات فليس هناك جزاء اجتماعى على الاطلاق ، وليس هناك سلطة سوى سلطة الطبيعة وهى ضرورية . وفى كتاب "أميل" أخذ روسو شخصيتية الرئيستين : أميل وصوفى إلى جزيرة حيث عاشا معا فى سعادة . لقد سادت الحرية وليس السلطة ولكن أميل الذى ينادى بالحرية وليس بالسلطة ، وكان يصر فى مناقشاته عن العلاقات العائلية بأن المرأة خلقت من اجل مسرة الرجل "أن الحياة غير الإجتماعية غير الانانية لا ميل وصوفى اصبحت شيئا أكثر من النزعة الفردية الخالصة فى حياة فوضوية وحسية . وقد فشل اميل فى عرض مزايا نظريات روسو "أن الإنسان طيب بالطبيعة ولكن النظم تجعله شريرا وكل شئ يكون طيبا عندما ياتى من يدى مؤلف الطبيعة ، وكل شئ بتدهور فى يدى الإنسان" .

وعند تفسير طبيعة "العقد الإجتماعى" اشار روسو إلى أن العقد مصاحب للمجتمع المعقد ، لأن الجماعة الصغيرة والبسيطة لاتحتاج إلى الدخول فى اتفاق دقيق .

أن تكوين هيئة من الناس أو مجتمع يتطلب أعظم درجة من الفهم الإجتماعى كيف يمكن وضع العقد بحيث يتحد كل فرد مع المجتمع ومع ذلك يبقى حرا قدر الامكان .

واعتقد روسو إنه حل هذه المعضلة وأشار إلى أن كل فرد فى العقد الإجتماعى يكسب شيئا معادلا للحرية التى تنازل عنها .

ويعتقد روسو أن العبودية خطأ . فهى عقد أو اتفاق على حساب العبد ولصالح السيد، الذى يقول : أنا أنفذ الأتفاق وأنت تنفذه – طالما يسرنى ذلك . أن القوة لا تخلق الحق ، أن القوة والالزام الاخلاقى ليسا بالضرورة شيئا واحدا ، وفى العقد

الإجتماعي يفقد الإنسان حريته الطبيعة ويكسب حرية مدنية واخلاقية ، الحرية الطبيعية هي الحرية لأن يفعل الإنسان ما شاء من خير أو شر . أما الحرية المدنية أو الاخلاقية وهي الحرية التي يتمتع بها الإنسان في ظل العقد القائم بينه وبين الرب ، وفي ظل المواثيق السياسية بين الإنسان والإنسان . وفي ظل القانون الاخلاقي . فهذه الحرية وحدها هي التي تفعل ما هو طيب وعادل وأمين

إنه روسو الذى اعتقد أن الحياة والحرية والسعادة هي حقوق الإنسان وهذا المبدأ الذى أثر فى توماس جيفرسون الذى أعلن أستقلال الولايات المتحدة أن السيادة لا تعتمد على حاكم أو ملك بل على المجتمع من الناس . لعل هذا القول هو اسهام روسو الرئيسى فى الفكر الإجتماعى .

٦- منتسكيو :

قبل أن يكتب روسو العقد الإجتماعى ، فإن نظرية العقد الإجتماعى اصبحت بالية وتخلى عنها المفكرون . وكتابات منتسكيو (١٥٨٩-١٧٥٥) قدمت لنا تحليلا دقيقا للعمليات الإجتماعية والسياسية . وهذه العمليات تشبه طريقة تحليلات ارسطو ل ١٥٨ دستورا . وقد ناقش منتسكيو مبدأ الحقوق الطبيعية ، ولكنه لم يعتقد أن حالة الطبيعة عند الإنسان هى حالة الصراع حيث يصبح التنظيم الإجتماعى وسيلة لاشباع حاجات الفرد للحماية ، أكد وجود ميل طبيعى فطرى فى الإنسان نحو الترابط . وقد أيد اعتقاده بالاستناد على حقائق جمعها عن حياة الاعضاء الأفراد فى القبائل البدائية . وفى حارب منتسكيو مبدأ العقد الإجتماعى .

ويشير منتسكيو فى كتابه روح القوانين إلى وجود أربعة قوانين مسئوله عن ظهور الهيئات الإنسانية Associations وهى :
١- الحاجة إلى السلام . ٢- الجوع . ٣- الجاذبية الجنسية . ٤- الحاجة إلى صحبة أنسان آخر كما حلل منتسكيو أربعة انماط من الحكومة : ١- الديمقراطية القائمة على الشعور الوطنى والرغبة فى المساواة . ٢- الارستقراطية التى تطالب بحكم الأقلية الفاضلة لصالح رفاهية الجميع . ٣- الحكم الملكى. ٤- الحكم الاستبدادى : وهو حكم شخص واحد باستخدام الخوف .

كما أم منتسكيو فى روح القوانين شرح قوانين عدد كبير من الأمم فى محاولة لاظهار العلاقات بين تلك القوانين والظروف الإجتماعية والسياسية وهو يعتقد أن القوانين هى نتائج طبيعى لظروف الحياة لاتنشأ عن الأتفاقات التعاقدية الرسمية . ومن ثم فالمجتمع تطور طبيعى وليس تعاقدا .

٧- مذهب التجاريين :

أن نظرية الحقوق الطبيعية والمذهب الفردى الناشئ عنها لم تنكر مفهوم العقد الإجتماعى فحسب بل ودخلت أيضا فى صراع مع المفهوم الإجتماعى - الاقتصادى عند مذهب لقيام الحكومات بتنظيم المشروعات الصناعية والتدخل فيها من أجل بناء دولة الامة القومية . وقد وصلت التجارية إلى صورتها الدقيقة فى فرنسا فى كتابات كولبرت (١٦١٩-١٦٨٣) وانتشرت فى أوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وهو مذهب نشأ من نظام الإقطاع ومن مجتمع دولة المدينة . وقد عمل هذا المذهب على تجميع المدن معا لتكون وحدات قومية . ففى ظل الإقطاع كانت المدينة تنظم صناعتها من أجل تقدمها ضد رفاهية المدن المجاورة . ولذلك عمل مذهب التجاريين على ضم المدن وتوحيدها وخلق فى سكان المدن الولاء القومى .

وفى ظل مذهب التجاريين دخلت الأمة عهد تنظيم الصناعة والمال من أجل بناء دولة قوية وتسعى لأقامة توازن لصالح الدولة من أجل ازدياد رصيد الذهب لذلك وضعوا نظام التعريفة الجمركية ويفضلون كثافة سكانيية مرتفعة من أجل الحصول على عمل رخيص ومن ثم يمكن التوسع فى الصناعة ، التى بدورها تنمى التجارة الخارجية وتأتى بالذهب وهو مصدر القوة للامة .

والمذهب التجارى فى فرنسا وأنجلترا لقى مصرعه خلال القرن الثامن عشر على يد نظرية "دعه يعمل" التى يرتبط بها أسماء الفسيوقراط وادم سمت . أن مذهب التجاريين لا يساند أهداف الأمة بل المصالح الخاصة . وعلى أى حال فقد لعب المذهب دورا قويا فى بناء مفاهيم الوحدة القومية والولاء .

٨- آدم سميث :

كان آدم سميث (١٧٢٣-١٧٩٠) اقتصاديا فى المحل الأول ويشار إليه باعتباره مؤسس الاقتصاد السياسى . له تأثير قوى على الفكر الإجتماعى . وقد زاوج بين نظرية الحقوق الطبيعية بعد أن عدلها مع مبدأ المشاركة الوجدانية . وقد دافع عن حقوق الفرد الطبيعية وعن الطبقات الفقيرة فى المجتمع وعن الأمم الصغيرة . وقد هاجم بقوة مبدأ التجاريين بنظامة عن التدخل الدقيق والرقابة . وقد عارض ترقية مصالح أحد طبقات المجتمع لأنه يضر بمصالح كل الطبقات وكل الأشخاص فى ذلك المجتمع . وقد أشار إلى أكذوبة بناء الدولة من التجار لأن الحكومة فى هذه الأمة ستتأثر بمصالح هؤلاء التجار الذين يتدخلون فى شئونها ويسيطرون عليها وتتجاهل مصالح الطبقات الأخرى . وقد دافع آدم سميث عن طريق بريطانيا العظمى فى تنظيم المستعمرات الامريكية . أن منع المستمرات الامريكية من أن يفعل ما تريده فيما تنتجه إلى منعها من إستخدام أموالها وصناعاتها بالطريقة التى تتفق مع مصالحها تماما ، هو انتهاك واضح لمعظم حقوق الإنسان المقدسة وقد استحل التجاريون احتكار سلعة أو أخرى وهو أمر يعارضه سميث . أن مذهب التجاريين هو التنظيم ويتم التنظيم عادة لصالح الاغنياء الأقوياء وبذلك يهمل الفقراء ويقهرهم . لكن سميث فشل أيضاً فى إدراك أن سياسة دعه يعمل لصالح الاغنياء ويهمل الفقراء . فهو يرى أن التجارية تعتبر الانتاج وليس الاستهلاك معيار الكفاية للصناعة والتجارة وبذلك يحابى طبقة على حساب الطبقات الأخرى .

ويعتقد سميث أنه حيث توجد الثروات الضخمة توجد اللامساواة الواضحة لأنه عندما يوجد رجل غنى جدا يوجد بجانبه ٥٠٠ رجل فقير ، فثراء الأقلية يفرض العوز والفاقة على الأكثرية ، ولا يستطيع أى مجتمع أن يزدهر ويصير سعيدا عندما يكون الجانب الاعظم من اعضائه فقيرا وبائسا ، ويحقق للعمال الحصول على نصيب مما ينتجونه حتى يمكنهم الحصول على الطعام والكساء والمأوى . إن الفقر لا يمنع من إنجاب الأطفال ولكنه يضر تماما بتربية الأطفال وقد أشار سميث إلى أربعة أسباب للمساواة الإجتماعية .

١- تفوق المؤهلات الشخصية مثل القوة الجسدية والجمال ، ورشاقة الجسم أو الحكمة والفضيلة والفطنة والعدالة والعزم وتوسط العقل .

٢- تفوق العمر والخبرة .

٣- تفوق الثروة الأثرياء يعطون السلطة الإجتماعية الأثرياء يشترون القوة .

٤- تفوق المولد قائم على هيبة الاسرة .

وقد أوضح سميث مزايا تقسيم العمل فى الصناعة مع الأزدياد الناشئ فى كمية العمل .

هناك ثلاث مجموعات من الظروف السببية :

١- إزدياد النشاط .

٢- توفير الوقت الذى يقتضى الانتقال من عمل لآخر .

٣- اختراع عدد كبير من الآلات وعلى أى حال فإن سميث آسف على الآثر الضار على الفرد من تكرار عملية بسيطة مئات أو الآف المرات كل يوم وبايجاز فإن آدم سميت:

١- طبق مفهوم الحقوق الطبيعية على الظروف الصناعية .

٢- طور مفهوم هيوم عن المشاركة الوجدانية إلى نظرية المساعدة المتبادلة بين الأفراد والطبقات والأمم .

٣- ساند ضرورة تقسيم العمل .

إن نظريات الحقوق الطبيعية والعقد الإجتماعة أثرت فى التفكير بطريقة أو بأخرى وأثرت على المفكرين الذين ذكرناهم وعلى عدد كبير غيرهم .

مذهب المنفعة :

إن مذهب المنفعة يتصل اتصالا وثيقا بالمناقشات المتعلقة بالحقوق الطبيعية والعقد الإجتماعى ، وهو يمثل صورة معدلة من المذهب الفردى مع وجود مستويات محددة ومن أشهر ممثلى هذا المذهب بنتام وميل .

٩- جيرمي بنتام : Jeramy Bentham

جعل مذهب المنفعة معرفا تماما ، وبخاصة هذا المعيار : اعظم نفع من أكبر عدد ، وتبعا لفكرة صورية عن التغير الإجتماعي إدعى بنتام أن التحسينات الإجتماعية يجب أن يقوم بها المشرعون وطالب بوجود معايير موضوعية بدلا من تأكيد الدافع الداخلى الذى اشار إليه كانت . وقد ابرز كانت سلوك "كيف" فى حين أن بتنام أصر على ما هو السلوك وقد أشار إلى الحاجة إلى صور من الحكومة المحسنة ، ويبدو أنه كان يتجاهل أو على الأقل لا يفهم كثيراً الحقيقة القائلة أن التقدم الواقعي يأتى أساسا من خلال تعديل العمليات العضوية . وعلى أى حال يمكن اعتبار بنتام مصلحا إجتماعيا وقد جعل الرفاهية الإجتماعية الهدف الرئيسى .

١٠- جيمس ميل : (١٧٧٣-١٨٣٦) James Mill

ثم جعل جيمس ميل مسئولية الدفاع عن مذهب المنفعة ، الذى وصل إلى قمة قوته على يد ابنه جون ستيوارت ميل (١٨٠٦-١٨٧٣) واعتقد ميل الأب أن المنفعة هى الأخلاق وهو مثل بنتام طالب بكثير من الإصلاحات الإجتماعية .

أما جون ستيوارت ميل فقد تبنى صوره معدلة من نظرية الحقوق الطبيعية وأكد أن الفرد ينبغي أن يكون له كل الحقوق التى يستطيع ممارستها دون أن يتدخل فى حقوق الأفرادأو الآخرين . وقد أدرك ميل أن الملذات التى تشبع الكائنات البشرية لها ترتيب معين وقد أعلن أن من الأفضل أن يكون إنسانا غير راضى عن أن يكون خنزيرا راضيا وقد عارض تصنيف الناس على أساس الفقر والغنى وطالب باحلال معايير الاستحقاق الشخصى والشرف والزعامة الحقة كأسس للتصنيف الإجتماعى .

١١- سيرهنرى مين : (١٨٢٢-١٨٨٨) Sir Henry Maine

ابتكر مين عبارة من المركز الإجتماعى إلى التعاقد . وطبق هذه العبارة على برنامج للرفاهية الإجتماعية . وهناك توضيحات كثيرة أشار إليها فى التجارة والحياة الصناعية أن لم يكن فى الأنشطة السياسية والأخوية حيث يعقد الناس روابط إجتماعية وعقد

الزواج له كثير من خصائص العقد الإجتماعى الأصيل . وقد دفع مين بفكرة العقد الإجتماعى إلى ابعد نقطة عملية ، ولكنه لايعتقد فى امكان أن تأتى الجماهير إلى مركز القوة . أن مذهبة الفردى قد حرمه من الاعتقاد فى التطور الإجتماعى الممكن لغير المتعلمين[1] .

---

(١) يوسف كرم تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥

الفصل الثامن

الفكر الإجتماعى فى القرن الثامن عشر

مع حلول القرن الثامن عشر بدأ عصر جديد فى الفكر الإجتماعى وبدأ المفكرون يتجنبون التأمل القديم وتفسير المجتمع فى مصطلحات ذاتية . فقد عرض فيكو Vico نظرية التقدم وإتجاهاً جديداً فى دراسة المجتمع البدائى وعكس بركلى Barkley والمصلحون الإجتماعيون تأثير العلم الطبيعى عند نيوتن . كما كان منتسيكو أول من تناول علم الإجتماع بطريقة موضوعية ووصفية . وكان تيرجو Turgot وكانت Cant وكوندرسيه Candercet أول من دافعوا عن مبادئ إستمرار التاريخ وإمكانية التقدم الإنسانى بلا حدود كما اشتركوا مع هيردر Herder وغيره فى الكتابة عن فلسفة التاريخ كما أن هيوم Hume قدم أول تفسير سيكولوجى للمجتمع وأدان نظرية العقد الإجتماعى وأشار إلى ضرورة دراسة طبيعية العقيدة كصورة من صور السلوك الإنسانى .

وقد استطاع كل من فيرجسون Ferguson وهيودر Herder الجمع بين الطريقتين الموضوعية والذاتية فى تحليل العمليات الإجتماعية ، كما أن الفسيوقراطيين Physiocrats فضلاً على آدم سميث والإقتصاديين الكلاسيك درسوا النتائج الإقتصادية دراسة تفصيلية دقيقة . وقد أكدت الثورة الفرنسية تأكيداً مبالغاً فيه لمبدأ سهولة انقياد العمليات الإجتماعية إلى الإتجاه الرشيد الصناعى . ثم ظهر المدخل التاريخى العملى فى دراسة النظم الإجتماعية وأخيراً جاء سان سيمون Saint - Simon فصنف العلوم وأشار إلى الحاجة إلى وجود علم تركيبى عن المجتمع لإمكان توفير موجه ثابت لإعادة بناء النظام الإجتماعى العام .

وعلى أى حال فالخطوط المتعددة بالنسبة لمدخل تفسير العمليات الإجتماعية كانت فى عملية نمو خلال القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ، وعندما يفكر المرء فى الموقف يبدو أن الأمر ليس غريباً من لعلم الإجتماع . فلم يقم بمعجزة ، فهو

على أفضل الأحوال أن كونت كان قادراً بعد عام ١٨٢٠ على وضع قوانين نسق تركيبي للتفسيرات المختلفة التى كانت موجودة فى عصره . وسنحاول عرض أفكار أهم هؤلاء العلماء .

١ - منتسكيو : (١٦٨٩ - ١٧٥٥) Montesquieu

لمنتسكيو آراء كثيرة أهمها : تفسيرات جغرافية وبيولوجية للمجتمع ثم المدخل التاريخى فى دراسة المجتمع .

(أ) التفسير الجغرافى والبيولوجى :

إن الإطلاع على كتابات هيبوقراط Hippocrates وأرسطو والأكوينى وبودان Bodin يكشف عن نظريات تتناول أثر العوامل المادية - والطقس بصفة خاصة - على الإنسان والمجتمع . وقد نمت الفكرة بعد عام ١٧٠٠ وعرض منتسكيو Montesqieu (١٦٨٩ - ١٧٥٥) فى كتابه روح القوانين The Spirit of Laws (١٧٤٨) هذا تفسير للعمليات الإجتماعية والسياسية .

كان الغرض من كتاب روح القوانين وضع المبادئ الأساسية التى ينبغى أن يقوم عليها التشريع . وتوصل منتسكيو إلى هذين المبدأين :

١ - توافق النظم والتشريعات مع طبيعة الشعوب التى وضعت من آجلها .

٢ - التفاعل بإنسجام بين النظم والقوانين وغيرها من الوسائل بضمان الضبط الإجتماعى المناسب للجماعة . وقد أدت هذه الفكرة بمنتسكيو إلى دراسة العوامل التى تؤدى إلى الإختلاف بين الشعوب من ناحية خصائصها المادية والثقافية . ووجد أن السبب الرئيسى لهذا الإختلاف بين الثقافات يرجع إلى العوامل الجغرافية وبخاصة الطقس . وبدارسة أثر العوامل الجغرافية وبخاصة الطقس . وبدراسة أثر العوامل الجغرافية فى الإنسان يمكن فهم سمات الشعوب المختلفة وبذلك يمكن تحديد القوانين والنظم التى تناسب كل شعب من الشعوب.

واهتم منتسكيو بالدراسة المقارنة فلم يتكلم عن الدولة المثلى ولا النظام الإقتصادى المطلق بل إعتقد فى أن النظام الأفضل هو الذى يتناسب أكثر من غيره مع ظروف الشعب وبذلك أوضح تأثير البيئة الجغرافية على النظم الإجتماعية المختلفة .

وأدعى منتسكيو أن نظام الحكم الإستبدادى يناسب البلاد ذات الطقس المعتدل والنظام الجمهورى يناسب سكان المناطق الباردة ، ومن ناحية الدين فالإسلام يناسب سكان المناطق الحارة والكاثوليكية تتفق مع شعوب المناطق ذات الطقس المعتدل أما البروتستانية فتناسب أهالى المناطق الباردة . وعندما درس نظام الزواج رأى أن تعدد الزوجات يتفق مع شعوب المناطق الحارة ، فى حين أن زواج الرجل الواحد من إمراه واحدة أمر مفضل فى المناطق المعتدلة والباردة ومن ناحية أخرى يجب تحريم شرب الخمر فى البلاد دائمة الطقس الحار لأن سكان تلك البلاد لا يحتاجون للإثارة كى يعملوا بنشاط وقد يكون شرب الخمر أمراً مقبولاً فى المناطق الباردة بسبب حاجة السكان إلى حرارة داخلية لأثارة حواسهم نظراً لفتورهم وشعوره بالمبالاة(*) .

وكان إهتمام منتكيسو بأهمية العوامل الجغرافية فى تشكيل النظم الإجتماعية من العوامل التى أدت ظهور إلى الجغرافية البشرية فضلاً عن أن كثيراً من علماء التاريخ والسياسة والإقتصاد أثبتوا صحة بعض آرائه .

فاعتقد كونت بوفون **Count Buffon** أن الخلافات بين الأجناس ترجع أساساً إلى الإختلافات بين المواطن الجغرافية التى تقيم تلك الأجناس عليها كما أن - الفيلسوف الألمانى هيردر **Herder** يتفق مع منتسكيو على أثر البيئة الجغرافى على الإنسان ولو أن إهتمامه بالقوى العضوية والنفسية تفوق كثيراً إهتمام منتسكيو .

ويعتبر منتسيكيو من أعظم من كتبوا عن النظرية السياسية فى القرن الثامن عشر ونشر كتاباته الأولى عام ١٧٢١ بأسم الخطابات الفارسية وفيها يوجه إنتقاداته إلى المجتمع الفرنسى على لسان اثنين من الرحالة الفارسيين وهما يكتبان إلى أصدقائها وأقاربهما فى إيران عن المجتمع الفرنسى .

وقد أسهم منتسكيو أيضاً فى وضع المدخل التاريخى لدراسة المجتمع ونستطيع قراءة أفكاره عن الأساس الإجتماعى للتاريخ فى كتابة روح القوانين ولكن ما أضافه إلى المدخل التاريخى يتضمنه كتابه "أسباب عظمة وسقوط الرومان" الذى ظهر عام ١٧٣٤ وقد

(*) يختلف المؤلف تماماً مع هذه الأفكار .

برهن هذا الكتاب على عمق القوانين . ولكن ما أضافه إلى المدخل التاريخى يتضمنه كتابه "أسباب عظمة دراساته التاريخية وأوضح الأسباب التى أدت إلى قيام الأمبراطورية الرومانية كما أوضح الأسباب التى أدت إلى إنهيارها وقد سبق كثيراً من العلماء المحدثين فى القول بأن السبب الرئيسى لأنهيار الأمبراطورية الرومانية هو أنها توسعت بدرجة كبيرة حتى أصبح أقتصادها لا يساند هذا التوسع .

المدخل التاريخى فى دراسة المجتمع :

لم يقتصر إسهامات منتسكيو على تقديم بعض الأفكار للجغرافيا البشرية بل أهتم كثيراً بدراسة المجتمع الإنسانى دراسة تاريخية فأكد تنوع القوى التى تؤدى إلى تحسين التطور الإجتماعى ، وأهتم بصفة حاصة بالعوامل التجارية والجغرافية . ودرس منتسكيو وأتباعه أثر الثورة التجارية فى تاريخ المجتمع الإنسانى . وكانت أفكاره عن الأساس الإجتماعى التاريخى قائمة فى كتابه روح القوانين ولكن ما أضافه للتاريخ تضمنه كتابه أسباب عظمة وسقوط الرومان (١٧٣٤) .

Causes of the greatiness and decadeness of the Romans .

وقد برهن هذا الكتاب على عمق مدخله فى دراسة التاريخ فقد وضع تركيباً شاملاً لأسباب قيام الحضارة الرومانية وأسباب إنهيارها . وقد سبق علماء محدثين بالقول أن السبب الرئيسى لأنهيار الأمبراطورية الرومانية هو أنها توسعت بدرجة كبيرة للغاية حتى أن الإقتصاد الرومانى لم يعد قادراً على مساندة هذا النمو والتوسع .

وقد تفوق منتسكيو على عدد من المؤرخين البارزين وعلماء الإجتماع التاريخى ومن أهشر هؤلاء أرنواد هيرمان **Arnold Herman** وهو مؤرخ لنظم وتجارة العصر القديم ، وآدم فيرجسون **Adam Ferguson** وهو أول عالم فى الإجتماع التاريخى .

العناصر السوسيولوجية فى الفكر السياسى :

يعتبر منتسكيو من أعظم من كتب عن النظرية السياسية فى القرن الثامن عشر وهو من بين من أسس علم السياسة الرشيدة **Rational Politics** وهو أحد النبلاء

الفرنسيين الذى عكف فى مرحلة مبكرة من عمره على دراسة النظم الإنسانية وكانت كتاباته الأولى تعرف بأسم الخطابات الفارسية The persian letters (١٧٢١) حيث هاجم بشدة المجتمع الأوربى فى ذلك الوقت من وجهة نظر اثنين من الرحالة وهما شخصيتان وهميتان تخليهما منتسكيو . ومن خلال بعض القصص الخيالية لهذين الفارسيين اللذين يكتبان إلى أصدقائهما وأقاربهما فى فارس عن المجتمع الفرنسى ، كان منتسكيو قادراً على أن يهاجم بذكاء وأسلوب لاذع كل النظام الإجتماعى الفرنسى . وقد اتخذت هذه الكتابات الذكية طريقها إلى البلاط الفرنسى حيث كانوا يقرأونها .

وكان منتسكيو كغيره من الشخصيات الأوربية – مفتوناً بالرومان ، واعتقد أن تاريخهم يمثل معملاً تاريخياً كاملاً لدراسة النظم الإنسانية ونشر فى عام ١٧٣٤ نتائج هذا التأمل الذى استمر عدة سنوات تحت عنوان "عظمة وسقوط الرومان" وبعد ذلك بأربعة عشر عاماً نشر أعظم أعماله وهو كتاب روح القوانين ، ويختلف منتسكيو عن معظم المفكرين الإجتماعيين المعاصرين له ، فى أنه لم يضع حلاً ميكانيكياً للمشاكل الإجتماعية ، ولكنه يضع ما يصل إليه من مكتشفات لمساندة أى إصلاح إجتماعى ، وقد طور الدراسة المقارنة للنظم الإجتماعية تطويراً عالياً . ولم يقتصر على دراسة موقف خاص ، بل طرق كل مجالات المعرفة المعروفة عن الجماعات كالعرف والقوانين باحثا عن الروح الكامنة وراءها وإلى جانب قراءته الكثيرة فإنه قام برحلات عديدة وزار تقريباً كل البلاد الأوربية. وقد وضع منتسكيو الحقائق التى جمعها بعناية فى كتابه روح القوانين ، الذى لا يحتوى إلا على عدد قليل من التعميمات القاطعة التعسفية . وقد تكون الخاصية المميزة لهذا الكتاب هو عدد الأقتراحات التى قدمها لمشرعى القوانين . كما أنه لم يقدم إقتراحات عن إصلاح قوى عنيف ، وحتى أعجابه بالدستور البريطانى الذى أساء فهمه لم يؤدبه إلى المطالبة بتطبيقه فى فرنسا .

وكانت فكرته الأساسية – كما ذكرنا من قبل – أن القوانين والعرف والنظم تنتج عن العوامل الجغرافية وبخاصة الطقس وأن ما قد يناسب شعباً من الشعوب قد لا يكون مناسباً لشعب آخر . وعلى هذا الأساس رفض تطبيق النظام البريطانى فى فرنسا .

وأننا نجد عند منتسكيو قليلاً من المشاركة الوجدانية لأفلاطون ويرى أن الإحتكاك الثقافى يلعب دوراً كبيراً فى خلق الحضارة ، ولكنه يقضى على العادات ، ويجعل الشئ المقدس دنيوياً وهذا يلازم طبيعية عملية التمدن Civilizign process .

ولعل الأفكار الرئيسية فى كتاب روح القوانين كالآتى :

١ – بعض الشعوب التى لم تعرف الكتابة فى مستوى منخفض من التطور الثقافى بسبب الزلة أساساً ، وليس بسبب عوامل الجنس Race أو العوامل الجوية .

٢ – فى الفترات المبكرة ، التجارة والإتصال جانبان لظاهرة واحدة .

٣ – تاريخ التجارة مرتبط بتاريخ الصراع والحراك الأقليمى بصفة عامة .

٤ – الأدب Politeness وأخلاق الطيبة ، تطورت بصورة كبيرة فى الثقافات حيث تطورت التجارة .

٥ – قد يؤدى الإحتكاك الثقافى إلى نشأة الأعتقاد بالطبيعة النسبية للأعراف .

٦ – قد ينشأ بين السلوك Manners والأخلاق Morals وعداء متبادل وغالباً ما يحدث ذلك .

٧ – ترتبط الكثافة السكانية بالصراع من أجل المركز الإجتماعى .

٨ – تكرار الأثارة يجعل الناس يستجيبون أسرع للفكر الجديد (جانب واحد من الحراك الفكرى) .

٩ – الكثافة السكانية مطلوبة لنمو نظام التبادل النقدى .

نظريته فى التغير الإجتماعى :

لا توجد آثار من الأستجابة ضد حماس المصلحين والتقشف الأسبرطى عند أفلاطون . كان منتسكيو معجباً بالدستور البريطانى اللارشيد هو صاحب كتاب خطابات فارسية فيها هجوم فلسفى على النظام القائم وكتاب روح القوانين الهجوم المباشر على حصون

كل من الدولة والكنيسة وهو من أشهر الكتب التى ظهرت فى ذلك القرن ، ظهر عام ١٧٤٨ آثارة على الثورة الفرنسية يبدو أن منتسكيو كان واعياً بآثار العزلة والدور الذى تلعبه الهجرة وبخاصة من جانب الرحلات التجارية فى إنهيار الأخلاق المحلية ، وخلق سوء التنظيم الإجتماعى .

وتوجد فى نفس الوقت تجمعات حضرية جديدة وتزيد من الأستهلاك .

وهناك أمثلة من بعض كتاباته :

"يتكون الجزء الأعظم من الناس على الساحل الأفريقى من المتوحشين والبرابرة وأعتقد أن السبب الرئيسى لهذا يرجع إلى أن البلاد الصغيرة التى يمكن السكنى فيها منفصلة الواحدة عن الأخرى بسبب مساحات شاسعة من الأراضى غير المؤهلة بالسكان . وهم لا يستغلون بالفنون .

أن تاريخ التجارة هو تاريخ إتصال الشعوب . وتتكون معظم الأحداث غير العادية من هزائم عديدة .

وأننا لا نندهش إذا كانت أخلاقنا فىالوقت الحاضر أقل وحشية مما سبق . فقد نشرت التجارة فى كل مكان المعرفة بأخلاق كل الأمم وهذه تتم المقارنة بينها ومن هذه المقارنة تنشأ مزايا عظيمة .

ويمكن القول أن القوانين التجارة تحث على الأخلاق وهى تدمرها للنفس السبب فهى تفسد أحسن أخلاق . وكان هذا موضوع شكاوى أفلاطون ، وأننا نرى كل يوم بأن تصقل وتتقى أكثر بالشعوب بربرية .

٢ – تيرجو Turgot ودورة الصراع Combat :

بعد نشر الكتاب العظيم لمونتسكيو بوقت قصير ظهر تلميذ شاب الكنيسة الذى يدعى تيرجو قبل فى السربون حصل على وظيفة الدجروس والتى وتقصى بأن يلقى دروساً لاتينه مطولة فى السوربون فى هذه الدروس نجد سلسلة من التصميمات السوسيولوجية ، أن حياته كرجل دولة وأقتصادى فيزيوقراطى Physioceratic يتميز بسلسلة من الكتابات الهامة .

طريقة تيرجو فى استنفاذ التفسير الأخلاقى **Moral** .

قبل أن يلجأ إلى التفسير بالرجوع إلى الأعتبارات البيولوجية . أن التشابه لأساسى بين البشر هى مسلمة منهجية "نفس الحواس" نفس الأعضاء . منظر نفس العالم يعطى الناس دائماً نفس الأفكار ، تماماً مثل نفس الحاجات ، ونفس القابلية قد علمتهم فى كل مكان نفس الفنون ولكن على الرغم من هذا التشابه الأساسى فإن الإنسان كما يوجد فى تنظيماته الإجتماعية هو شئ مختلف .

ثم أثار هذا السؤال : ما هو أسلوب عمل التغيرات الإجتماعية التى حدثت بالفعل ؟ ولكى يجب على هذا السؤال يجب الأجابة أولاً على سؤال آخر : كيف يمكن تفسير الأستقرار لنفس النظم .

أن العزلة ، نقص الإحتكاك الثقافى وأحد التفسيرات خاصة للمراحل الدنيا من الثقافة .

وأثناء تطور الثقافة ، نظم التعليم والدين يلعب دوراً كثيراً فى تثبيت الأنماط فى أن تضفى عليها الجمود وعدم المرونة .

ويحدث التغير الإجتماعى بفضل تأثير الهجرة والإحتكاك الثقافى وبخاصة من خلال وسيط التجارة تصبح كل أمة تمثل مرحلة إنتقالية بين جيرانها ولا يعنى تيوجر أن الهجرة والظواهر المرتبطة بها هى العوامل الوحيدة فى التغير الإجتماعى ، لأن الثقافة الخاصة بأى جماعة تحدث بها بعض التعديلات حتى إذا لم يحدث أى أحتكاك بجماعات أخرى ويرى تيرجو "أن الجنس الإنسانى قد يظل إلى الأبد فى حالة متوسطة إذا لم يتعرض الهجرات والهزائم" .

وقد أشار تيرجو إلى أن فترات من التغير البطئ والسريع يتبع أحدها الآخر "الكتلة الكلية من النوع الإنسانى خلال تعاقب الهدؤ والأضطرابات ، أيام الخير وأيام يستمر فى للتقدم .... نحو درجة عالية من الكمال" نستطيع القول أ، تيرجو كان بحسى مؤمناً .

بل الصراع هو أساس كل شئ **Conflict is the father of all things** .

وتكلم عن دورة الصراع كان تلميذاً لابن خلدون .

وأخيراً لا نستطيع أن نحذف أهم إسهامات تيرجو :

خطط بوضوح عملية السيادة وتنظيم العالم فى جوانبه السياسية قبل قرنين من خطط الزمان تقريباً عندما قام علماء الأيكولوجيا الإنسانية بوضع المفهوم العام . وإذا كان البحث قد سار تبعاً لتأملات تيرجو لكان التفكير السوسيولوجى فى الوقت الحاضر أكثر تقدماً .

التعميمات التى وصل إليها تيرجو فوضعها فى مصطلحات حديثة ونلخصه على النحو التالى ؟

١ – الاختلافات بين الجماعات الثقافية ينبغى دون الرجوع إلى العوامل غير السوسيولوجية إذا أمكن .

٢ – العزلة الضبط الإجتماعى من الثقافات .

٣ – الهجرات العظيمة الناشئة عن الهزيمة هى الوسائل عن طريقها يحدث الضبط الإجتماعى : إنهيار بفاعلية فى الثقافات القديمة .

٤ – تحرير طاقة الفرد التالية لإنهيار الضبط الإجتماعى هى السابقة Antecedent المباشرة للتغير الإجتماعى والتقدم (التعقد الثقافى المتزايد) .

٥ – العملية التى بواسطتها يحدث التغير الشخصى والإجتماعى هى لتورية وتتبع نمط التوازن (الثبات) – عامل معتدى Intrusive توتر وقلق – زمة صراع (تفكك) Release نزع فردية Indivi duation توفيق (إعادة تنظيم) توازن جديد .

٦ – ستكرر دورة الصراع حتى مرحلة تنظيم العالم تحت مركز سيادة واحداً . بعد تيرجو من الصعب أن نجد أحداً يتناول مشكلة الهجرة الملازمة للحروب بطريقة جديدة ، معظم نظريات الصراع التالية تبدو كصدى لدروس هذا الرجل الفرنسى – العظيم . وقد أستهلك تيرجو فكرة الهجرة الأمنة Peaciful Migralion وأهتم كثيراً بالأتصال بصفة عامة والتجارة بصفة خاصة .

المركيزدى كوندريسه Marquis de Condercet (١٧٣٤ – ١٨٩٤) :

يمثل كوندريسه تلك الجماعة التى تنظر إلى الثورة الفرنسية بإعتبارها تمهد الطريق لعصر جديد من الحضارة . وتحدث كونت عن كوندرسية بإعتباره أفضل من درس الديناميات الإجتماعية فى القرن الثامن عشر ، كما كان منتسكيو أفضل من درس الأستاتيكا الإجتماعية .

وكتاب كوندريسية المسمى "التقدم الفكرى للنوع الإنسانى" .

A Sketch of the intellectual progress of mankind .

(١٧٩٣) يعتبر أعظم الكتابات المتفائلة فى ذلك العصر وأدى به إستعراضة للمراحل السابقة من التاريخ إلى الأعتقاد بأن الحضارة تتقدم بسرعة وأنه يجب النظر إلى الثورة الفرنسية بإعتبارها قمة تلك العملية . ووضع نظرية التقدم التاريخى التى فاقت كثيراً الكتابات الأولى لفيكو Vico وتيرجو Turgot وبذلك بلغت فلسفة التاريخ أقصى صورها وأقوى مظاهرها بنقل ما كتبه كندورسية وتقتضى فكرة التقدم إزدياد المعرفة ونمو التحصيل العلمى .

وقسم كوندرسية تاريخ الإنسانية إلى عدة مراحل آخرها الآمال أما المراحل التسع الأخرى فهى : المرحلة الرعى واستئناس الحيوان ، مرحلة الزراعة ، مرحلة الحضارة اليونانية ، مرحلة الحضارة الرومانية ، القرون الوسطى والمسيحية ، عصر الأقطاع ، عصر إختراع الطباعة ، عصر الثورة الفرنسية . وقد انفرد كوندرسيه دون غيره من المفكرين ببحث مسألة مستقبل الإنسانية . كان متفائلاً ، وقدم كثيراً من الثوابت الدقيقة والمبالغ فيها لما يستطيع العلم تحقيقه للإنسان وبذلك كان أحد الكتاب الأوائل الذين يجمعون بين النظريات العملية والنظريات اليوتوبية عن المجتمع والواقع ان فلسفة التاريخ لا تتفق مع اتجاه علم الإجتماع ، لأن لا يقر فكرة اتقدم المطلق للإنسانية فهى فكرة فلسفية شخصية، تعبر عما ينبغى أن يكون وليس عما هو كائن بالفعل . أن فكرة التقدم تختلف عن الفكرة السابقة وهى الأنحدار من عصر ذهبى ، وكان هيزيود Hesiod أول من عبر عنها ، وقد أثرت تأثيراً عميقاً فى الفكر الأوربى حتى القرن التاسع عشر ، وهى الفكرة

التى تستند عليها الديانات السماوية من أن آدم وحواء كانا يعيشان فى الجنة ثم هبطا إلى الأرض عندما عصيا أوامر الله سبحانه وتعالى .

الثورة الصناعية ونشأة علم الإجتماع :

كانت الثورة الصناعية ولا تزال من أعظمها التغيرات الإجتماعية التى حدثت تاريخ المجتمع البشرى . لقد غيرت الحياة الإجتماعية فى أوربا الغربية ولكن لابد من مواصلة ظروف الحياة الجديدة التى أوجدتها الصناعة . وفى الواقع أدت الثورة الصناعية إلى الكثير من الخير فقد زاد الإنتاج ووجد كثير من العاطلين فرص العمل فى الصناعة ، ولكنها إلى جانب ذلك أوجدت كثيراً من الشرور والأثام ، فقد كان العمال يعملون ما يزيد عن ١٦ ساعة فى اليوم الواحد ، ولم تكن ظروف العمل طيبة . فضلاً عن القسوة فى المعاملة ، ولم يكن هناك أن إهتمام بحماية العمال من الأضرار التى تصيبهم من الآلات. كما لا تقدم لهم رعاية طيبة . وإلى جانب ذلك استخدمت الصناعة كثيراً من النساء والأطفال وكانت تفضلهم على الرجال لأنهم يقبلون أجوراً أقل . وبذلك أدت الصناعة إلى تفكك الأسرة ، فالنساء والأطفال يعملون والرجال عاطلون عن العمل . ومعنى هذا أن حالة العمال كانت سيئة داخل المصانع ولكن حالتهم خارج المصانع لم تكن أقل سوءاً. إذ هاجر الريفيون بأعداد كبيرة إلى المدن ، واستغل بعض أصحاب الأموال هذا الحال فبنوا كثيراً من المساكن التى تتوافر فيها الشروط الصحية ، ولذلك نشأت فى المدن كثير من الأحياء المتخلفة . وهكذا ساءت أحوال العمال . وقد أدى هذا بالمفكرين والمصلحين والأدباء إلى التفكير فى إعادة بناء المجتمع الغربى من النواحى الإجتماعية والإقتصادية . ونشأ ما يسمى بالحركة الإنسانية التى تستهدف الأهتمام بالإنسان . وبدأت حركات الإصلاح الإجتماعى على أساس التعارف والمشاركة الوجدانية بين المصلحين الإجتماعيين الفقيرة ولكن تبين بعد ذلك أن هذا الإصلاح كى يكون نافعاً لابد من أن يعتمد على علم للمجتمع . ذلك العلم الذى يوضح طبيعة التحسن الإجتماعى وحدوده . ولم يبدأ دراسة الظواهر الإجتماعية دراسة سوسيولوجية إلا مع أوجست كونت ثم تطورت هذه الدراسة بفضل علماء الإجتماع الذين جاؤا من بعده .

أوجيست كونت

ولد (أوجيست كونت) فى مونيلية بفرنسا وتلقى دراساته العليا فى مدرسة الهندسة وتتلمذ على يد سان سيمون لمدة ستة أعوام وكان من تلاميذه المتحمسين لمذهبه ، ولكن الشقاق دب بينها بعد ذلك لأن موقف الأستاذ كان تقدمياً أكثر من اللازم بينما كان تلميذه محافظاً . ومن المؤلفات الهامة التى ألفها فى شبابه والتى عرض فيها معظم أرائه الفلسفية والإجتماعية هى الدراسات التى سماها (الفلسفة الوضعية) وكان ذلك فى سنة ١٨٢٦ وقد عرض فى هذا الكتاب تصنيف العلوم وضرورة قيام علم الإجتماع وطبيعته مع تقسيمه إلى قسمين كبيرين هما :

١ – علم الإجتماع الأستاتيكى أو الإستقرارى .

٢ – علم الإجتماع الديناميكى أو التطورى .

١ – الأسباب التى دعت (كونت) إلى دراسة ظواهر الإجتماع :

كان حرص (كونت) على إصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل الإضطراب والفساد أهم ما دعاه إلى إنشاء العلم الجديد فقد ذكر (كونت) أنه لاحظ أن المجتمع فى عصره يشمله الفساد فى مختلف فروع حياته وأعتقد أن السبب الرئيسى فى فساده هذا يرجع إلى فساد الأخلاق ، وأن السبب فى فساد التفكير وإضطراب طرق الفهم ، وتصور أن ذلك مرجعة إلى أن الناس كانوا فى عصره يسلكون منهجين متناقضين كل التناقض فى فهم الظواهر المختلفة فإذا كانوا بصدد ظاهرة من ظواهر الطبيعة فهموها على الطريقة الوضعية ، وهى الطريقة التى يبحث فيها عن طبيعة الظاهرة وسببها المباشر وما تخضع له من قوانين فى حين أنهم عندما يكونون بصدد ظاهرة من ظوهر الإجتماع الإنسانى .

يسلكون فيها منهجاً آخراً ويفهمونها على طريقة أخرى سماها (كونت) بالطريقة الدينية الميتافيزيقية وهى الطريقة التى لا يلتفت فيها إلى طبيعة الظاهرة وسببها المباشر وما تخضع له من قوانين وإنما تفهم على أنها من نتاج قوة الآلهة أو من نتائج قوة مبهمة متافيزيقية ملتبسة بالظاهرة نفسها كقوة الأنبات فى النبات وقوة الأشتغال فى النار .

ولما كانت هاتان الطريقتان من الفهم متناقضتين كل التناقض فقد أدى وجودها إلى جنب فى أذهان اناس والتجائهم إليهما معان تفسير الظواهر إلى إحداث إضطراب كبير فى التفكير الإنسانى إذ ليس هناك خلل فى التفكير أكثر من قبول التقيضيه ويسمى (كونت) هذه الحالة بالفوضى العقلية وإليها يعزو فساد الأخلاق والسلوك الذى يؤدى بالتالى إلى فساد شامل فى مختلف فروع الحياة الإجتماعية لأنها تقوم على دعائم الأخلاق والمثل وبفساد هذه الدعائم وإنهيارها تفسد جميع فروع الحياة وتتفوض ولذلك رأى (كونت) أنه لا سبيل إلى إصلاح المجتمع وإلا بإصلاح الإنسان وذلك بإتباع منهج واحد فى فهم الظواهر المختلفة .

وقد استعرض (كونت) الوسائل التى تؤدى إلى القضاء على إضطراب الفهم فوجد أنها من الناحية المنطقية لا تتجاوز ثلاث وسائل هى :

الوسيلة الأولى :

أن تعمل على التوفيق بين هاتين الطريقتين من الفهم بحيث لا يحدث – وجودهما معاً فى ذهن الناس إضطراباً فى تفكيرهم .

الوسيلة الثانية :

أن نقضى على الطريقة الوضعية فى فهم الناس للظواهر بحيث يفهمون جميع الظواهر على الطريقة الدينية الميتافيزيقية .

الوسيلة الثالثة :

أن تقضى على الطريقة الدينية الميتافيزيقية فى فهم الظواهر فيفهم الناس جميع الظواهر على الطريقة الوضعية .

أما الوسيلة الأولى وهى التوفيق بين طريقتين فقد رأى أنها غير ممكنة لأن – الطريقتين متناقضتين كل التناقض فالطريقة الوضعية تبحث عن السبب المباشر للظاهرة وتقوم على إقتناع كامل بأن الظواهر – أيا كان نوعها خاضعة لقوانين وأن الهدف من الدراسة هو

التوصل لهذه القوانين فى حين أن الطريقة الدينية الميتافيززيقية تبحث عن الصلة الأولى لوجود الظاهرة والمتمثلة فى قوة مزيدة أو قوة مبهمة وتقوم على الاعتقاد بأن الظواهر غير خاضعة للقوانين ولذلك فهى تبحث عن كل شئ إلا هذه القوانين وواضح أن الطريقتين يبلغ الخلاف بينهما هذا الحد من التناقض لدرجة لا يمكن مطلقاً التوفيق بينهما.

أما الوسيلة الثانية .. وهى القضاء على الطريقة الوضعية وجعل الناس يفهمون جميع الظواهر على الطريقة الدينية الميتافيزيقية غير ممكنة عملياً لأنها لا تتيسر إلا إذا أمكن محو كل ما ما وصلت إليه العلوم الرياضية والطبيعية من نتائج وقوانين من أذهان الناس وحتى إذا أمكن ذلك جدلاً فلا يمكن أن نتصور إمكان جمود الفكر الإنسانى والحيلولة بينه وبين الإتجاه إلى كشف القوانين التى تخضع لها ظواهر الطبيعة . وبذلك لم يعد هناك سوى الوسيلة الثالثة وهى القضاء على الطريقة الدينية الميتافيزيقية فى التفكير وجعل الناس يفهمون جميع الظواهر على الطريقة الوضعية ، ويرى (كونت) أن الناس يفهمون جميع الظواهر الكونية على الطريقة الوضعية ما عدا ظواهر الإجتماع الإنسانى فكانوا يفهمونها على الطريقة الدينية الميتافيزيقية فإذا أمكن جعلهم يفهمونها على الطريقة الوضعية تحقق بذلك التفكير الوضعى .

غير أن فهم ظواهر الإجتماع على الطرق الوضعية لا يمكن أن يتحقق إلا إذا توافر شرطان :

١ - أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين لأن فهم أى شئ بالطريقة الوضعية يعنى فهم القانون الذى يخضع له ، فإذا كان هذا الشئ بحسب طبيعته غير خاضع لقانون فإنه من المستحيل أن يفهم فهماً وضعياً .

٢ - أن تكون هذه القوانين معروفة للناس حتى يستطيعوا أن يفهموا الظواهر الإجتماعية وفق ما تضعه هذه القوانين من حدود .

أما الشرط الأول فيرى (كونت) أنه متوافر كل التوافر الظواهر الإجتماعية لأن الظواهر ناحية من نواحى الكون وجميع نواحى الكون تجرى وفق قوانين وليست وفق المصادفات وما يصدق على الكل يصدق على الجزء .

والشرط الثانى وهو معرفة الناس هذه القوانين فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا درست الظاهرات – الإجتماعية دراسة وضعية ترمى إلى بيان طبيعتها والعلاقات التى تربط بعضها بالبعض الآخر والتى تربطها بغيرها من الظاهرات الأخرى وما ينجم عن هذه العلاقات من نتائج فى نشأة هذه الظواهر وتطورها وإختلافها بإختلاف المجتمعات والعصور .

وبهذه الطريقة يمكن إصلاح التفكير الذى يتوقف عليه إصلاح الأخلاق ، وهذا بالتالى يتفق عليه إصلاح المجتمع . ولما كان (كونت) حريصاً على إصلاح المجتمع وكانت الدراسة التى تؤدى إلى ذلك غير موجودة فى نظرة فقد قام هو بإنشائها ، أى أنه قام بدراسة الظواهر الإجتماعية دراسة وضعية تؤدى إلى الكشف عما تخضع له هذه الظواهر من قوانين – ومن هذه الدراسات يتألف علم الطبيعة الإجتماعية محاولاً بذلك أن يشير إلى أن غرضه الكشف عن طبيعة الإجتماع الإنسانى ثم عدل عن هذه التسمية بعد أن لاحظ أن كتيلية البلجيكى ينشر بحوثاً فى الإحصاء الإجتماعى يطلق عليها هذا الاسم ولهذا عاد وسماه (علم الإجتماع) .

Sociology .

موضوع الدراسة وأغراضها ومناهجها عند (كونت) :

موضوع عند (كونت) هو دراسة الظواهر الإجتماعية (وكونت) شأنه فى ذلك شأن (ابن خلدون) لم يحاول أن يعرف هذه الظواهر وبين خواصها وإنما اكتفى بأن قرر أن موضوع علم الإجتماع شامل لما عدا موضوعات العلوم الطبيعية والرياضية والغريب أن (كونت) عنى بتعريف الظاهرة الطبيعية والكيمائية والبيولوجية وتحديد موضوعات هذه العلوم ولكنه لم يعطينا تعريفاً للظاهرة الإجتماعية أو تحديداً دقيقاً لموضوع علمه .

ويرى (كونت) أن علم النفس لا يعتبر علماً مستقلاً لأن ظواهره يتصل ويتوقف على أجهزة الجسم الإنسانى ووظائف أعضائه وأعمال الجهاز العصبى ولذلك فهو يلحق فى نظرة بالعلوم الطبيعية وبعض ظواهره الأخرى يتصل ويتوقف على الحياة – الإجتماعية وشئون الإجتماع وهذا القسم يجب أن يلحق بعلم الإجتماع . وكان (كونت) يرمى من وراء دراسته إلى الكشف عن القوانين التى تخضع لها الظواهر الإجتماعية .

أما منهج الدراسة الذى دعا إليه (كونت) فهو المنهد الوضعى الذى ينبذ المناهج القديمة ويختلف عنها إختلافاً جوهرياً إذ لا يؤمن بخضوع الظواهر لقوى خارقة للعادة ولكائنات خفية تعمل فى الخفاء وإنما يؤمن بخضوع الظواهر لفكرة القانون وأصبح الوصول إلى القانون العلمى فى المحور الذى تدور حوله الدراسة وبحيث تضيق دائرة التخيل الفلسفى بعد تيسير هذا المنهج الوضعى .

ويمكن تحديد خطوات المنهج عند (كونت) فى النقاط الآتية :

أولاً : الملاحظة :

وذلك من طريق دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر الفنون الأخرى والأستعانة بالوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات وما إليها وصعوبة إستخدامن هذا الأسلوب يرجع إلى آمرين :

١ - أن للباحث الإجتماعى يعين وسط الظواهر التى يلاحظها .

٢ - أن هذه الظواهر مألوفة للباحث الإجتماعى .

وينصح كونت الباحث الإجتماعى بإعداد ما يريد ملاحظته قبيل القيام بالملاحظة مع عدم التأثير بالأهواء الذاتية أو المعتقدات الشخصية .

ثانياً : التجربة :

ولا يقصد (كونت) التجربة المعتمدة على الضبط الصناعى ولكنه يقصد إستخدام التجربة غير المباشرة وذلك بالمقارنة بين الحالات السوية والحالات الباثولوجية (المرضية) ومن أمثلتها والقلاقل والأزمات الإقتصادية والإضطرابات الداخلية وغيرها .

ثالثاً : عقد المقارنات :

بين المجتمعات المختلفة للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينها بالنسبة لبعض الظواهر الإجتماعية ومقارنة ما تقوم به هذه الظواهر من الوظائف فى كل مجتمع منها .

رابعاً : إستخدام المنهج التاريخى :

ويسميه (كونت) المنهج السامى لأنه يكشف عن القوانين الأساسية التى تحكم التطور الإجتماعى للجنس البشرى بإعتبار أن هذا الجنس وحده واحدة تنتقل عبر التاريخ من مرحلة إلى أخرى أرقى منها هذا ويغفل هذا المنهج لوقائع التاريخية الجزئية والوقائع المادية محاولاً الكشف عن قوانين التصور الإجتماعى .

أقسام الدراسة :

قسم (كونت) علم الإجتماع إلى فرعين رئيسين هما :

١ – الديناميك الإجتماعى .   ٢ – الإستاتيك الإجتماعى .

وتمتاز الشعبة الأولى بأنها تدرس الإجتماع الإنسانى فى جملته ولا نعنى بتفاصيل من نظم سياسية وقضائية واقتصادية وخلقية ودينية وغيرها كما تمتاز بخاصية أخرى وهى أنها تدرس الإجتماع الإنسانى فى تطوره والغرض الأساسى لهذه الدراسة هو الكشف عن القوانين التى يسير عليها هذا الإجتماع فى إنتقاله من صورة إلى صورة أفضل .

أما الشعبة الثانية وهى الإستاتيك الإجتماعى .. فهى تدرس الإجتماع الإنسانى فى تفاصيله لا فى جملته كما تفعل الشعبة الأولى كما أنها تدرس هذه التفاصيل من الناحية الإستقرارية لا من الناحية التطورية وترمى هذه الدراسة إلى شرح الأجزاء والعناصر التى تتألف منها الظواهر الإجتماعية والوظائف التى تقد بها وعلاقة هذه الوظائف بعضها يبعض وتشبه هذه الدراسة علم التشريح إلى حد كبير .

وقد بدأ (كونت) بحوثه بالشعبية الأولى وهى الديناميك الإجتماعى ووقف عليها معظم دراسته ثم انتقل منها إلى دراسة الشعبة الثانية وهى (الأستاتيك الإجتماعى) .

أهم ما يوجه إلى كونت من مآخذ :

أ – يبدو أن الأساليب التى دعته إلى إنشاؤ علم الإجتماعى أسباب خيالية من وحى تكير الخاص .

ب – رغم أنه نبه إلى قواعد منهجية قيمة إلا أنه لم يلتزم بها فى دراساته .

جـ – فيما يتعلق بقانون الحالات الثلاث نجد أن كونت درس الإنسانية بإعتبارها كل لا يتجزأ مع أن الواقع أن هناك مجتمعات جزئية وهى لا تتفق مع بعضها .

د – ليس صحيح كما زعم كونت أن تطور الظواهر الإجتماعية لا يتأثر إلا بتطور التفكير .

هـ – فيما يتعلق بقانون التضامن ليس صحيح أن جميع مظاهر الحياة ينسجم بعضها مع بعض ففى كل مجتمع إنسانى تنشأ تيارات تطورية تتعارض مع بعض النظم المستقرة[1].

---

(١) مصطفى الخشاب ، علم الإجتماع ومدارسه ، الكتاب الأول .

– مرجع سابق .

الفصل التاسع

المدرسة الإنجليزية

هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٦٠٣) مؤسس المدرسة التطورية :

Herbert Spencer

أهم مؤلفاته :

١ - مبادئ علم الإجتماعى

Principles of Sociology

٢ - مبادئ علم النفس

Principles of Psychology

٣ - فن التعليم (مقالة)

The Art of Education

٤ - الكائن الإجتماعى (مقالة)

The Social Organism

أولاً : نظرية التطور الإجتماعى :

تأثر سبنسر بقوة بمبدأ التطور وخاصة بمؤلفات المفكر الفرنسى لامارك وهو أول من عرض نظرية التطور العضوى وعندما جاء دارون من بعده وجد إتجاهاً عاماً نحو الأعتقاد فى مبدأ التطور فكتب : "أصل الأنواع" Origin of Species وتسلسل الإنسان Desecence of Man وترجع أهمية دارون إلى أنه وضع النظرية وجلعها فى صيغة واضحة . وتتلخص نظرية التطور العضوى فى أن جميع الكائنات الحية نتجت عن عدد صغير من الأشكال الأولية البسيطة للمادة الحية أى أن الأشكال العليا للكائنات قد

إستمدت أصولها من الأشكال السفلى وذلك عن طريق التناسل وبفعل الظواهر الطبيعية وتوصل إلى قوانين "التنوع المشع" و "التكفيف" و "البقاء للأصلح" .

تأثر سبنسر بهذه المفاهيم ونظر إلى التطور كمبدأ عام تخضع له جميع ظواهر الكون سواء كانت ظواهر عضوية Organic أو ظواهر إجتماعية وعقلية خارجة عن التركيب العضوى Organic - Super فإن الإنسان يضع النظم الإجتماعية والآداء والفنون والآلات وهذه الأمور خارجة عن تركيبه العضوى أى جسمه وهكذا أطلق عليها إصلاح "ما فوق العضوى" .

يرى سبنسر أن مبدأ التطور هو القانون العام الذى يخضع له جميع الظواهر سواء كانت عضوية أو إجتماعية . ولكنه يجعل التطور الإجتماعى تابعاً وناشئاً عن التطور العضوى فيقول أن التطور فوق العضوى قد نشأ تدريجياً عن التطور العضوى .

ثانياً : المبادئ العامة للتطور العضوى والتطور الإجتماعى :

يخضع التطور والإجتماعى لمبادئ عامة واحدة ويستنتج من ذلك أنهما منهاجاً لعملية واحدة . هذه المبادئ هى :

١ - يتوقف التطور على حدوث تغيرات جوهرية فى الكائن الحى فى حالة التطور العضوى يحدث تغير جوهرى فى المادة الحية أما التطور ما فوق العضوى بأنه يحدث عن طريق تغير أشكال التجمع والوظائف الإجتماعية .

٢ - يتجه التطور دائما إلى تحقيق غاية نهائية وهى كمال التنظيم سواء فيما يتعلق بالبناء أو الوظيفة . فى حالة التطور العضوى يتجه التطور نحو كمال بناء الجسم الحى وأعضائه ومركباته وكذلك نحو كمال الوظائف التى تؤديها تلك الأعضاء . يطبق ذاته على التطور الإجتماعى فأنه يتجه نحو كمال عناصر ومركبات المجتمع الإنسانى وكذلك كمال الوظائف التى تؤديها تلك العناصر .

٣ - الأنتقال من حالة المتجانس إلى حالة اللامتجانس من أهم المبادئ التى يسير عليها التطور ففى حالة التطور العضوى نجد أن الحيوانات الدنيا تكون متجانسة

Homogenecus أى تشابه فى الأعضاء والوظائف عضاء والوظائف وعندما ينفصل جزء من جسم هذه الحيوانات إنفصالاً تلقائياً أو بسبب حادث مادون أن يؤثر ذلك فى حياة الكائن الحى وهذا واضح فى أجسام الدود وعندما نقطع ذنب بعض الزواحق فإنها تواصل حياتها لا تلبث أن تستكمل هذا النقص . أما الحيوانات العليا (الثدييه والفقرية) فتكون دائماً غير متجانسة الأعضاء وكذلك غير متجانسة فى الوظائف التى تؤديها تلك الأجزاء أى أنها غير متجانسة Hetergeneous وهذا واضح فى أجسام الكلب والقطة والقرد والإنسان فنجد أعضاء غير متشابهة ويؤدى كل عضو وظيفة خاصة ولكنها متكاملة مع الوظائف الأخرى يتأثر الجسم كله إذا بتر منه أحد الأعضاء الهامة .

يطبق سبنسر هذا المبدأ التطورى على المجتمعات الإنسانية أى فى حالة التطور ما فوق العضوى ويقارن بين المجتمع البدائى الذى يتشابه فيه كل الأفراد من حيث الخبرة المهارات أما المجتمعات المتمدينة فنجدها مختلفة الجماعات التخصصات المهارات أى تسودها حالة اللامتجانس .

ثالثاً : شرح عمليات التطور الإجتماعى :

يعتمد سبنسر على المعلومات المتاحة فى عصره (القرن ١٩) عن المجتمعات البدائية فيرى أن كل مجتمع بدائى يتكون من مجموعة متجانسة من الأفراد ويقوم المجتمع بوظائف متشابهة ومن جمع الثمار والصيد البرى البحرى وبناء الكوخ وصنع الأسلحة الحجرية البسيطة ويبدأ التطور فى ذلك المجتمع المتجانس عندما يظهر الحاكم الذى يتولى السلطة وبطبيعة الجميع ويتفرغ الحاكم لوظيفته التى تجمع فى الغالب بين السلطة الدينية والسلطة السياسية وبالتدريج تظهر طبقة رجال الدين وتظهر فئة المحاربين وفئة السحرة وفئة الأغنياء وفئة الحرفين وفئة القضاة وهكذا يتحول المجتمع فى تطوره من حالة التجانس فى تركيبه ووظائفه إلى حالة اللامتجانس . وهكذا يسير التطور فى اتجاه واحد من المتجانس إلى اللامتجانس عن طريق عملية التنوع المتصل Deversification أى أنها إنتاج أشكال متنوعة جديدة من الحياة الإجتماعية وكذلك الحياة العضوية) عن طريق النمو أو التطور الطبيعى .

رابعاً : علم الإجتماع فرع من علم الحياة :

ينظر سبنسر إلى الإنسان كأنه خلية وإلى المجتمع الإنسانى على أنه كائن أو جسم كائن حى ويرى ضرورة دراسة علم الحياة (البيولوجيا) لمعرفة القوانين العامة لكائن الحى يقوم عالم الإجتماع بتطبيق تلك القوانين البيولوجية على الظواهر الإجتماعية ولذلك فهى تجعل علم الإجتماع تابعاً لعلم وذلك لسببين :

١ – التشابه التام بين تركيب المجتمع وتركيب جسم الكائن الحى .

٢ – خضوع المجتمع وكذلك الكائن الحى لقوانين واحدة .

عرفت تلك الإتجاهات بالمدرسة البيولوجية فى تفسير الظواهر الإجتماعية وهى مدرسة قديمة بدأت مع أفلاطون عندما قسم مدينته الفاضلة إلى ثلاث طبقات على أساس تقسيم أجهزة جسم الإنسان . ونجد أثراها فى تفكير ابن حلدون وعندما شبه تطور ونمو المجتمع بتطور ونمو ثم موت الكائن الحى . وكان سبنسر هو أوضح المعبرون عن المدرسة .

خامساً : تطور المجتمع الإنسانى من الحالة الحربية إلى الصناعية :

ينظم سبنسر معلوماته ونظرياته فى تفسير تطور المجتمعات الإنسانية فى إطار إجتماعى واضح المعالم وهو أن جميع المجتمعات الإنسانية فى تطورها الذى يخضع لقوانين التطور سابقة الذكر لابد لها أن تتطور من الحالة الحربية لى الحالة الصناعية .

المرحلة الحربية :

وهى تمثل المجتمعات البدائية والمتخلفة وهذه يسودها النزعة الحربية أى فرض الأوامر والديكتاتورية وخاصة فى مظاهر السلوك والتنظيم الإجتماعى وعن طريق الحرب والغزوات تندمج المجتمعات الصغيرة فى تكتلات إجتماعية كبيرة فظهرت الدول والأمبراطوريات وساعد ذلك على تحقيق التكامل بين عدد كبير من المجتمعات الداخلية فى تنظيم سياسى كبير وعندما توفرت القوة ساد السلام النسبى بين المجتمعات مما ساعد على إتجاه المجتمع إلى التصنيع وهنا ينتقل المجتمع إلى المرحلة الثانية .

المرحلة الصناعية :

تتميز بالسلم والصناعة والأخلاق الحسنة والتعاون والأخاء وزيادة المعارف الإنسانية وأهم خصائص الحرية والتعاون الأختيارى ومرونة التنظيم الإجتماعى . ويرى سبنسر أن من أهم شروط إنتقال المجتمع من حالة الحرب إلى حالة الصناعة والرخاء هو تحقيق التوازن بين قوى المجتمع فى الداخل وتحقيق التوازن بين المجتمع والبيئة الطبيعية وكذلك تحقيق التوازن بين المجتمع وغيره من المجتمعات تختفى المرحلة الصناعية وينتقل المجتمع للوراء .

يعرف اتجاه سبنسر بالإتجاه البيولوجى التطور فى دراسة الحياة الإجتماعية . وقد رفض الإتجاه بقوة على يد المدرسة الفرنسية لعلم الإجتماع وأثبتت تلك المدرسة الأختلاف الكبير بين المجتمع وجسم الكائن الحى وكذلك أثبتت أن القوانين الإجتماعية ليست صورة مطابقة للقوانين البيولوجية ولذلك أنهار هذا الإتجاه فى وقتنا الحاضر ولكن لا يمكن إغفال إثارة القوية على كثير من مفكرى علم الإجتماع .

٢ - مدارس الإجتماع التطبيقى :

اهتم عدد من علماء الإجتماع فى الجلترا بالإتجاه التطبيقى الذى يتمثل فى الأبحاث الإجتماعية والمسراح الإجتماعية وتطبيق النظريات الإجتماعية فى الواقع الإجتماعى . يمكن تقسيم هذا الإتجاه العام إلى عدة مدارس وتتميز كل مدرسة باتجاهات خاصة وأهم هذه المدارس هى مدرسة جامعة أدنبره وقد أسسها عالمان هما جيذر وتلميذه برانفورد ومدرسة المسوح الإجتماعية والمدارس الغابية الإشتراكية الإصلاحية .

أولاً : مدرسة جامعة أدنبره :

أسمى هذه المدرسة الخاصة بالبحوث الإجتماعية والمسوح الإجتماعية والجانب التطبيقى لعلم الإجتماع عالمان هما جيذر وتلميذه برانفورد وفيما يلى أهم أعمالهما :

(أ) العلامة جيدز (١٨٥٤ - ١٩٣٢) Paarick Gedds :

أهم مؤلفاته فى علم الإجتماع التطبيقى :

١ - تصنيف الأحصائيات

The Classification of Statistics

٢ - مسح مدنى لمدينة أدنبره .

Civic Survery of Edinburgh

٣ - تنمية المدينة .

City Development

٤ - المدن فى التطور .

Cities in Evolution

٥ - أسس علم الإجتماع وعلاقته بالإقتصاد .

Essentials of Socigoloy in relation tp Economic

بدأ حياته العلمية بالتخصص فى العلوم الطبيعية الكيمياء والبيولوجيا والطبيعة وحاضر وعمل أستاذاً بكليات الطب والعلوم - تعرف على سبنسر ودارون وفى فرنسا على دوركايم ولبلاى . تحول بعد ذلك إلى علم الإجتماع التطبيقى وانشأ مركزاً البحوث الإجتماعية فى جامعة أدنبره والحق متحفاً إقليمياً أطلق عليه اسم : برج النظرة العامة لأدنبره Out look Tower of Edinburgh وتركز أبحاثه الإجتماعية على مدينة أدنبرة بينما تركزت أبحاث تلميذه على منطقة لندن . تتلخص أتجاهاته فيما يأتى :

١ - آمن بأهمية البحث الإجتماعى والمسح الإجتماعى وأعطاها قيماً أكبر من النظريات الإجتماعية .

٢ - نادى بضرورة البحث الإجتماعى للواقع قبل البدء فى التخطيط أو الإصلاح ورفع الشعار التالى :

"المسح الإجتماعى قبل العمل" . Survey before Action

٣ – يرى أن المجتمع والحياة الإجتماعية عامة تتأثر بعدة عوامل هى البيئة التركيب العضوى وتقسيم العمل والتراث الإجتماعى . يجب إهتمام عالم الإجتماع بعلوم الجغرافيا والإقتصاد والأنثروبولوجيا وذلك لتأثير العوامل السابقة فى الحياة الإجتماعية .

٤ – عارض تركيز الأهتمام بتأثير العوامل البيولوجية فى الحياة الإجتماعية وأعطى قيمة للعوامل الإجتماعية والثقافية .

٥ – تخصص فى دراسة المدن (علم الإجتماع الحضرى) ويشجع اتجاه لا مركزية المدن أى إعطاء سلطة لمجالس المدن وضرورة قيام كل مدينة بتنظيم شئونها الخاصة وفق ظروفها الأقليمية .

(ب) برانفورد Victor Branford :

بدأ مثل أستاذة بالأهتمام بالعلوم الطبيعية ثم سافر إلى أمريكا وعمل كمحاسب وعاد إلى انجلترا حيث أهتم بتعاليم جيدز . قام بإنشاء "جمعية علم الإجتماع" The Sociologcal Society تحولت بعد ذلك "إلى معهد علم الإجتماع" Institute Sociology وأشرف عليه عدد كبير من المهتمين بالدراسات الإجتماعية وقاموا بالكثير من المسوح الإجتماعية وتتركز فى اتجاهاته حول مبدأين .

١ – يرى أن علم الإجتماع هو علم مستقل يقوم على الملاحظة والتجربة والمسح الإجتماعى .

٢ – يرى أن المسح الإجتماعى ليس مجرد دراسة سطحية لمنطقة ما وإنما دراسة دقيقة لأحتياجات ودراسة عميقة للأصول الإجتماعية والتاريخية من عادات وتقاليد وقيم وأفكار. وهذه المسوح هى القاعدة التى يجب أن تقوم عليها مشروعات الإصلاح والتخطيط الإجتماعى .

ثانياً : مدرسة المسوح الإجتماعية :

تسير وفق مبادئ المدرسة السابقة ولكنها لا تنتمى إليها . تهتم بالطبقات الفقيرة ، ودراسة ميزانية الأسرة الفقيرة والعمل على تحسين ظروفها . وتنادى بضرورة إجراء

البحوث والمسوح الإجتماعية والأعتماد على الإحصائيات الدقيقة المقارنة وتهتم بسن التشريعات ، الإجتماعية والإقتصادية التى تهدف إلى رفع المستوى الإجتماعى للطبقات الفقيرة . أهم علماء هذه المدرسة :

١ – شارل بوث Charies Booth قام بمسحين شهيرين .

(أ) الحياة والعمل بين سكان لندن .

Life and Labour of the People in London .

(ب) مسح جديد عن الحياة والعمل فى لندن .

New Survey of London and Labour.

٢ – سواندرارز Carr Saunders قام بمسح ضخم فى ثلاثة أجزاء من ميرسيسيد.

The Social Survey of Merseyside .

٣ – جون Caradog Jones أهتم بدراسة مدينة ليفربول وأهم مؤلفاته .

(أ) مسح إجتماعى عن ليفربول .

Social Sarvay of Leverpool.

(ب) تطور المسح الإجتماعى فى إنجلترا منذ عهد بوث .

Evolution of the Social Survey in England Since Booth .

ثالثاً : المدرسة الفابية Fabian Sociaty :

مدرسة إقتصادية إجتماعية إصلاحية تميل إلى الإشتراكية وتهتم بالطبقات الفقيرة بأسلوب خاص مختلف عن أسلوب الماركسية . أهم رجالها جورج برنارد شو وسدنى وب والسيدة آن برانت . نجد اتجاها آخر فى الإصلاح الإجتماعى فى المدرستين السابقتين نجد أن المسح الإجتماعى هو وسيلة الإصلاح الإجتماعى أما هنا فإن تطبيق المبادئ الإشتراكية بصورة معينة هو أساس الإصلاح الإجتماعى وهكذا نجد أن هذه المدرسة تطبق علم الإجتماع التطبيقى بطابع معين وهو الإقتصاد الإشتراكى وفيما يلى أهم مبادئ هذه المدرسة :

١ – شرح وب مبادئ المدرسة الفابية فى بحث عنوانه "دستور الهيئة الإشتراكية فى بريطانيا العظمى" . ترى هذه المردسة أن تطور المجتمعات يسير فى خط مستقيم نحو الإشتراكية والديمقراطية معاً رئيس الإشتراكية فقط .

٢ – عارضوا مبدأ الصراع بين الطبقات والثورة والأنقلابات الدموية ويرون ضرورة العمل على بث فضيلة التعاون بين الطبقات فطريق التقدم هو تعاون الطبقات وليس صراع الطبقات .

٣ – يجب أن تكون الحكومة هى المالكة لكل وسائل الأنتاج المثلة للمجتمع ويعارضون – سيطرة طبقة البروليتارية على مقاليد الحكم وموارد الدولة .

٤ – تقوم الحكومة بتحقيق الديمقراطية والإشتراكية وذلك عن طريق إصدار القوانين الإشتراكية .

٥ – أهتمت هذه المدرسة بالإصلاح الإجتماعى فى بريطانيا ومشروعات الخدمات الإجتماعية .

٦ – تعارض ماركسى فى مضوع القوميات فبينما ينادى ماركس بإلغاء القوميات وتحقيق الشيوعية الدولية نجد المدرسة الفابية توافق على بقاء القوميات وتعطى أهمية للعوامل الروحية والأخلاقية فى عملية تحقيق الإشتراكية .

٣ – مدرسة الأنثروبولوجيا الإجتماعية :

الأنثروبولوجيا الإجتماعية فرع من الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ويختص ذلك الفرع بدراسة البناء الإجتماعى بدراسة البناء الإجتماعى للمجتمعات البدائية بصورة خاصة وتبدأ الدراسة بالتركيز على نظم إجتماعى معين فى قبيلة بدائية معينة وقد يكون هذا النظام الدين أو نظام الحكم أو الفن أو العائلة أو نظام الزواج ثم يقوم العالم بتحديد علاقة ذلك النظام بالبناء الإجتماعى ككل . لم يكن هناك حدود واضحة تفصل الأنثروبولوجيا الإجتماعية عن علم الإجتماع وخاصة فى نهاية القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين وذلك للأسباب التالية :

أ - إهتمام رواد علم الإجتماع بدراسة أصل النظم الإجتماعية مما جعلهم يدرسون القبائل البدائية .

ب - وجود موضوع مشترك بين الإجتماع والأنثروبولوجيا الإجتماعية هو دراسة البناء الإجتماعي .

ترتب على هذا التقارب إعتبار الأنثروبولوجيا الإجتماعية هي علم إجتماع المجتمعات البدائية أي النظر إليها كفرع علم الإجتماع أو كمدرسة تابعة لعلم الإجتماع . واليوم استقلت الأنثروبولوجيا الإجتماعية عن علم الإجتماع والحقت بعلم الإنسان أي الأنثروبولوجيا ولكن التعاون بينهما لا يزال وثيقاً للغاية ونجد أن الكثير من الجامعات الأوروبية تجمع بين علم الإجتماع والأنثروبولوجيا في قسم واحد .

ظهرت الأنثروبولوجيا الإجتماعية في أول الأمر كمدرسة تابعة لعلم الإجتماع في القرن التاسع عشر في انجلترا ويرجع ظهورها في انجلترا بالذات إلى عوامل عدة أهمها :

١ - كثرة المستعمرات البريطانية في أفريقيا وآسيا والأمريكتين واستراليا شجعت الحكومة العلماء عن طريق المنح المالية على دراسة المستعمرات البدائية بغرض التعرف على لغاتها ونظمها وثقافاتها .

٢ - إهتمام الفكر الإجتماعي الإنجليزي بمذهب سبنسر الخاص بالتطور.مما دفع المفكرين إلى البحث عن الأشكال الأولى للنظم الإجتماعية البدائية بغرض مقارنتها بالنظم المعاصرة وتتبع صورها عبر العصور .

٣ - يعرف عن البريطانيين المغامرة وحب الأسفار وتقوم الأنثروبولوجيا الإجتماعية على أساس دراسة المجتمعات البدائية دراسة ميدانية ويتطلب ذلك أن يسافر العالم ويعيش في المجتمع البدائي الذي يدرسه فترة من الزمن قد تصل إلى عدة سنوات ونشير هنا إلى العالمين الأنجليزين بولدوين سبنسر وجان اللذين عاشا بأستراليا لمدة ١٢ سنة وذلك لدراسة الحياة الإجتماعية للقبائل البدائية لمدة ١٢ سنة يتفق هذا الأسلوب في الدراسة مع حب البريطانيين للمغامرة والترحال .

وفيما يلى فكرة عن علماء هذه المدرسة :

العلامة فريزر James Frazer :

أهتم فريزر بدراسة ظاهرة التوتمية وهى ديانه منتشرة فى المجتمعات البدائية بصفة خاصة وملخصها أن أفراد القبيلة البدائية يعتقدون أنهم ينحدرون من أصل واحد ، وهو التوتم وتوجد صور مختلفة من التوتم فقد يكون حيواناً أو نباتاً أو ظاهرة طبيعية وينزلون هذا التوتم منزلة التقديس لأعتقادهم أنه سبب وجودهم ومصدر الخيرات ومن أهم مؤلفاته "الغصن الذهبى" The golden Bough وفيه يبين الصلة الوثيقة بين الأديان الشرقية واليونانية وبين الديانة التوتمية . وقد شرح فى هذا الكتاب الضخم (ستة أجزاء) نظريته فى تطور المجتمعات من حالة السحر إلى حالة الدين وأخيراً إلى حالة العلم .

حلل الأديان القديمة تحليلا وعميقاً وكذلك حلل المعلومات التى وصلت إليه عن المجتمعات البدائية .

أهتم كذلك بدراسة عقيدة خلود الأرواح وديانةعبادة الموتى وهى من الأديان المنتشرة فى المجتمعات البدائية ودرس هذه الظواهر وحللها فى كتاب آخر بعنوان خلود الأرواح وعبادة الموتى .

٢ – راد كليف براون Radoliffe - Brown :

من أهم علماء الأنثروبولوجيا الإجتماعية قام بدراسة شهيرة لسكان جزر "أندمان" وهى مجموعة جزر فى خليج البنجال تتبع الهند . واستغرقت تلك الدراسة عامين من ١٩٠٦ إلى ١٩٠٨ وانتهى منها بنشر كتاب هام وهو : سكان جزر اندمان دراسة فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية .

The Andaman Islanders - study in Social Anthropologh .

وترجع أهمية تلك الدراسة إل أنها أول محاولة للتحقق من صحة النظريات الإجتماعية المنتشرة عن طريق الرجوع إلى المجتمعات البدائية .

يؤيد راد كليف النظرية الوظيفية التى تهتم بدراسة الوظائف الإجتماعية التى تقوم بها النظم الإجتماعية ويرى براون أن فكرة الوظيفة التى تطبق فى النظم الإجتماعية مأخوذة

من الوظيفة التى تقوم بها الأجهزة والأعضاء البيولوجية فى النشاط الكلى لجسم الكائن الحى . وهكذا تكون وظيفة أى نظام إجتماعى هو الدور الذى يؤديه ذلك النظام فى البناء الإجتماعى ويترتب على ذلك التكامل ضرورة دراسة النظام الإجتماعى الواحد وعدم فصله من البناء الإجتماعى كله الذى ينتمى إليه ولذلك يعارضون انتزاع النظام الإجتماعى الواحد وفصله من البناء الإجتماعى الذى ينتمى إليه كذلك يعارضون عقد مقارنات بين النظم الإجتماعية دون الأهتمام بالبناء الإجتماعى وقد حد راد كليف خصائص البناء الإجتماعى موضوع الأنثروبولوجيا الإجتماعية فى بحث هام بعنوان "عن البناء الإجتماعى".

On Social Structure .

٤ – العالم هوبهوس (١٨٦٤ – ١٩٢٩) ومدرسته : Hobhouse

خلف هذا العالم المكانة المرتفعة التى كان يحتلها الفيلسوف هربرت سبنسر فى الفكر الفلسفى والإجتماعى بانجلترا وقد شغل كرسى أستاذ علم الإجتماع بجامعة لندن من ١٩٠٧ – ١٩٢٩ .

أهم مؤلفاته :

١ – النمو الإجتماعى : طبيعته وشروطه .

Social Development ; Its mature and conditions .

٢ – التطور الإجتماعى والنظرية السياسية :

Secial Evoltion and Politia\cal Theory .

٣ – النمو والهدف :

Development and Furpose .

أهم نظرياته :

١ – تأثر بقوة بالعلامة هربرت سبنسر وكذلك بالعلامة دارون ولذلك يؤمن بنظرية التطور ويرى أن المجتمع هو وحدة عضوية ولذلك يخضع للقانون العام للحياة وهو قانون

التطور . ويفرق بين تطور المجتمعات البدائية وتطور المجتمعات المتمدينة يتم تطور المجتمعات البدائية بصورة آلية أو تلقائية أما المجتمعات المتمدنة فإنها تتطور عن قصد وذلك بإستخدام العقل وشعور الإنسان بذاته . خضع تطور المجتمعات البدائية لقوانين تطور الجماعات غير الإنسانية وهو تأثير البيئة وتنازع البقاء والإنتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح "هنا يتأثر بقوة بدارون" أما تطور المجتمعات المتدنة فتخضع للعقل وتقدمه وقدراته .

٢ – يرى هوبهوس أن العصر الحديث يتميز بقوة الإنسان وبإرتقاء إستخدام قدراته العقلية بحيث أصبحت العوامل الطبيعية فى حالة خضوع للعقل وبينما كان العقل خاضعاً للقوى الطبيعية فى الماضى .

٣ – يهدف تطور المجتمعات المتمدينة أولاً إلى تحقيق الأنسجام الإجتماعى Social Harmony وبالتالى يستطيع الإنسان التوصل إلى الغاية النهائية من الارتقاء والتقدم وهى تحقيق "الخير العقلى" Rational Good ويتمثل ذلك فى تحقيق العدالة والديمقراطية والخير بين جميع أفراد المجتمع .

٤ – يرى هوبهوس أن التقدم الإجتماعى هو الموضوع الأساسى لعلم الإجتماع ويفرق بينه وبين التطور الإجتماعى وذلك على أساس أن التطور الإجتماعى قد يتجه إلى الأمام أو إلى الخلف أما التقدم فدائماً يتجه إلى الأمام لأنه خاضع للعقل الإنسانى الذى يبقى التقدم دائماً .

٥ – أهتم هوبهوس بدراسة النظام السياسى ولذلك يعد من أهم الباحثين فى علم الإجتماع السياسى . وحلل تطور النظم السياسية فى المجتمعات الأوروبية ولاحظ خضوع تلك التطورات لعدة عوامل أهمها عامل القرابة ويتضح أثر ذلك العامل فى المجتمعات المتخلفة والنامية ويوجد عامل القوة والسلطة ويختلف مكان تركز القوة والسلطة من مجتمع لآخر فقد يكون فى طائفة معينة أو فى رجال الدين أو فى رجال الحرب أو فى الفلاسفة أو ما إلى ذلك أما العامل الثالث فهو الرعوية أو المواطنية ويقصد بذلك العامل الحقوق والواجبات التى تترتب على إعتبار فرد مواطن فى دولة معينة تختلف تلك الحقوق والواجبات من دولة لأخرى .

٦ - تابع بعض العلماء اتجاه العلامة هوبهوس وأهمهم العلامة جـنزبرج Ginsberg الذى خلف أستاذه فى وظيفة أستاذ علم الإجتماع بجامعة لندن وقد أشترك جنزبرج مع أستاذه وزميل آخر فى كتاب مشهور بعنوان "الشعوب الأكثر بساطة" .

The Simpler peoples .

وأهم كتبه الأخرى هى :

1 - The Psychology of Society 1921.

2 - On the Place of Sociology 19345 .

3 - Studies in Sociology 1932 .

وله أبحاث هامة "العلاقات المتبادلة بين الطبقات" و "التطور الإجتماعى" وغيرها .

أهتم بتطبيق المنهج المقارن فى دراسات علم الإجتماع وعن طريق المقارنة يستطيع تتبع تطور النظم الإجتماعية ووظائفها عبر الزمان . ويجب على علم الإجتماع الأستعانة بالتحديد ويرى ضرورة الوصول إلى القوانين الإجتماعية .

الفصل العاشر

المدرسة الألمانية

المدرسة الصورية أو مدرسة العلاقات :

١- العلامة سيمل (١٨٥٨-١٩١٨) Gorges Simmel

أهم علماء الإجتماع فى المانيا ، ويعد المؤسس الفعلى لعلم الإجتماع فى المانيا ولكنه جمع بين دراسة علم الإجتماع ودراسة الفلسفة والتاريخ والآداب والاقتصاد والفنون والجميلة ، وهكذا يعد سميل متفقها فى كثير من فروع المعرفة . أهم ابحاثه فى علم الإجتماع هى :

(أ) بحوث فى أشكال الإجتماع .

(ب) الموضوعات الرئيسية فى علم الإجتماع .

تتلخص نظرياته فى علم الإجتماع فيما يأتى :

١- يعارض تعريف علم الإجتماع بإنه العلم الذى يدرس كل الظواهر الإجتماعية أو الظواهر الإنسانية ويقوم اعتراضه على أساس استحالة وجود علم متكامل يدرس جميع هذه الموضوعات الواسعة ، إذ العلم من طبيعته التخصص فى موضوع واضح المعالم محدود النطاق .

٢- وضع سيمل تعريفا جديداً لعلم الإجتماع لكى يكون أكثر تحديدا ووضوحا يعرف علم الإجتماع العلاقات الواقعية التى تنشأ بين افراد المجتمع وإنما يقصد بالعلاقات الإجتماعية الاشكال الصورية المجردة أو الاطار الشكلى التى تحدد جوهر العلاقات الإجتماعية الواقعية ويتخلص موضوع علم الإجتماع فى دراسة العلاقات الإجتماعية الواقعية بغرض تجريدها من المضمون الواقعى أو التجسيد الواقعى لها .

وهكذا يهدف علم الإجتماع إلى التوصل إلى الصور المجردة للعلاقات الإجتماعية بعيدا عن واقعها فمثلاً عندما تدرس ظاهرة المنافسة لا تهتم بدراسة المنافسة فى الدراسة أو المنافسة فى ميدان السياسة أو التجارة وإنما المهم هو تحديد جوهر وطبيعة ظاهرة المنافسة بحيث يصلح هذا التعريف الصورى للتطبيق على جميع الصور الواقعية للمنافسة فمثلاً نقول المنافسة ، هى تسابق طرفين أو أكثر للحصول على شئ مرغوب فيه .

٣- يتضح مما سبق أن العلامة سيمل يفرق بين الشكل الصورى Form للظاهرة الإجتماعية والمضمون أو التجسيد الواقعى .

٤- تعرضت تلك النظرية لكثير من النقد ومن أهمه أن تجريد العلاقات الإجتماعية من الواقع الإجتماعى وردها لعناصرها الاولية يخرجها عن طبيعتها وبعدها عن الواقع الإجتماعى وبالتالى نفقد معناها ولا يمكن معرفة وظائفها أو تأثيرها فى العلاقات الإجتماعية الأخرى .

العلامة ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) Max Weber :

عاصر العلامة سيمل وتأثر به ولكنه أضاف الكثير إلى علم الإجتماع عن طريق الابحاث القيمة التى وضعها وخاصة :

(أ) علم الإجتماع والسياسة الإجتماعية .

(ب) مقالات فى الإجتماع الدينى .

(جـ) التاريخ الإجتماعى والتاريخ الاقتصادى .

(د) البروتستنتينية وروح الرأسمالية .

أهم نظرياته :

١- يتفق مع سيمل فى أن هدف علم الإجتماع هو التوصل إلى الاشكال الصورية للعلاقات والنظم الإجتماعية ولكنه يعطى أهمية أكبر للدراسات الإجتماعية والتاريخية واستخدام أسلوب المقارنة للتوصل الحقائق العامة وإلى الأشكال والنماذج الصورية .

٢- درس عدداً كبيراً من المجتمعات الإنسانية وقسمها إلى شكلين أساسين :

(أ) المجتمع المحلى وهو المجتمع صغير الحجم القائم على المعرفة الشخصية ويقوى فيه الشعور الجماعى وتسوده العلاقات الإنسانية ذات الصبغة العاطفية واللاشعورية يسمى تلك العلاقات الإنشائية بالاتجاه الجماعى .

(ب) المجتمع العام – وهو المجتمع الكبير المعقد الذى تسوده العلاقات الإنسانية التى تهدف إلى عاقلة ويسمى تلك العلاقات الإنسانية بالاتجاه الإجتماعى .

٣- درس مظاهر السلوك الإنسانى وما يحتوية من علاقات إجتماعية وقد إرجعها جميعاً إلى أربعة أشكال رئيسية هى : السلوك الغائى (العاقل) – السلوك اللاشعورى – السلوك العاطفى – السلوك التقليدى .

يفوق بين العلاقات الإجتماعية والعلاقات الإنسانية وهكذا فليس من اللازم أن تكون كل علاقة إنسانية هى فى نفس الوقت علاقة إجتماعية ويرى أن العلاقة الإجتماعية هى سلوك هادف ينشأ كاستجابة لسلوك آخر .

٤- يرى أن هدف علم الإجتماع هو دراسة العلاقات الإنسانية وتحديد ما يمكن اعتباره علاقات إجتماعية ثم يقوم بتحليل تلك العلاقات إلى الشكل والمضمون ثم يجرد الأشكال العامة للعلاقات الإجتماعية . وهو فى ذلك يتفق مع أستاذه العلامة سيمل ولكنه يضيف بإن عالم الإجتماع لابد أن يرجع للدراسات الإجتماعية التطبيقية من وقت لآخر وهكذا لا يكون عمل عالم الإجتماع تجريد الأشكال الصورية للعلاقات الإجتماعية وإنما عليه أيضا أن يرجع للواقع الإجتماعى ويدرسه بإستمرار ويستمر الاتصال بين الدراسة التجريدية والدراسة الواقعية .

٥- أهتم ماكس فيبر بدراسة العلاقات العلمية بين الظواهر الإجتماعية وقد تعرض لقضية هامة كانت تسيطر على التفكير الإجتماعى فى عصره وهى قضية النظام الاقتصادى. جاء ماركس وأكد الحتمية الإقتصادية بمعنى أن النظام الإقتصادى يؤثر فى جميع النظم الإجتماعية الأخرى دون أن يتأثر بها ويعطى فيبر أهمية للنظام الإقتصادى ولكنه لا يوافق على الحتمية الإقتصادية ، درس نشأة النظام الرأسمالى فى أوروبا وأكتشف

أن المذهب البروتستنتى قد لعب دروا أساسياً فى ظهور النظام الرأسمالى وذلك لأن المذهب المبروتستنتى قام ونادى بقيم إجتماعية جديدة تختلف عن ذات القيم التى قام عليها النظام الرأسمالى وأهم هذه القيم :

(أ) العمل عبادة .

(ب) العمل الشاق والنجاح وسيلة للتقرب لله .

(جـ) كل فرد مسئول عن عمله أمام ا لله لا توجد واسطة (الكنيسة الكاثوليكية) بين الفرد وا لله وهكذا يجب أن يعتمد كل فرد على نفسه – الاتجاه الفردى .

(د) التقشف وعدم الأسراف وجمع الثروة دليل النجاح .

(هـ) تعمير الأرض للتقرب لله .

توصل فيبر إلى حقيقة هامة وهى أن الدين وليس النظام الأقتصادى هو أكثر النظم الإجتماعية تأثيراً فى الحياة الإجتماعية .

٢- العلامة توينيس (١٨٥٥-١٩٣٦) Ferdinand Toennis

يعد توينيس من أشهر علماء الإجتماع الإلمان وقد ساعد على وصول علم الإجتماع فى المانيا إلى مرحلة النضج والتقدم . عمل استاذا بجامعة كيل إلى أن فصلة النازيون بالرغم من تأييده للفلسفة النازية .

أهم مؤلفاته :

(أ) المجتمع العام والمجتمع المحلى .

(ب) المدخل لعلم الإجتماع .

(جـ) روح العصر الحديث .

١- تأثير توينيس بنظرية فيبر فى تقسيم المجتمعات إلى شكلين أساسين المجتمع المحلى والمجتمع العام ولكنه درس هذا بصورة أكثر عمقا ووضوحا . يتمثل المجتمع المحلى Gemeinshaft فى الأسر والعشائر والقبائل والجماعات الصغيرة مثل جماعة الصداقة واللعب.

يمتاز المجتمع المحلى بقوة الرابطة الإجتماعية والتضامن والشعور الجمعى والعاطفى ويرجع ذلك الترابط الإجتماعى القوى إلى رابطة الدم أو الجوار أو الصداقة . ويخضع الأفراد فى المجتمع بصورة قوية للدين والعادات والعرف والتقاليد والأسرة هى الوحدة الإجتماعية وتسود الملكية الجماعية لا توجد حدود واضحة بين الملكيات الفردية أما المجتمع العام Geselleschaft فهو مركب صناعى معقد ويتمثل فى المدينة والدولة والمؤسسات الإجتماعية الكثيرة . يقوم المجتمع العام على أساس الإرادة والتعاقد والمنفعة الخاصة والحذر ويخضع الأفراد للقوانين والتنظيمات الطبقية وتنشر فيه عمليات الصراع والمنافسة ويتضح فيه نظام الملكية الفردية وتظهر فيه الاختراعات – والتجريدات بصورة مستمرة ويسود الاتجاه المادى فى العلاقات الإجتماعية ويضعف تأثير العوامل الروحية والقيم الأخلاقية .

٢- يقسم العلاقات الإجتماعية إلى شكلين أساسيين :

١- العلاقات الموجبة وهى العلاقات المجتمعة التى تؤدى إلى تجميع الأفراد وتضامنهم وتكاملهم ومن استمرار الجماعة أمثله ذلك علاقات التعاون والزواج والتعاقد والصداقة وغيرها .

٢- العلاقات السالبة وهى العلاقات المفرقة التى تؤدى إلى التفكك والإنحلال وربما فناء الجماعة ومن أمثلة ذلك علاقات الصراع والحروب والمنافسة الطلاق والفسق والقتل وما إلى ذلك . ويعطى أهمية للعوامل النفسية التى تصاحب تلك العلاقات الإجتماعية .

٣- درس توينيس القيم الإجتماعية ويعد من أوائل من بحثوا هذا الموضوع من زاوية علم الإجتماع حدد مصادر القيم الإجتماعية وقسمها إلى مصدرين رئيسيين هما :

١- الإرادة الجمعية التى توجد فى المجتمع المحلى وهنا تأخذ المعايير والقيم الإجتماعية صور الدين والعادات . والتقاليد .

٢- الإرادة الإجتماعية وتلك توجد فى المجتمع العام وتتكون عن طريق التعاقد والتشريع وهنا تخلق الإرادة الإجتماعية القيم الإجتماعية فى صورة القوانين واتجاهات الرأى العام . وفيما يتعلق بتصنيف القيم الإجتماعية فإنه يقسمها إلى ثلاثة أشكال أساسية وهى القيم الدينية والقيم القانونية والقيم الأخلاقية .

٤- أهتم بظاهرة الرأى العام وحدد أهميتـه كقـوة سياسـية فـى العصـر الحديـث لهـا دورها فى اتخاذ القرارات الهامة والرأى العـام يقـوم علـى أسـاس التفكـير والعقـل وليـس الانفعالات الشعبية .

وتعد الصحف من أهم وسائل التعرف على اتجاهات الرأى العام

المدرسة الواقعية :

تختلف هذه المدرسة عن المدرسة الصورية السابقة إذا تهتم بدراسة الواقـع الإجتمـاعى وتنظيم الأبحاث الإجتماعية والتركيز على الدراسـات التطبيقيـة . يمثلهـم عـدد كبـير مـن علماء الإجتماع الألمان ولكن رغم اتفـاقهم فـى الأطـار العـام للدرسـة الواقعيـة إلا إنهـم يختلفون فى الاتجاهات التفصيلية . وهنا نعرض لعالمين يمثلان اتجاهين مختلفين .

العلامة فون فيزى (١٨٧٦-١٩٣٩) Von Weise

أهتم بإصدار مجلة متخصصة فى الأبحاث الإجتماعية التطبيقية واستمرت هذه المجلة فى الظهور حتى سنة ١٩٣٤ عندما أغلقها النازيون وأسس معهـد للعلـوم الإجتماعيـة يقـوم بالبحث الإجتماعى . وأغلقه النازيون فى عـام ١٩٣٥ ، وبـالرغم مـن أهتمامـه بـالبحث الإجتماعى . إلا إنه كان متأثر بالمدرسة الصورية .

أهم مؤلفاته :

ملخص لعلم الإجتماع (جزءان)

علم الإجتماع – تاريخه ومشاكله الرئيسية .

أهم نظرياته :

١- عرف علم الإجتماع بصورة مختلفة بعض الشئ عـن المفهـوم العـام السـائد فهـو يرى أن علم الإجتماع علم نظرى يدرس العلاقات الإجتماعية دراسـة علميـة مسـتخدما فى ذلك مناهج العلوم الطبيعية ويؤكد ضرورة التحرر من التأملات الميتافيزيقية والاحكام التقويميـة .

ويعارض النظر إلى علم الإجتماع العام على أنه علم تركيبى يجمع الحقائق التى تتوصل اليها العلوم الإجتماعية التخصصية وذلك على أساس أن علم الإجتماع هو علم خاص يدرس الحياة الإجتماعية بصورة عامة بغرض تفسيرها وتحديد نماذجها .

٢- تأثر بالمدرسة الصورية ووضح ذلك فى تصنيفه العمليات الإجتماعية إلى نماذج وصور عامة . قسم العمليات الإجتماعية عن طريق استخدام ثلاثة أسس للتصنيف .

(أ) الأساس الأول : التجميع والتفريق :

عن طريق ذلك الأساس قسم "فيزى" العمليات الإجتماعية إلى :

١- العمليات المجمعة :

وهى التكليف والإتدماج .

٢- العمليات المفرقة :

وهى التنافس والتعارض والصراع وتقوم تلك العلميات بوظيفة ، إتساع المسافة الإجتماعية بين الأفراد والجماعات .

(ب) الأساس الثانى : التباين والتكامل :

وعن طريق ذلك الأساس قسم "فيزى" العمليات الإجتماعية إلى :

١- العمليات التباينية :

التسلط - عدم المساواة - الخضوع - ألاذعان - التمييز - الفردية - الانعزال - الهجزة - الطبقية .

٢- العمليات التكاملية :

التنسيق - التنظيم - التنشئة - الامتثال - .

(ج) الأساس الثالث : البناء والهدم :

قسم العلامة "فيزى" العمليات الإجتماعية على هذا الأساس إلى قسمين :

١- العمليات البنائية :

عملية التنظيم الإجتماعى – عملية التخصص الفنى وعملية التخصص الفنى وعملية التحرر السياسى :

٢- العمليات الهادمة :

الأستغلال – المحاباة – الجمود – الاتجاه النفعى والمتاجرة بالقيم والتمرد والانقلاب .

يجب ملاحظة أن هذه التقسيمات متداخلة وكذلك يوجد تداخل بين الأسس التى يستخدمها العلامة "فيزى" فى تصنيفه للعمليات الإجتماعية . ويؤكد "فيزى" ضرورة دراسة الحياة الإجتماعية ويرى أن غرض علم الإجتماع هو الوصول عن طريق الدراسة الواقعية إلى تلك النماذج على أنها مقولات عامة أو اطارات مجردة .

٣- درس أشكال التجمع البشرى وارجعها إلى ثلاثة نماذج رئيسية هى :

١- الجمهرة : Growd

وهى تجمع مادى لعدة افراد يمتاز بسرعة التكوين وسرعة التفرق وضعف التنظيم وعدم وجود قيادة واضحة وقد يسدها العنف .

٢- الجماعة Group :

تجمع بين الناس يمتاز بالاستمرار والنظام ووضوح الهدف والقيادة وتواجد نظم اجتماعية واضحة ويشعر افراد الجماعة الواحدة بشعور الانتهاء إلى الجماعة وينتشر التضامن والتعاون بين اعضاء الجماعة ويوجد تشابه بين مشاعرهم وأنشطتهم .

٣- الجماعات المعنوية أو المجردة :

وتتميز بكبر الحجم وقوة التنظيم الإجتماعى وقـوة القيـم المعنويـة التـى تمثـل الأسـاس الذى تقوم عليه تلك الجماعات وهنا نجد تنوع الأفراد الذين ينتمون إلى تلـك الجماعـات المعنوية ويرى العلامة "فيزى" أن أوضح مثالين لتلك الجماعات هما : الدولة والكنيسة .

العلامة أو بنهيمر (١٨٦٤-١٩٤٣)

نظرياته :

أهم مؤلفاته "مذهب علم الإجتماع" .

١- يهتم بدراسة الواقع ولكنه يهتم أيضا بدراسة تاريخ الظواهر الإجتماعية والتغـير الإجتماعى عبر التاريخ ولذلك يقترب علم الإجتماع عنده من فلسفة التاريخ .

٢- يؤكد على ضرورة استعانة عالم الإجتماع بعلم التاريخ فى دراساته . وقـد طبـق هذه الأتجاه . فى دراسته لبعض النظم الإجتماعية وأهمها نظام الملكية العقارية فى ألمانيا .

٣- يرفـض التفرقـة بـين الأشـكال والصـور الإجتماعيـة وبـين المضمـون أو المحتـوى الإجتماعى ويرى أن علم الإجتماع يجب عليه عدم الاهتمام بذلك وإنمـا يجـب أن يـدرس المجتمع فى مجموعة ككل والتغيرات المستمرة التى تلحقه عبر التاريخ .

٤- درس ظاهرة الدولة وحددها بأنها تنظيم الوسيلة السياسية للمنتصر وبها يفـرض سيادته على المغلـوب . ويـرى أن نظـام الملكيـات الضخمـة يسـاعد علـى اسـتمرار نظـام سيطرة القوى على الضعيف . هنا نلاحظ تأثره بدارون وقانون البقاء للاصلح .

وهكذا ... نلاحظ أن أو بنهيمر يمثل الاتجاه الواقعى ولكن من خلال المنهج التاريخى .

الفصل الحادى عشر

المدرسة الأمريكية

أهتم علماء الإجتماع الأمريكيون بالجانب التطبيقى وبالابحاث الإجتماعاية وكان هذا الاهتمام "نتيجة" ضرورية لطبيعة المجتمع الأمريكى الذى تكون من مهاجرين ينتمون إلى مجتمعات مختلفة وثقافات متباينة فكان لابد من ظهور المشكلات الإجتماعية بصورة قوية مما دفعهم إلى توجيه علم الإجتماع وجهة عملية تطبيقية . واختار الرعيل الأول من علماء الإجتماع من نظريات علماء الإجتماع فى أوربا مما يتفق وظروفهم وما يساعدهم على حل مشاكلهم . وعندما استقرت الأمور فى أمريكا بعد الحرب الأهلية انشئت الجامعات وكان علم الإجتماع من العلوم الإنسانية التى شعروا بحاجتهم له ولذلك ادرجوه فى المواد التى تدرس بكليات العلوم الإجتماعية وأخذ ينمو تدريجيا حتى أصبحت لا تخلو جامعة أمريكية من قسم مستقل لعلم الإجتماع وتلعب الامكانيات الضخمة دورها فى تشجيع العلماء على القيام بالابحاث الإجتماعية ونشر تلك الابحاث وتنظيم مؤتمرات علم الإجتماع واليوم يوجد عدة مجلات علمية متخصصة فى نشر الابحاث الإجتماعية أهمها :

المجلة الأمريكية لعلم الإجتماع .

The American Journal of Sociology .

مجلة علم الإجتماع الأمريكية .

The American Sociological Review .

علم الإجتماع والبحث الإجتماعى .

Sociolgyand Social Research .

القوى الإجتماعية .

The Social Forces .

ويتميز علم الإجتماع بأمريكا بظهور ونمو فروع جديدة ومن أمثلة ذلك "القياس الإجتماعى" Social Measeurement وهو فرع يتخصص فى قياس العلاقات الإجتماعية هذا بالاضافة إلى علم الإجتماع الصناعى وعلم الإجتماع الحضرى وهى فروع نمت فى المجتمع الأمريكى ذى الصبغة الحضرية (وفيما يلى) عرض موجز لأهم علماء الإجتماع فى امريكا ونظرياتهم :

١- العلامة "وأرد" (١٨٤١-١٩١٢) Ward

العلامة ليستر وارد من الرعيل الأول لعلماء الإجتماع الأمريكيين ويعد من البارزين الذين دعموا تأسيس وانتشار علم الإجتماع فى أمريكا .

ومن أهم مؤلفاته :

Dynamic Sociolgy, 1883 علم الإجتماع الدينامى .

Pure Sociology وعلم الإجتماع الخالص .

Applied Sociology وعلم الإجتماع التطبيقى .

و العوامل السيكولوجية فى المدينة ؟

Psychological Factors in Civilization .

أهم نظرياته :

١- يرى أن علم الإجتماع يدرس أعمال الناس وليس ماهية أو طبيعة الناس ويدرس كذلك الوظائف والأنشطة وليس البناء الفسيولوجى ويقسم علم الإجتماع إلى قسمين :

(أ) علم الإجتماع النظرى :

يدرس الحياة الإجتماعية فى حالة الاستقرار وحالة التطور ويدرس كذلك نشأة الحياة الإجتماعية والعوامل التى تؤثر فى تلك النشأة ويرى أن تلك القوى والعوامل يمكن تقسيمها إلى مجموعتين : الأولى هى القوى المادية الطبيعية وهى التى تهدف إلى المحافظة

على الكائن الحى مثل الأجهزة العضوية والغرائز والتنظيم العصبى . أما المجموعة الثانية فهى القوى الإجتماعية والاخلاقية أى النظم الإجتماعية .

(ب) علم الإجتماع التطبيقى :

يدرس كيفية تطبيق مبادئ علم الإجتماع يهدف التعجيل بالتغير الإجتماعى مما يحقق التقدم الإجتماعى . ويؤكد وارد أن علم الإجتماع التطبيق لا يقوم بالاصلاح الإجتماعى وتطبيق مبادئ علم الإجتماع وإنما بين فقط كيفية التطبيق على أن تقوم فنون الاصلاح الإجتماعى والتخطيط الإجتماعى ، وغيرها بالتطبيق العملى ويفرق بين التغير الإجتماعى الطبيعى أو التلقائى ويسمى ذلك التطور الإجتماعى وبين التغير الإجتماعى المقصود ويسميه الاصلاح الإجتماعى ويرى أن التطور يسير عشوائيا ويصوره عمياء أى قد يؤدى إلى التقدم وقد يؤدى إلى نكسة وتخف أما الاصلاح الإجتماعى فهو تغير اجتماعى هادف يؤدى إلى التقدم الإجتماعى ويخضع للارادة والمنطق الإنسانى .

٢- درس وارد تطور الإنسانية وهنا يقترب من فلاسفة التاريخ ويرى أن الإنسانية فى تطورها تمر بأربعة مراحل وتمثل المرحلة الرابعة الحالة المستقبلة التى ستصل اليها الإنسانية فى المستقبل . هذه المراحل هى المرحلة الفردية والمرحلة الجماعية والمرحلة القومية العالمية وفيما يلى فكرة عن خصائص تلك المراحل .

(أ) المرحلة الفردية :

يرى أن الإنسان عاش فيها منعزلا ولذلك كان الإنسان ضعيفا فى تلك المرحلة ولذلك تعرض لكثير من الأخطار وخاصة العواصف والفيضانات والحيوانات المفترسة . وأضطر الإنسان إلى التجمع فى جماعات صغيرة لكى يحمى نفسه من الشرور المحيطة .

نلاحظ اتفاقه هنا مع الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز ومعارضته لمعظم علماء الإجتماع الذين يرفضون الحالة الفطرية والانعزالية للإنسان الأول .

(ب) المرحلة الجماعية :

هنا ظهرت المعاشر والعشائر والقبائل وسيطرة الدوافع الغيرية وأصبح الإنسان يشعر بقوة انتمائة للجماعة وباستعداده للتضحية فى سبيل المجموعة وتتميز تلك المرحلة بصغر التكتلات الإجتماعية وبقوة المشاعر القبائلية وبكثرة الحروب بين تلك المجتمعات الفردية.

(جـ) المرحلة القومية :

وتبدأ بظهور مجتمع المدنية واستقرار الحياة الإجتماعية وتقدمها وظهور الأمم التى تقوم على أساس المشاعر القومية ولكن لا يعنى ذلك الاستقرار السلام الدائم بين الأمم وذلك لان الكثير من تلك الأمم تدفعها الرغبة فى السيطرة والتوسع الاقليمى والاستعمار الاقتصادى وتحقيق الثروة والقوة إلى شن الحروب المدمرة على الأمم الأخرى. وهذا هو العصر الذى عاش فيه العلامة "وارد" أى – أوائل القرن العشرين .

(د) المرحلة العالمية :

وهى المرحلة المستقبلة وفيها تضعف النزعات القومية والعنصرية وتختفى الحروب بين الأمم وتحدث تطورات من شأنها انتشار ثقافة عالمية مما يساعد على التقارب بين اللغات المختلفة والقيم والعادات وهكذا تنصهر النظم الإجتماعية المختلفة فى بوتقة عالمية ويقوم بتنظيم العلاقات بين الدول هيئة عالمية تحافظ على القيم الإنسانية من سلام وحقوق والعدالة ويتحقق تقدم الإنسانية .

٣- يحدد "وارد" أربعة قوانين اجتماعية تفسر التفاعل والحركة الإجتماعية وما يترتب عليها من تغير أو تطور اجتماعى . هذه القوانين الإجتماعية هى :

(أ) قانون "تباين الامكانيات" Difference of potential

ويقصد بذلك القانون أن الحياة الإجتماعية أو المجتمع وما يمكن أن يحدث فيه من أنشطة وامكانيات لابد أن تخضع لقانون التباين والاختلاف إذا لا يمكن أن نتصور مجتمعا يكون فيه جميع الأعضاء متشابهين وأن تكون فيه جميع العلاقات الإجتماعية الممكن

حدوثها وكذلك جميع الأنشطة الإجتماعية المحتملة فى حالة تشابه تام إذ لابد أن يكون هناك اختلاف بل تعارض وتنافر يترتب على ذلك ضرورة وجود هيئة تنظيمية تمنع ما يمكن أن يترتب على ذلك التباين والتناقض من آثار سلبية مثل الفوضى والصراع والحروب ويعود فيقرر أن ذلك التباين والاختلاف هو الأساس فى ظهور الأفكار الجديدة لأن التفاعل الإجتماعى لا يمكن أن يحدث إلا بين عناصر مختلفة شأنه فى ذلك من التفاعل الكيمائى الذى لا يحدث إلا فى حالة وجود عناصر كيميائية متعارضة ومختلفة وهنا يبدأ القانون الثانى فى العمل .

(ب) قانون الاختراع : Law of Innovation

يترتب على التفاعل الإجتماعى بين أعضاء المجتمع الواحد احتكاك العقول وتبادل الخبرات والأفكار وظهور الحاجات الجديدة مما يدفع الإنسان إلى اختراع الأفكار الجديدة وما يترتب عليها من أفعال وأدوات وآلات وفنون وقيم وهكذا يتطور المجتمع الإنسانى ولا يستقر على حالة واحدة .

(جـ) قانون الجهد البناء Law of Connation

يستخدم الإنسان طاقته وجهده فى أنشطة وأعمال تؤدى إلى الحفاظ على كيانة والدفاع عن وجوده واستمراره فى الوجود عن طريق التناسل وبذل الجهد ذلك بغرض التكيف مع البيئة والتغلب على المصاعب التى تقابله وهكذا هناك قانون غريزى واجتماعى يؤدى إلى بذل طاقة الإنسان فى مجهودات بناءة وليس فى أعمال مدمرة ولكن هذا لا يمنع من وجود حالات يحدث فيها هدم ولكن الطابع الغالب على الجهد الإنسانى هو البناء والتقدم الإجتماعى وتحقيق السعادة للإنسان .

(د) قانون الغائية الإجتماعية : Law of Soctal Teleology

يرى "وارد" أن الإنسان بطبيعته أنانى ويميل لتحقيق رغباته الفردية وشهواته ومصالحه الخاصة ولذلك عاش منعزلا فى أول حياته لم يتجه لحياة الجماعة المنظمة إلا عندما اضطر إلى ذلك . ولكن يرى ، "وارد" أن هناك قانون آخر يقوم بوظيفة توجيهية وتنظيمية

للرغبات والمصالح الفردية وهو قانون الغائية الإجتماعية فمن طبيعة التفاعل الإجتماعى أن يوجه الرغبات الفردية التى تحقق الصالح العام والغايات الإجتماعية التى تعود بالنفع إلى المجتمع وليس لفرد واحد بالذات . أن هذا القانون الإجتماعى هو بمثابة القالب السوى الذى يجب أن تتشكل فيه الرغبات الفردية والا يتحول المجتمع إلى فئات متنازعة وتسود الفوضى ويعم الخراب وتعود شريعة الغاب إلى الظهور ولكن ما هى الهيئة التى يجب أن تحدد الغايات الإجتماعية والتى تنظم توجيه الجهود الفردية نحو تحقيقها ؟ يجيب "وارد" بأن المجتمع هو ذلك الهيئة ، ويجب أن يقوم المجتمع بحكم نفسه وهكذا ينادى "وارد" بالديموقراطية المباشرة ذلك النظام اليونانى المثالى الذى يقوم على أساس حكم الشعب بالشعب ولكنه يضع اصطلاحا جديدا لذلك النظام وهو اصطلاح "حكم المجتمع Sociocracy وأساس هذا الحكم هو أن يخضع كل فرد لنظام وأهداف المجتمع وهى الغائية الإجتماعية .

٤- يشتهر العلامة "وارد" بنظرية فى تحديد "مصدر الحركة" ما هو العامل الذى يدفع الإنسان للحركة وبالتالى للتفاعل الإجتماعى ؟ بينما يحدد علماء الحياة هذا المصدر بالطاقة فإن العلامة "وارد" يحددها بالرغبة فالرغبة هى المصدر الجوهرى لجميع الحركات والأفعال الإنسانية ويجب هنا ملاحظة إنه لا يوجد تعارض بين التفسيرين فبينما يحلل علماء الحياة مصدر الحركة من زاوية بيولوجية صرفه ، وهى عملية احتراق المواد الغذائية التى تتولد منها الطاقة والطاقة ما هى إلا الحركة فإن العلامة "وارد" يبدأ عندما ينتهى علماء البيولوجيا فيبحث عن العامل الموجه للطاقة هذا العامل هو الرغبة الإنسانية ويوجد فرق آخر بين التفسيرين السابقين فبينما يتحدث علماء الحياة عن مصدر الأفعال عند جميع الكائنات الحية فإن العلامة "وارد" يدرس مصدر الأفعال عند الإنسان فقط . ويحددها بأنها الرغبات Desires وهو يقابل بين الرغبات والحاجات ولذلك يستخدم الاصطلاح السابق للدلالة على الرغبات أو الحاجات أو القوى ويقسم وارد الرغبات أو الحاجات – الإنسانية إلى ثلاث مجموعات هى .

(أ) حاجات غذائية :

وأهم تلك الحاجات هى الرغبة فى البحث عن الطعام أو حاجة الإنسان للغذاء . وتسيطر تلك الرغبة على كثير من الأفعال الإنسانية منذ أن وجد الإنسان حتى اليوم وكانت تلك الرغبة هى مصدر معظم أفعال الإنسان فى الماضى القديم وكذلك فى المجتمعات البدائية والمتخلفة فإن الإنسان فى تلك المجتمعات تدور كل أفعاله وعلاقاته الإجتماعية حول البحث عن الطعام وتوفيره حتى يستطيع البقاء ولا يموت جوعا . أما اليوم فإن نمو ثقافة الإنسان وتقدمها وظهور الاختراعات وخاصة الزراعة جعلت الإنسان يوفر الطعام بأقل جهد وأصبح لديه الوقت والجهد لتحقيق غايات أخرى . ويفسر "وارد" الهجرات القديمة والحروب بين الشعوب القديمة والحديثة أيضاً إلى تلك الحاجة أو الرغبة الأساسية .

ويصل "وارد" إلى استنتاج هام وهو أن حاجة الإنسان إلى الطعام هى التى دفعته للعمل ويرى أن الإنسان القديم والحديث أيضا يمتنع عن العمل إذا توافر له الطعام من حوله وأن الدافع الحقيقى للعمل هو حاجة الإنسان للطعام فهل الإنسان حقا يكره العمل بطبيعته ام لا ؟

يرى العلامة "فبلن" أن الإنسان لديه دافع فطرى أو عزيزى يدفعه للعمل الكد بغرض– اشباع حوائجه وتحريك اعضائه والقضاء على الملل .

ويرى العلامة "وارد" أن ظهور نظام المكلية كان من أهم عوامل انتشار الشر والحرب والنزاع الشر والنزاع والتفاوت الطبقى وهو هنا يتأثر بقوة الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو . وترتب على تلك المشاكل ظهور التشريعات والقوانين التى تنظم العلاقات الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء ويرجع كل هذه التنظيمات فى أصلها إلى "الرغبة فى توفير الغذاء" ويصف هذه القوانين والتشريعات بأنها أساليب الخداع الإجتماعي ولذلك يعارض التفاوت الطبقى وتركز الثروات فى طبقة صغيرة بينما تعانى الطبقات الضخمة العدد من الفقر والحرمان ويعارض الرأسمالية والطبقات الإجتماعية التى تمتص دماء الفقراء وهو يعارض أيضا الاشتراكية المتطرفة لانها تعيد المساواة بصورة صناعية ويميل للاشتراكية التعاونية والاشتراكية المعتدلة وينادى بقوة التعاون بين أفراد الطبقة العاملة .

(ب) حاجات انجابية :

وتتمثل تلك الحاجات فى الدوافع الجنسية التى يترتب عليها التناسل واستمرار الجنس البشرى وتوجد تلك الحاجات عند جميع الكائنات الحية عن طريق التكاثر وهو هنا يتأثر بالعلامة هربرت سبنسر ويشير كذلك إلى الفرق الكبير بين التركيب العضوى للحيوانات الراقية وعلى رأسها الإنسان والحيوانات الدنيا ويشير كذلك إلى الفرق بين الذكر والانثى فى الحيوانات الراقية وترتب على ذلك الفرق الفسيولوجى فى الإنسان فروق أخرى فى الحياة الإجتماعية مثل الأختلاف فى الملبس والزينة والتربية والحقوق والواجبات وبالرغم من تقدم بعض المجتمعات الإنسانية إلا إنها لا تخلوا من بعض تلك الاختلافات .

وأدت تلك القوى الإجتماعية فى نظره إلى ظهور أول صور الحب وهو الحب الجنسى الغريزى وتطور بعد ذلك إلى الحب العاطفى الرقيق ويصل إلى أرقى صوره فى الحب الروحى . وترتب على تلك الحاجات ظهور الكثير من الظواهر الإجتماعية مثل : نظام الزواج والنظام القرابى ونظام الاسرة ونظام الملبس ونظام التزين وآدب الغزل والأغانى العاطفية وما إلى ذلك .

(ج) حاجات اجتماعية :

وهى الرغبات الاخلاقية والجمالية والعقلية وتتميز تلك الرغبات أو الحاجات عن المجموعتين السابقتين بإنها خاصة بالإنسان فقط بينما توجد الرغبات الغذائية والرغبات الانجابية فى صورها الغريزية عند جميع الكائنات الحية تتمثل الرغبات أو القوى الاخلاقية فى العادات والتقاليد والاعراف والقوانين والقيم والعلاقات الإنسانية وقد حدث تطور فى تلك الرغبات على مر العصور وباختلاف المجتمعات واستطاع الإنسان أن يرتقى بتلك الرغبات الاخلاقية ووصل إلى قيم إنسانية راقية تحقق سعادة الإنسان .

فيما يتعلق بالحاجات الجمالية وجد إنها ترجمة إلى فنون متعددة منها الموسيقى والرقص والغناء والرسم والنحت والهندسة المعمارية ولا يمكن أغفال الشعر والنثر وتقوم هذه الفنون على أساس تذوق الإنسان للجمال واسهام أصحاب المواهب فى التعبير عن تلك

الحاجات عن طريق أعمالهم المبدعة وتقدم الإنسان للتعبير عن تلك الحاجات ووصل إلى درجة كبيرة من الرقى والتقدم .

ونصل فى النهاية إلى الحاجات العقلية وهى التى تتمثل فى وسائل تحصيل المعرفة ومن أمثلة ذلك العلم والفنون والعملية واللغة والاختراع والتوصل إلى القوانين وتتصل بتلك الحاجات العقلية وسائل تعليم الغير وقد تقدم الإنسان فى وسائل تعليم النشأ والتعليم الجماعى ويعطى قيمة كبيرة لتعليم النشأ وذلك لتوفير رغبة قوية عند النشأ فى التعليم واكتساب المعلومات بصورة أسرع وابقى أثرا من البالغين .

٢- العلامة سمنر (١٨٤٠-١٩١٠) Sumner :

بدأ العلامة وليم سمنر حياته العملية بدراسة علوم الاهوت وعمل بالكنائس كواعظ دينى ثم تحول إلى الدراسات الإجتماعية والاقتصادية واستطاع الوصول إلى درجة الاستاذية بجامعة ييل وتتلمذ على يدبه عدد كبير من علماء علماء الإجتماع المعاصرين واختير فى عام ١٩٠١ ريئسا للجمعية الأمريكية لعلم الإجتماع .

ومن أهم مؤلفاته :

(الأساليب الشعبية) **Folkways**

ماذا تعنيه الطبقات الإجتماعية بعضها للبعض الآخر **What Social Classes Owe to Each other** .

(علم المجتمع) كتاب ضخم فى أربعة اجزاء يجمع كل مؤلفاته **The Scienceof Society** .

أهم نظرياته الإجتماعية :

١- يعطى أهمية كبرى للزواج المختلط بين العروق المختلفة ودوره فى الاقلال من مظاهر التعصب العنصرى القائم على أساس اختلاف العرق واللون . فقد لاحظ أن هناك ازديادا مضطردا فى عدد الزيجات المختلفة بين السود والبيض فى البرازيل وجنوب أفريقيا وكذلك بين الصفر والبيض فى الفلبين وجنوب شرق آسيا ويرى أن هذه الزيجات

ساعدت على القضاء على الأمتيازات العنصرية والاضطهاد العنصرى والقائم على أساس العرق وكذلك القضاء على عمليات الأبادة التى كانت تقوم بها بعض الجماعات البيضاء ضد الشعوب الصفراء والسوداء هذا بالاضافة إلى القضاء على الرق والسخرة والاستغلال الاقتصادى ومظاهرة السيادة التى تمارسها الشعوب البيضاء على الشعوب الصفراء والسوداء .

ويعارض "سمنر" رأى بعض الكتاب الاستعماريين الذين يرون أن أنتشار الزواج المختلط بين العروق المختلفة سيؤدى إلى انتصار العرق الاحط (الأسود) وافناء العرق الراقى (الأبيض) .

هناك عوامل أخرى لعبت دورها وأكثر أهمية من الزواج المختلط وأهم تلك العوامل الفلسفات الإنسانية والثورات التحررية واستقلال الشعوب الأفريقية الآسيوية ونموها الإقتصادى والإجتماعى . هذا بالاضافة إلى أن حالات الزواج المختلط بين العروق المختلفة لا تزال قليلة العدد ولا تزداد بصورة واضحة ولذلك من الصعب اعطائها تلك الأهمية التى حددها العلامة (سمنر) .

٣- يعد كتابة "الأساليب الشعبية" من أفضل كتب علم الإجتماع التى عالجت موضوع الضبط الإجتماعى هذا بالرغم من مضى أكثر من نصف قرن على نشر ذلك الكتاب يحلل "سمنر" نشأة العادات والتقاليد فيرى انها بدأت فى أول الأمر بصورة تلقائية عملية كوسيلة اخترعها الإنسان التكيف مع البيئة تلك قوالب السلوك تحدث عن طريق التجربة والخطأ ولا يشعر الأفراد بقوة ضعطها وإنما كانت على هامش الشعور أى لا يهتمون بها كثيرا وذلك فى بداية نشأتها ثم أخذت تتكرر على مر السنين وتنتقل من جيل لآخر وانتقلت من هامش الشعور إلى مركز الشعور وتسربت إلى عقول الأفراد وقلوبهم واستقرت فى أعماق نفوسهم هنا تحولت العادات إلى أعراف أى إلى مبادئ ونظم يتعارف عليها الناس وينظرون اليها كأمور طبيعية لابد من احترامها ومما يساعد على تثبيتها فى العقول قيام الأسرة بعملية التنشئة الإجتماعية التى عن طريقها تلقن تلك الاعراف والعادات إلى أطفالها وهكذا ينشأ الأطفال على ضرورة احترامها ، وهناك أجهزة ومؤسسات اجتماعية تقوم بعملية الضبط الإجتماعى أى المراقبة والاشراف على تطبيق تلك العادات والتقاليد وانزال العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليها أهم هذه المؤسسات الاسرة والمؤسسة الدينية وأهل القرية والمدرسة والبوليس والمحاكم ، وهنا يفرق.

"سنمر بين العرف والعادات على أساس العرف يتمثل فى مجموعة من العقائد أو الأفكار التى يعتقد فى صحتها مجتمع ما ، أما العادات فهى الترجمة العملية لتلك الأفكار ويؤكد "سنمر" نسبية الاعراف والتقاليد بمعنى أن كل مجتمع له تقاليدة واعرافه وبشير كذلك إلى التطور والتغيير الذى يطرأ على العادات والاعراف ويبين أثرا الاختراعات والاكتشافات فى تطوير العادات والتقاليد ولكن ليس من السهل تغييرها فإن المثقف قد يكون واثقا من أن الاسراف فى حفل الزخاف لامبرر له ولكن يضطر إلى الخضوع لذلك التقليد لأنه من تقاليد عائلته إنه قد يزور أضرحة المشايخ ولكن طالبا الشفاء من مرض مع إنه واثق من عدم وجود علاقة علمية بين الظاهرتين ولكنه تعود على ذلك منذ الصغر وتتصل بالعادات والتقاليد والاعراف ظاهرة اجتماعية هامة وهى القيم الإجتماعية ويقصد بها مجموعة من الأفكار والمبادئ التى يعتقد فى صحتها أفراد المجتمع ويحاولون فى أعمالهم أن يقتربوا من تلك المبادئ ولابد أن تتسق عاداتهم وتقاليدهم مع قيمهم بل ان القيم ما هى الا المبادئ العامة التى يقوم على أساسها كل التنظيم الإجتماعى للمجتمع ، بل ان القيم ما هى إلا المباءئ وبالتالى العادات والتقاليد والاعراف . وتتغير القيم الإجتماعية ببطء شديد إذا قورنت بالظواهر الإجتماعية الاخرى إذ أنها فى الحقيقة أبطأ النظم الإجتماعية فى التغير . فمثلاً إذا قلنا أن من أهم قيم المجتمع العربى التدين يعنى ذلك أن الأفكار والطقوس الدينية تسيطر على كثير من تصرفاتنا بنسبة أكبر مما نجدها فى المجتمع الفرنسى مثلاً وكذلك عندما نقول أن المجتمع الغربى تسوده المادية يعنى ذلك إنهم يقيسون كل شئ على أساس المادة والمنفعة وليس على أساس رضا الله أو الجنة أو النار بعد الموت . يقسم "القيم الإجتماعية إلى ما يأتى" :))

(أ) قيم بيولوجية خاصة بالجسم مثل الصحة والقوة والجمال .

(ب) قيم اقتصادية مثل الغنى والنجاح فى الوظيفة والسيطرة والكرم .

(جـ) قيم اخلاقية مثل الشجاعة – الشرف – المروءة – التضحية – السعادة .

(د) قيم عقلية مثل الذكاء والتفوق العلمى والاختراعات والتأمل العقلى ولا شك أن المجتمعات تختلف فى القيم التى تؤمن بها ..

((تعليق))

أخطأ سمنر .. عندما لم يذكر القيم الدينية لأنها من أقوى القيم الإجتماعية فى معظم المجتمعات الإنسانية .

٣- يعطى ((سمنر)) أهمية كبيرة لدوافع الفطرية والغرائز فى تفسير الظواهر الإجتماعية وهو يرى تلك الظواهر كامتداد للغرائز وبمعنى آخر يمكن اعتبار الغرائز كأساس تقوم عليه الظواهر الإجتماعية . ويقسم الدوافع الفطريه إلى اربع مجموعات الدوافع المتعلقة باشباع الحاجات الجسمية وهى المأكل والملبس والمسكن ، وثانيا الحاجة إلى اشباع الغرائز الجنسية ، وثالثا الحاجة إلى اشباع حب العظمة والاستعلاء والمظهرية ورابعا الحاجة إلى التخلص من الخوف . ويمكن تلخيص هذه الدوافع الفطرية فى أربعة غرائز : غريزة البحث عن الطعام والمأوى والغريزة الجنسية وغريزة الاستعلاء وأخيرا غريزة البحث عن الأمن فيما يتعلق بالغريزة الأولى قامت على أساسها ظواهر اجتماعية عدة منها تقسيم العمل والمهن والفنون والعلوم وبعض الاختراعات أما الغريزة الجنسية فهى أساس الزواج ونظام القرابة ونظام الاسرة نظام العشيرة والأبوة ترتب على غريزة الاستعلاء النظام السياسى والتفاوت الطبقى والحروب والاستعمار والاحتكار ونظام الاقطاع والامتيازات والصراع العنصرى وفيما يتعلق بغريزة البحث عن الأمن فقد ترتب عليها عبادة الأزواج وعبادة الأجداد والأديان المختلفة .

٤- درس العلامة ((سمنر)) النظام الطبقى بأسلوب يختلف عن الأسلوب المطبق حاليا فاليوم ننظر للطبقة على إنها جماعة من أفراد المجتمع يتفقون فى خصائص اقتصادية واجتماعية معينة بحيث تجعلهم كجماعة متمايزة فى المجتمع فإذا كان المجتمع يسمح بوجود حراك اجتماعى أى انتقال من طبقة لأخرى نطلق على تلك الطبقات اسم طبقات مفتوحة . أما إذا رفض المجتمع وجود مثل الحراك الإجتماعى فإننا نطلق عليها اصطلاح الطبقات المغلقة . وتختلف المجتمعات فى تحديد المقاييس التى على اساسها تحدد معالم الطبقات فيها فمثلاً الطبقة الوسطى فى المجتمع قد تكون شبيهة بالطبقة السفلى فى المجتمع ب وهكذا ..

فيما يتعلق بالعلامة "سمنر" الصورة تختلف تماما ، فهو يقسم المجتمع عامة إلى خمس

طبقات وهى طبقات يمكن أن توجد فى أى مجتمع وهى .

١- الطبقة الوسطى : وهى الطبقة التى تقوم بأهم الأعمال والتى تمثل العمود الفقرى وتزود المجتمع بالمأكل والمشرب والسكن

٢- الطبقة المتطفلة أو العاطلة : وهى تجمع الأفراد الذين لا ينتجون ويعيشون عالة على الآخرين ولكنها مضطرة إلى ذلك أى أن الظروف فرضت عليها عدم القدرة على الاسهام فى العمل المنتج وتضم تلك الطبقة الأطفال والمرضى والعجزة والمسنين وأصحاب العاهات والمجانين .

٣- الطبقة المثقفة والغنية : وهى طبقة هامة ويتمتع أفرادها بمستوى مرتفع من الذكاء وهى تلعب دورا كبيرا فى تقدم المجتمع .

٤- طبقة العباقرة : ويتمتع هؤلاء بعبقوية نادرة وهؤلاء قلة قليلة فى المجتمع ويصعب الكشف عنها وتوجيهها التوجيه المفيد ولذلك لا تعلبه دورا كبيرا فى تقدم المجتمع لصغر حجمها ولابتعاد معظم أفرادها عن مكانها المناسب اللهم إلا فى الدول المتقدمة التى تبحث عن المواهب منذ الصغير وتنميها وتوجهها الوجهة السلبية وبالتالى يمكن الاستفادة منها .

٥- طبقة المنحرفين : وتضم المجرمين والأحداث المنحرفين ويرى إنها طبقة غير سوية ولذلك يجب أن تظل قليلة العدد ويجب أن نبحث عنها باستمرار ونعالج انحرافها وذلك لان كثرة أفراداها يهدد المجتمع بالانهيار .

فلاحظ فى التقسيم السابق أن العلامة ((سمنر)) قد استخدم ثلاثة أسس مختلفة للتصنيف الأساس مختلفة للتصنيف الأساس الأول هو الانتاج وعدم الانتاج والأساس الثانى .

٣- العلامة سمول (١٨٥٤-١٩٢٦) Small.

يعد من كبار علماء الإجتماع فى أمريك - درس فى الجامعات الألمانية - تعرض لجميع فروع علم الإجتماع ويشهر بكثرة مؤلفاته وله مؤلفات فى علم الأقتصاد وصل إلى وظيفة رئيس قسم الإجتماع بجماعة شيكاغو .

ومن أهم مؤلفاته :

Introduction to the Study of Society مقدمة في دراسة المجتمع .

General Sociology علم الإجتماع العلم .

The Meaning of Social Science معنى العلم الإجتماعى .

Between Two Eras : From Capitalism To Democracy

وبين عهدين : من الرأسمالية إلى الديمراقراطية .

Origins of Sociology أصول علم الإجتماع .

أهم نظرياته الإجتماعية :

١- يختلف العلامة "سمول عن سابقيه من علماء الإجتماع الأمريكيين فى عدم الاهتمام بالأساس النفسى الظواهر الإجتماعية ولذلك لم يحدد الدوافع الفطرية التى ترتكز عليها النظم الإجتماعية وإنما جعل "الجماعة" هى وحدة التحليل الإجتماعى نقطة البداية التى تنطلق منها الدراسات الإجتماعية وهى كذلك المحور التى تتركز حوله الابحاث الإجتماعية ولذلك عارض بقوة تقسيم علم الإجتماع إلى علوم اجتماعية جزئية مستقلة ويؤكد ضرورة التعاون بين فروع علم الإجتماع إذا لا يمكن دراسة النشاط الاقتصادى أو السياسى أو الأسرى أو الدينى الاكظواهر اجتماعية متداخلة ومتكاملة .

٢- يحدد أهداف علم الإجتماع بإنهاء دراسة النظم الإجتماعية دراسة علمية تهدف إلى تحديد القيم الإجتماعية التى يرتكز عليها وهنا المصدر الميتافيزقى للقيم الاخلاقية ويرى إنها من النظم الإجتماعية ولا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق دراسة الواقع الإجتماعى وبالرغم من ذلك فإن القيم الاخلاقية هى التى تسيطر على تلك النظم وتوجيهها فى اتجاهات معينة وهكذا يعطى "سمول" أهمية كبرى القيم الاخلاقية على إنها القوى المحركة للنشاط الإجتماعى ويرى أن هدف علم الإجتماع هو تحديد القيم الاخلاقية والعمل على الارتقاء بها عن طريق الارتقاء بالنظم الإجتماعية وذلك يتم عن طريق الاصلاح الإجتماعى ، نلاحظ هنا تأثر "سمول" القوى بالعلامة "دور كايم" صاحب الاتجاه

الإجتماعى فى دراسة القيم الأخلاقية ويتفق العالمان فى ارجاع القيم والمثل الاخلاقية إلى الواقع الإجتماعى أى إلى العمليات والعلاقات الإجتماعية ويعارضان بقوة الاتجاه الميتافيزيقى التأملى .

٣- يعطى "سمول" أهمية كبيرة العوامل الاقتصادية فى الأنشطة الإجتماعية الأخرى وحاول وضع جدول أو نموذج للانشطة الإجتماعية وما يحدث بينها من تفاعلات وتداخلات وأوضح فى ذلك الجدول التأثيرات القوية للمصالح الأقتصادية . ولكنه رفض النظرية الأقتصادية الكلاسيكية التى تقوم على أساس "الإنسان الاقتصادى" الذى لا يخضع سوى لمصلحته الأقتصادية لشخصية ولا يتأثر بالعوامل الإجتماعية الأخرى ويرى أن الإنسان يتأثر بالعوامل الأخلاقية والدينية إلى جانب العوامل الأقتصادية . وهكذا فإن اهتمامه بالعوامل الأقتصادية لم يدفعة إلى الأخذ بالمبدأ القائل بأن الإنسان يعيش بالخبز فقط .

٤- عارض بقوة النظام الرأسمالى القائم على أساس تحقيق أكبر ربح والاحتكار وتجميع رؤوس الأموال فى طبقة صغيرة تسيطر على مقدرات الدولة ويعارض كذلك مبدأ وراثة الثروات ومبدأ الملكية الفردية المطلقة ولكنه فى نفس الوقت يأخذ بالاشتراكية الماركسية وإنما نادى باشتراكية معتدلة تبيح الملكية الفردية المحدودة وتعطى للطبقة العاملة حقوقها وتمنع الاستغلال والأحتكار فهو يؤمن بالأقتصاد الموجه من الدولة مع اتاحة اقتصادية محدودة وللأفراد وتهدف تلك الأشتراكية المعتدلة إلى الرفاهية الأقتصادية والإجتماعية وليس الربح وتهدف كذلك إلى وضع تشريعات جديدة تمنع نظام تورات الثروات لأنه نظام غير عادل ويساعد على خلق طبقة وغنية . ولا يعطى قيمة كبرى "للعمل كأساس للقيمة وتوزيع العائد" .

وفى الخاتمة نشير إلى مجهودات هذا العالم فى تسجيل تاريخ علم الإجتماع ومجهودات سابقية وتحليلها ويعطى أهمية العلماء الإجتماع فى المانيا ولذلك يعد من مؤرخى علم الإجتماع البارزين .

٤- العلامة "ماكيفر" (١٨٨٢-١٩٥٦) Mac Iver

تعلم وحصل على الماجستير والدكتوراه فى انجلترا ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وشغل مناصب استاذية علم الإجتماع فى : عدة جامعات أمريكية أهمها كولومبيا وهارفاد وييل .

تأثر بقوة بكل من تونيس وسيمل ودوركايم وسبنسر وسمول ولذلك تعد نظرياته اتجاها توفيقيا لنظريات العلماء السابقين .

من أهم مؤلفاته :

The Community المجتمع المحلى .

Sociology علم الإجتماع .

Society : Its Structure Change المجتمع : تباينه وتغيره .

Social Causation العلية الإجتماعية .

Society : An Introductary Analysis المجتمع : تحليل تمهيد .

ألف ماكيفر هذا الكتاب بالاشتراك مع العلامة الأمريكى بيج - ترجم الدكتور على عيسى هذا الكتاب إلى اللغة العربية .

أهم نظرياته :

[١] أعطى "ماكيفر" اهتماما كبيرا لأصطلاحات علم الإجتماع وذلك لأن تقدم هذا العلم يرجع لأتفاق علماء الإجتماع على استخدام أصطلاحات ،واحدة ذات تعريفات واضحة يتفق عليها الجميع . نشير هنا إلى بعض تلك المصطلحات :

١- الحقائق الإجتماعية : Sôcial Facts

هى موضوع علم الإجتماع وتشمل :

(أ) العلاقات الإجتماعية : *Social Relations*

وهى الترجمة السلوكية للتفاعل بين الأفراد .

(ب) النظم الإجتماعية : *Social Systems*

الصورة العامة (الأنماط) للعلاقات الإجتماعية .

٢- المجتمع : Society

هو النسيج العام والاطار العام الذى يجمع ويتكون من العلاقات الإجتماعية .

من أهم خصائص المجتمع التغير والتطور وتفاعل العلاقات الإجتماعية بداخلة وكذلك اعتماده على مبدأى التشابه والتباين وعن طريق هذين المبدأين يتم التفاعل بين عناصره وبالتالى استمراره . هنا يتأثر ماكيفر بآراء العلامة هربرت سبنسر .

٣- المجتمع المحلى : (أو الجماعة المحلية) : Community

هو جماعة من الأفراد يعيشون فى منطقة واحدة قد تكون صغيرة مثل القرية والعشيرة والقبيلة والبلدة وقد تكون منطقة كبيرة مثل المدينة والدولة أو الأمة أهم ما يميز المجتمع المحلى هو أن يمارس أفراده جميع علاقاتهم الإجتماعية فى داخله . وبالتالى لا يمكن اعتبار المصنع والمدرسة أو الاسرة أو المتجر أو الملهى أو النادى أمثلة للمجتمعات المحلية . يجب ملاحظة أن المجتمع هو صورة عامة للمجتمعات المحلية الواقعية .

٤- الجماعة : Groups

هى مجموعة من الأفراد تجمعهم علاقات اجتماعية ذات طابع خاص ومحدود وتؤدى الجماعة وظائف معينة ومحدودة ومن خصائص الجماعة إنها دائما جزء من المجتمع المحلى وتتكون تلقائيا ومن أمثلة الجماعة الطبقة الإجتماعية والجيرة وجماعة اللعب .

٥- المؤسسة أو المنظمة : Institution

و هى جماعة منظمة تنشأ بصورة مقصودة بغرض تحقيق مصالح خاصة معينة ولذلك تظهر الارادة الإنسانية فى انشاء المؤسسة الإجتماعية وفى ادارتها وفى تحقيق أهدافها ومن أمثلة ذلك المصنع أو المدرسة أو الجيش أو النادى أو المتجر أو الجماعة أو المعمل الصغير ..

[٢] يعرف "ماكيفر" علم الإجتماع بأنه علم العلاقات الإجتماعية ولذلك يهتم بضرورة المام عالم الإجتماع بالعلوم الإجتماعية الأخرى مثل علم السياسة وعلم القانون

وعلم الاقتصاد وعلم الإجتماع هو العلم الوحيد الذى يجمع لفى دراسته جميع الظواهر الإجتماعية وعالم الإجتماع هو الذى يدرس الظواهر الإجتماعية ليس لكونها سياسية أو دينية أو اقتصادية وإنما لكونها ظواهر اجتماعية وهكذا يؤدى ماكيفر أهمية دراسة – الترابط بين الظواهر الإجتماعية وذلك لان هذا الترابط يعبر بدقة عن واقع الحياة الإجتماعية التى تجمع الجوانب الاقتصادية والسياسية والقانونية والدينية وغيرها .

أن المادة الأولية للدراسات الإجتماعية هى العلاقات الإجتماعية وهنا نلاحظ تأثر العلامة ماكيفر بالمدرسة الألمانية للعلاقات الإجتماعية وخاصة العلامة "سيمل" . وينادى ماكيفر بضرورة اهتمام عالم الإجتماع بعلم النفس وذلك لأن دراسة العلاقات الإجتماعية لا تسمح بالفصل بين الجانب الإجتماعي والجانب النفسي إذا لا يمكن أن نفهم العلاقات بين الأفراد كحقيقة منفصلة عن الأفراد أنفسهم ويرى ضرورة قيام علماء النفس بدراسة علم الإجتماع للترابط بين الجانب الإجتماعي والجانب النفسي . هنا نلاحظ أن اتجاهه علماء الإجتماع فى أمريكا هو التقارب بين علم الإجتماع وعلم النفس وذلك يخالف أتجاه علم الإجتماع فى فرنسا حيث نجد التأكيد المستمر لضرورة الفصل بين العلمين .

وفيما يتعلق بمنهج علم الإجتماع نلاحظ أن العلامة ماكيفر يعطى أهمية كبيرة لمنهج المقارنة ويشك فى قيمة الاتجاه الاحصائى الكمى الذى يسيطر على الابحاث الإجتماعية فى أمريكا وذلك لأن – وفق رأيه– الأرقام والمتوسطات والنسب ليست حقائق اجتماعية فى ذاتها وإنما هى تعبر عن بعض جوانب الحقائق الإجتماعية ولذلك يجب على عالم الإجتماع أن يتعمق إلى ما هو أبعد من مجرد التحديد الكمى للعلاقات الإجتماعية ويتأتى ذلك عن طريق المقارنة . حدد ماكيفر غرض علم الإجتماع فى أنه اكتشاف القوانين الإجتماعية التى تخضع لها الحقائق الإجتماعية فى تطورها ونشأتها وترابطها .

[٣] درس ماكيفر بعمق علاقة الإنسان بالبيئة وهو موضوع حظى باهتمام الكثيرين من علماء الإجتماع وعلماء الجغرافيا وعلماء الانثرويولجيا ولا يمكن أنكار وجود تلك العلامة ولكن اختلف العلماء فى تحديد خصائص تلك العلاقات وكذلك فى مدى التأثير المتبادل بين البيئة والإنسان يرى ماكيفر أن العلاقات الإجتماعية تتأثر بثلاثة مجموعات كبيرة من العوامل الطبيعية ويقصد بذلك البيئة الجغرافية من مناخ وموقع وطبيعة السطح وما تحويه

الأرض من موارد اقتصادية وما إلى ذلك أما المجموعة الثانية فهى العوامل البيولوجية ويقصد بذلك خصائص الإنسانى فى عامة وخصائص العروق الإنسانية المختلفة وتتمثل المجموعة الثالثة الأخيرة فى العوامل الثقافية والإجتماعية وهى العوامل التى يخترعها الإنسان بصفته الكائن الوحيد فى العالم . فانتقل من ذلك التقسيم للعوامل المؤثرة فى السلوك الإنسانى إلى حقيقة هامة وهى أن الإنسان يؤثر كذلك فى تلك العوامل وأن كانت تختلف درجة ذلك التأثير وأوضح المجالات التى يؤثر فيها الإنسان هى العوامل الثقافية والإجتماعية لأنها من صنعه ويتلو ذلك تأثير الإنسان فى العوامل الطبيعية أى البيئة الجغرافية وأخيرا يؤثر الإنسان فى خصائصة البيولوجية الجسمية فقد تغلب على كثير من الأمراض وعالج الكثير من العاهات .

ويلخص ماكيفر علاقة الإنسان بالبيئة فى أن الإنسان لديه القدرة على التكيف مع المجموعات الثلاثة السابقة من العوامل أى أنه يوجد تكيف طبيعى وتكيف بيولوجى وأخيرا تكيف ثقافى واجتماعى .

وينتج عن ذلك التكيف المتعدد الجوانب أن يصنع الإنسان البيئة الإجتماعية الخاصة به ويمثل المظهر الخارجى لتلك البيئة الاشياء المادية التى يصنعها الإنسان على مر العصور وهى القرى والمدن والمساكن والملابس والاختراعات ووسائل المواصلات والكتب وما إلى ذلك والبيئة الإجتماعية مظهر داخلى كذلك هو البناء الاجتماعى والتراث الاجتماعى ويتمثل فى النظم الإجتماعية والقيم ويولد الإنسان فيجد نفسه محاطاً بتلك البيئة الإجتماعية وعليه أن يتقبلها وخاصة فى مراحل حياته الأولى ويعمل على تطويرها بعد أن يتكيف معها الإنسان من تطوير بيئته الإجتماعية تحقيق القيم الإجتماعية التى يؤمن بها المجتمع من تقدم ونجاح وسعادة وقوة . وهكذا التكيف عند ماكيفر لا يعنى التقبل أو التأثير من جانب واحد وإنما يعنى التفاعل والتطور والتغير .

[٤] ذكرنا سابقا أن للعلامة "ماكيفر" كتابا هاما وهو "العلية الإجتماعية" وفيه درس موضوعا رئيسيا فى علم الإجتماع شغل علماء الإجتماع كثيرا وكان هناك اتجاهان رئيسيان الأول هو الاتجاه الوضعى الذى يطابق بين العلية الإجتماعية والعلية الطبيعية بمعنى أن الحياة الإجتماعية هى جزء من العالم الطبيعى الذى يخضع لقوانين ثابته وبالتالى يطابق

هذا الاتجاه بين القوانين الإجتماعية والقوانين الطبيعية وكذلك يؤكد ضرورة تطبيق المنهج العلمى القائم على أساس الملاحظة والتجربة فى علم الإجتماع ، أنه فى ذلك شأن علم الطبيعة أو علم الفلك أو علم الكيمياء . أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الإنسانى أو الارادى الذى يفرق تماما بيين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ويدخل علم الإجتماع فى نطاق العلوم الإنسانية ويتضح فى تلك العلوم الارادة الإنسانية وبالتالى لا يمكن تطبيق مفهوم العلية الطبيعية على الظواهر الإجتماعية وكذلك لا يمكن تطبيق منهج العلوم الطبيعية على الظواهر الطبيعية وبالتالى تكون العلية الإجتماعية معقدة جداً لتدخل عامل الارادة - الإنسانية التى تختلف من حالة الأخرى . وقف "ماكيفر" موقفاً وسطا بين الاتجاهين السابقين . فهو يعترف بتعقد الحياة الإجتماعية وخضوع الفعل الإجتماعى للعديد من العوامل بحيث لا يمكن معرفة كل الأسباب التى تكمن وراءه ولكنه يرى أنه فى الامكان التوصل إلى فكرة عامة عن العلاقات العلية بين الظواهر الإجتماعية والظواهر النفسية والظواهر الاخرى من طبيعية وبيولوجية وهو يعترف بأن العلية الإجتماعية تختلف عن العلية الطبيعية ولكن لا يرفض امكانية التوصل إلى تحديد أسباب السلوك الإجتماعى ولكن بصورة عامة ولا تتوفر فيها الدقة الكمية والتنبؤ الواضح المعالم وغيرها من الخصائص المتوفرة . فى العلية الطبيعية .

يعترف ماكيفر بتعقد الظواهر الإجتماعية وذلك لوجود العامل النفسى الارادى الذى لا يوجد فى الظواهر الطبيعية وتتلخص نظرية ماكيفر فى أن علم الإجتماع يهتم بالنطاقين الإجتماعى والنفسى وهما متأثران بالنطاق الطبيعى والنطاق البيولوجى . وهكذا فإن السلوك الإجتماعى يتأثر بعقد كبير من العوامل وهى العوامل الإجتماعية والعوامل الطبيعية والعوامل البيولوجية وهكذا يجب عند بحث أسباب السلوك الإجتماعى - الاهتمام بالجانب الغائى فى السلوك الإجتماعى ويشير كذلك إلى الاختلاف بين منهج العلوم الطبيعية ومنهم علم الإجتماع والذى يدور حول حقيقة هامة وهى استحالة تطبيق التجربة إلا فى الحدود الضيقة جدا فى علم الإجتماع ولكنه يرى أن المقارنة بين الحالات المتعددة للسلوك الإجتماعى تعطينا نتائج شبيهة بالنتائج التى يمكن التوصل اليها عن طريق التجربة وعن طريق عقد الكثير من المقارنات نستطيع التوصل إلى نتائج عامة وقد نحتاج إلى بعض

التصور والخيال وهنا يجب ملاحظة أن العلوم الطبيعية ترفض مثل ذلك التصور اللهم إلا فى حالة الفروض العلمية وليس فى حالة التعميم هذه هى الفروق التى حددها ماكيفر بين العلية الإجتماعية والعلية الطبيعية وهى فروق تؤدى إلى انكار امكانية الوصول إلى الكشف عن القوانين الإجتماعية .

[٥] درس العلامة "ماكيفر" كذلك ظاهرة الضبط الإجتماعى ويقصد بها الاساليب التى يحافظ بها المجتمع على مقوماته ونظمه أى الاساليب التى تنظم العلاقات بين الأفراد من ناحية وبين النظم الإجتماعية من ناحية أخرى . ويرى أن دراسة ظاهرة الضبط الإجتماعى فى مجتمع ما يتطلب تحديد الوسائل التى يستخدمها المجتمع فى مراقبة سلوك أعضائه وكذلك تحديد المعايير التى عن طريقها يحكم على السلوك بالانحراف عن النظام الإجتماعى أو الامتثال له ، ولا يمكن أغفال دراسة المؤسسات التى تقوم بعملية المراقبة الإجتماعية وتطبيق الجزاء على المخالفين . ويحدد أهم تلك المعايير فيما يأتى :

(أ) قواعد السلوك فى المؤسسات والمنظمات الإجتماعية وتختلف هذه القواعد من مؤسسة لأخرى ومن حالة انحرافية لأخرى ، وتوجد فى كل مؤسسة لائحة تنظيمية من شأنها تراقب سير العمل وتنزل العقوبات المختلفة مع المخالف ، ومنها الفصل أو النقل أو الغرامة أو لفت النظر أو مجرد التأديب .

(ب) قواعد السلوك من عادات وتقاليد وأعراف فى المجتمعات المحلية وخاصة فى القرى والقبائل البدائية .

(جـ) القواعد الاخلاقية العامة والخاصة ، وتلك تعتمد على الضمير الجماعى والضمير الفردى بشأن التمييز بين الخير والشر ، وأحيانا يقتنع الضمير الجمعى ، ويتضح ذلك فى المجتمعات المتقدمة حيث تقوى الاتجاهات الفردية ومبادئ الحرية فمثلاً قد يعتقد البعض أن قتل المريض الذى لا أمل فى شفائه أمر يتفق مع الخير ولا بعد شرا ، وقد يقوم طبيب بانهاء طفل مشوه لا يمكن له أن يعيش أكثر من اشهر أو سنوات فى حالة يرثى لها ، هذا بينما تخالف قيم المجتمع الاخلاقية مثل تلك الأعمال .

(د) القوانين ، وهى الجانب الرسمى المقنن من الضبط الإجتماعى حيث يتخصص فيه

جماعات من افراد المجتمع مثل رجال البوليس والقانون والمحامين والقضاة ويتكون فى كل مجتمع جهاز قانونى ضخم لوضع القوانين وتنفيذها .

٥- العلامة سوروكن Sorokin

يعد العلامة بيتريم سوروكن من أكبر علماء الإجتماع الامريكيين الاحياء وصل إلى أعلى المراكز العلمية فى عدة جامعات امريكية . وهو روسى الاصل والتعليم ثم هاجر إلى امريكا .

ومن أهم مؤلفاته :

Social and Cuitural Dynamics الديناميات الإجتماعية والثقافية .

Society Cutture and Personality والمجتمع والثقافة والشخصية .

Contemporary Sociological theories ونظريات علم الإجتماع المعاصرة .

Social and Cultural Mobility والحراك الإجتماعى والثقافى .

Sociocultural Cousailty والعلية الإجتماعية الثقافية .

أهم نظرياته :

١- يعرف سوروكن علم الإجتماع العام بأنه العلم الذى يدرس العالم الإجتماعى والثقافى ككل ، ولا يفهم من ذلك أنه علم تركيبى يجمع كل العلوم الإجتماعية وإنما هو علم خاص أى له موضوع خاص وهو دراسة الارتباطات بين الظواهر الإجتماعية المختلفة أى العلاقات بين الظاهرة الدينية وظاهرة الاسرة والنظام الاقتصادى والنظام السياسى وما إلى ذلك ، وكذلك يختص علم الإجتماع بدراسة الارتباطات بين الظواهر الإجتماعية والظواهر غير الإجتماعية واخيرا يتخصص فى دراسة الصفات العامة المشتركة بين الظواهر الإجتماعية المختلفة .

٢- يقسم سوروكن علم الإجتماع العام إلى قسمين :

(أ) علم الإجتماع البنائى ، وهو يشبة المورفولوجيا الإجتماعية ويدرس بناء المجتمع وتركيبة واشكال التكتل الإجتماعى والانماط البنائية للنظم الإجتماعية والثقافية .

(ب) علم الإجتماع الدينامى يدرس التغير الإجتماعى والثقافى والعلميات الإجتماعية مثل التفاعل والتنشئة الإجتماعية والصراع والتوافق والاندماج والحراك الإجتماعى وكذلك يتخصص هذا الفراع فى دراسة العمليات الثقافية مثل الانتشار الثقافى والاستعارة الثقافية والتراكم الثقافى والاختراع والتكامل ، ويحلل هذا الفرع تأثير العمليات الإجتماعية والثقافية فى الشخصية .

وإلى جانب علم الإجتماع العام يوجد علوم الإجتماع الخاصة ويتخصص كل فرع فى ظاهرة اجتماعية معينة مثل الإجتماع العائلى وعلم الإجتماع الاقتصادى وعلم الإجتماع السياسى وما إلى ذلك .

(جـ) يرى سوروكن أن دور علم الإجتماع هو تحليل الظواهر الإجتماعية والثقافية إلى عناصره الاولية ويحدد تلك الوحدات الاساسية بحالات التفاعل الإجتماعى والثقافى ، ويقصد بالتفعال الفعل الذى يقوم به وفرد أو جماعة ويؤدى إلى التأثير فى الأفعال الظاهرة لفرد أو جماعة أخرى .

وتتكون كل حالة من حالات التفاعل الإجتماعى والثقافى من الترابط بين ثلاث عناصر، هى الشخصية والمجتمع والثقافة ، ويقصد بالشخصية مجموع للسمات الفطرية والمكتسبة لفرد ما ، أما المجتمع فهو مجموعة من الأفراد الذين يعيشون معاً ويخضعون لنظم إجتماعية معينة ويقصد بالثقافة القيم والمعايير التى تحكم السلوك فى المجتمع . وهكذا فإن الحياة الإجتماعية التى يدرسها عالم الإجتماع تتمثل فى التفاعل بين الشخصية والمجتمع والثقافة.

وهكذا يؤمن سوروكن بالأتجاه التكاملى أو المدرسة التكاملية التى تنادى بالتعاون الوثيق بين علم الإجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس وهو اتجاه قوى فى علم الإجتماع الأمريكى ولكنه يختفى تقريباً فى علم الإجتماع الفرنسى ويظهر بضعف فى إنجلترا وألمانيا.

٣ - درس العلامة سوروكن الشروط الأساسية التى يجب توافرها فى المؤسسات والجماعات المنظمة ، وأهم هذه الشروط ضرورة توافر مجموعة من القيم والمعانى يؤمن بها أعضاء الجماعة المنظمة ، ويجب أن يكون هناك غاية تحاول - الجماعة تحقيقها ، ولما يساعد على قوة الجماعة المنظمة ونجاحها فى تحقيق أهدافها عدم تناقض القيم التى يؤمن بها

أعضاؤها ، ويجب أن تأخذ تلك القيم والمفاهيم صورة المعايير ذات الفاعلية وبالتالى يستطيعون مراقبة سلوك أفراد الجماعة وعلاج حالات الأنحراف وبالتالى تقوى الجماعة وتسطيع تحقق أهدافها .

٤ - أهتم سوروكن بتحليل الطبقة الإجتماعية المفتوحة ويراها جماعة منظمة نسبياً ، ولكنها جماعة ضعيفة التنظيم إذا قورنت بالمؤسسات الإجتماعية ذات التنظيم القوى . ويرى أن الشعور بالأنتماء إلى طبقة معينة ينشأ تلقائياً عند مجموعة من البشر تجمعهم خصائص معينة ، أهمها التشابه المهنى والتشابه الأقتصادى ووجود حقوق وواجبات تختلف عن الحقوق والواجبات الخاصة بالجماعات الأخرى ، وتتميز الطبقة الإجتماعية بأنها مفتوحة وبالتالى تختلف عن الجماعة المغلقة وهى التى تمنع الحراك الإجتماعى منها أو إليها فمثلاً كان المنبوذ فى الهند يظل كذلك طوال عمره ولا يمكن أن يخرج من تلك الجماعة المغلقة . يعارض "سوروكن" النظرية الماركسية التىتحتم قيام الطبقة على أساس العامل الأقتصادى فقط وترفض العوامل الأخرى "يرى سوروكن" أن الطبقات تقوم على أساس عدة عوامل يكون العامل الأقتصادى واحداً منها ، فهناك عوامل دينية وسياسية وأخلاقية وأسرية تلعب دورها فى تكوين الطبقية فى المجتمع . وتتماسك الطبقة عن طريق مجموعة من القيم والمعانى فالشعور الطبقى لا ينمو من مجرد التشابه فى المستوى الأقتصادى وإنما عن طريق التفاعل والتنظيم والتفاف الأفراد حول مجموعة من القيم والمفاهيم . ويعطى سوروكن أهمية نمو الشعور الطبقى لأن وجود ذلك الشعور يدل على وجود الطبقة .

٥ - وضع سوروكن نظرية فى التغير الإجتماعى والثقافى وتوصل إلى قانون عام يفسر التغير الإجتماعى كحالة من الأنتقال من الثقافة الفكرية إلى الثقافة الحسبية مع إمكانية المرور بالثقافة المثالية وقد جمع الكثير من المعلومات التاريخية لأثبات صحة القانون السابق .

٦ - تطرق سوروكن لموضوع العلية الإجتماعية الثقافية ، ويرى أن السلوك الإجتماعى لا يمكن تفسيره عن طريق علية واحدة أو سبب واحد وإنما الحقيقة أن هناك عدة أسباب وراء التفاعل الإجتماعى . وقد لاحظ أن العلية الإجتماعية تختلف عن العلية الطبيعية من ناحية تواجد عامل القيم والمعانى فى الظواهر الجتماعية وعدم وجوده فى الظواهر الطبيعية وهو هنا يتفق مع العلامة ماكيفر ، ولذلك وضع العلامة سوروكن .

"المنهج المنطقى الدال" :

ويتمثل ذلك المنهج فى إستخدام المنهج العلمى فى دراسة الخصائص المحسوسة للظواهر الإجتماعية ، ويتمثل ذلك المنهج فى الملاحظة والتجربة والمقارنة ، ولكن يوجد منطقى غير محسوس للظواهر الإجتماعية ويتمثل ذلك الجانب فى القيم والمفاهيم والذوق، ولا يمكن التوصل إلى ذلك الجانب غير المحسوس عن طريق الملاحظة الحسية وإنما عن طريق العقيدة والتحليل المنطقى .

٦ – العلامة بارسونز *Parsons* :

يعد العلامة تالكوت بارسونز – رئيس قيم العلوم الإنسانية بجامعة هارفارد سابقاً من كبار علماء الإجتماع الأمريكيين ، ويمكن إدراجه فى المدرسة الوظيفية البنائية التى تهتم بتحليل وظائف النظم الإجتماعية وبنية الجماعات والمجتمعات . تتميز مؤلفاته بالعمق والتعقيد وتدور حول نظريته فى الفعل الإجتماعى .

أهم مؤلفاته :

Social Action (الفعل الإجتماعى) .

The social sysem و (النسق الإجتماعى) .

The structures of social Action وبنية الفعل الإجتماعى .

أهم نظرياته :

١ – تخصص بارسونز فى تحليل بنية أو بناء الفعل الإجتماعى يرى أن الوحدة الأساسية للحياة الإجتماعية هى الفعل الإجتماعى ويقوم الفعل الإجتماعى على أساس ثلاثة أنساق وهى النسق الإجتماعى أى المجتمع والنسق الثقافى أى الثقافى أى الثقافة ونسق الشخصية . هنا نجد تشابهاً واضحاً بين هذه النظرية ونظرية سوروكن فى التفاعل الإجتماعى ، أن الأختلاف بينهما هو إختلاف فى الألفاظ فقط ، فبينما يستخدم بارسونز إصطلاح الفعل الإجتماعى يستخدم سوروكن إصطلاح التفاعل الإجتماعى ، ونلاحظ أن برسونز يستخدم

إصطلاحات نسق إجتماعى ونسق ثقافى ونسق الشخصية أما سوروكن فإنه يستخدم إصطلاحات مجتمع وثقافة وشخصية وقد اتهم العلامة سوروكن العلامة بارسونز بأنه اقتبس نظريته ووضعها فى ثوب جديد .

٢ – حلل بارسونز بناء الفعل الإجتماعى فى أنه أى سلوك إجتماعى يقوم به فرد مثل البيع والشراء أو التحية أو الصداقة أو الزواج أو التعلم أو المنافسة وما إلى ذلك . يرى بارسونز أن الفعل الإجتماعى يتم فى إطار يجمع ثلاثة أمور : فاعل وموقف وتوجيه الفاعل نحو المؤقف . فمثلاً إذا حللنا الفعل الإجتماعى المتمثل :

اشترى إبراهيم سيارة فيات – نجد أنه بناء يتكون من ثلاثة عناصر : فاعل وهو هنا إبراهيم .
موقف إجتماعى شراء سيارة فيات .
عوامل توجيهية وهى عوامل وجهت إبراهيم لشراء هذه السيارة بالذات .

يرى بارسونز أن أهم هذه العناصر فى تحقيق هذا الفعل الإجتماعى هو عنصر العوامل التوجيهية ، ويقسم هذه العوامل إلى مجموعتين من العوامل ، وهى أولاً مجموعة التوجيهات الدافعة وهى العوامل النابعة من داخل الفاعل ، وثانياً مجموعة التوجيهات القيمية وهى التوجيهات الصادرة من عوامل خارجية . ويحلل التوجيهات الدافعة إلى ثلاثة أقسام فرعية هى :

(أ) توجيهات دافعة إدراكية وتتمثل فى إدراك الشخص للموقف وإدراكه لحاجاته وإمكانياته ، وفى المثال السابق نجد أنها إدراك الشخص لحاجته للسيارة وإدراكه لكمية الأموال التى يدخرها .

(ب) توجيهات دافعة عاطفية ، وهى تتمثل فى رغبة الشخص وتعلقه العاطفى بأمر ما بالذات ، وهنا نجد أن إبراهيم لديه رغبة فى شراء السيارة الفيات بالذات لأنه يحبها لسبب ما مثل الشكل أو اللون أو القوة وما إلى ذلك .

(جـ) التوجيهات الدافعة التقيمية ، وهى الدوافع التى تجعل الفاعل ليختار بين رغبات أو أفكار مختلفة ، وبالنسبة للمثل السابق فإن إبراهيم أختار السيارة الفيات بالذات لأنها ذات قيمة له شخصياً .

ويسير بارسونز على هذا المنزال فى تعليله لبناء التوجيهات القيمية التى يضعها المجتمع للأشياء والمواقف ، والتوجيهات القيمة تنقسم أيضاً إلى ثلاث جوانب ، جانب إدراكى ، وتتمثل فى إدراك إبراهيم للأعلانات والمعلومات والصور الخاصة بالسيارات المختلفة ومن بينها السيارة فيات . ويوجد جانب عاطفى ويتمثل فى تعلق إبراهيم بعدة سيارات ، ويوجد كذلك الجانب التقييمى وهو أن يختار سيارة معينة من تلك السيارات لأسباب متعلقة بالسيارة فى ذاتها .

وعن طريق الموازنة بين التوجيهات الدافعة المتعلقة بالشخص وظروفه والتوجيهات القيمية المتعلقة بالمجتمع ونظمه يتم الفعل الإجتماعى ، فإذا علمنا أن الدوافع والرغبات تتعلق بشخصية الفرد ، وأن الفعل الإجتماعى لا يمكن أن يتم إلا فى مجتمع ، وأن القيم التى تطفى على الأشياء وترجع إلى ثقافة المجتمع ، يتضح لنا كيف أن الفعل الإجتماعى يقوم أساساً على ثلاثة مقومات هى الشخصية والمجتمع والثقافة . شرح بارسونز هذه النظرية بلا تفصيل مع توضيحها بجداول عدة فى كتابه الشهير بناء الفعل الإجتماعى . وتعرضت نظريته للنمقد من ناحية أنها محاولة لتعقيد النظرية الإجتماعية الشائعة والتى ترجع التفاعل الإجتماعى إلى الترابط بين الشخصية والمجتمع والثقافة .

٣ - يرى بارسونز إمكانية إستخدام أسلوبه التحليلى السابق - وهو القائم على أساس التمييز بين الأفكار والرغبات والقيم - فى دراسة المجتمع والشخصية والثقافة وليس فقط الفعل الإجتماعى . ويجب ملاحظة أن هذا الأسلوب التحليلى لا يعنى أستقلال الأفكار عن الرغبات أو أستقلال الرغبات عن القيم ، وإنما يوجد تداخل بين هذه الأمور ، وقد يحدث أن يسيطر أحد هذه الأمور على القطاعين الآخرين ، فمثلاً فى الثقافة نجد أن الأفكار والمعتقدات والأساطير يتضح فيها جانب الأفكار أو الجانب الأدراكى . بينما نجد أن الفن يتميز بسيطرة الجانب الأنفعالى والعاطفى أى الرغبات ، هذا بالأضافة إلى أن القيم تمثل جانب القيمة فى الثقافة .

٤ - لاحظ بارسونز أن الفرد فى تفاعله الإجتماعى يهدف إلى تحقيق أكبر للرضاء لرغباته ، ولاشك أن المجتمع لا يسمح له بتحقيق كل رغباته ، ومن هنا كان التعارض الذى يدفع الفرد إلى الأستمرار فى محاولة تحقيق رغباته فى أفضل صورة ويقدم المجتمع

عدداً كبيراً من الأمكانيات والبدائل التى يختار الفرد منها ما يتفق مع رغباته وإمكانياته ولاشك أن الفرد لا يستطيع تحقيق كل رغباته والحصول على كل شئ وإنما هو يختار الأفضل بالنسبة له .

٥ - أهتم بارسونز بتحليل المؤسسات الإجتماعية والجماعات إلى عناصرها البنائية ، وأبرز أهمية المركز والدور فى حياتنا الإجتماعية ، فالفرد يشغل عدة مراكز عن طريق التنشئة الإجتماعية والتعليم والتخصص ، ويتمركز حول كل مركز عدة أدوار وعلى الفرد الذى يشغل المركز أن يؤدى الأدوار وإلا عزله المجتمع من ذلك المركز فمثلاً عندما يتزوج الشاب وينجب يشغل مركز الأب ، يتطلب هذا المركز أن يقوم الفرد بأدوار محددة منها أعالة الأسرة ورعاية الأطفال وحمايتهم . فإذا تصورنا أن هذا الفرد لسبب ما - مثل البطالة أو المرض أو إدمان المخدارت - لم يعد قادراً على إعالة أسرته ، فإن المجتمع فى هذه الحالة يحرمه من ذلك المركز وغالباً يبيح الطلاق وينظم طريقة أخرى لأعالة الأطفال وهكذا فأن الفرد فى أفعاله الإجتماعية يصبح يقوم بأدواره المتعلقة بالمراكز التى يشغلها ، ويتم التفاعل الإجتماعى عن طريق توقع الأفراد أن يقوم كل منهم بالأدوار الخاصة بالمراكز وذلك فى المواقف الإجتماعية المختلفة . ويعرف المركز بأنه مكان الفاعل فى نسق العلاقات الإجتماعية ولا يمكن فصل الأدوار عن المركز وذلك لأن كل مركز ترتبط به عدة أدوار والدور هو سلوك الفاعل فى علاقته مع الآخرين . والنظام الإجتماعى هو مجموعة أنماط الأدوار امتعلقة بأداء وظيفة إجتماعية معينة . فمثلاً نظام الزراعة هو فى الحقيقة مجموعة من أنماط السلوك المتعلقة بفلاحة الأرض وحرثها وبذر البذور ورعاية الرزع ثم الحصار ، مهذه فى مجموعها أدوار يقوم بها المزارع أو الفلاح ، والفلاح هو فاعل يقوم بمركز محدد يعرف ، بالفلاح ، وذلك يختلف من مركز مدير المصنع أو العامل الفنى أو العامل نصف الفنى وهكذا .

الفصل الثانى عشر

علم الإجتماع فى روسيا

بدأ علم الإجتماع فى روسيا فى الصنف الثانى من القرن التاسع عشر وكان متأثراً بكل من دارون وهربرت سبنسر وأوجس كونت وماركس ، وقوى تأثير ماركس بعد الثور البلشفية فى عام ١٩١٧ ، وخضع هذا العلم للخطوط العامة للنظرية الماركسية ، واليوم ينظر البعض إلى علم الإجتماع فى روسيا على أنه فرع للأقتصاد يختص بدراسة الآثار الإجتماعية للنظام الأقتصادى . وفيما يلى عرض موجزاً لأهم علماء الإجتماع فى روسيا ونظرياتهم .

١ - العلامة نوفيكوف (١٨٤٩ - ١٩١٢) :

هاجر منذ الصغر إلى فرنسا وأكمل تعليمه بها ولذلك كتب مؤلفاته باللغة الفرنسية . آمن بالحرية والديمقراطية ولذلك حارب الدكتاتورية والطغيان ، له نظريات قيمة فى علم الإجتماع .

أهم مؤلفاته الإجتماعية :

١ - الصراعات بين المجتمعات الإنسانية وأشكالها المتتابعة .

٢ - معالم الفوضى فى المجتمعات الحديثة .

٣ - الحرب وممزياتها المزيفة .

٤ - نقد الداروينة الإجتماعية .

٥ - ميكانيزم وحدود التجمع الإنسانى .

أهم نظرياته :

١ – يعرف علم الإجتماع بأنه العلم الذى يدرس المجتمع ، والعلوم الإجتماعية الخاصة هى فروع له . يقوم هذا العلم على أساس قوانين علم الحياة وعلم النفس وبمعنى أن القوانين الإجتماعية هى إمتداد لقوانين علم النفس وتلك بدورها إمتداد لقوانين علم الحياة.

حدد أهم العلوم الإنسانية التى تغذى علم الإجتماع بالمادة الأولية والحقائق الإجتماعية على أنها علم الأقتصاد وعلم السياسة وعلم القانون .

يرى "نوفيكوف" أن علم الإجتماع فى عصره – نهاية القرن ١٩ والعقد الأول من القرن العشرين – لا يزال فى نطاق الدراسات الفلسفية لأنه لم يكن قد أستطاع بعد أن يطبق المنهج العلمى . وهو ينادى بأهمية تطبيق المنهج العلمى القائم على أساس الملاحظة المحسوسة والتجربة ، ويرى أن إعتماد هذا العلم فى دراسته للمجتمع على التأملات والأستغراق فى التصور لن يسمح له بإكتشاف القوانين الإجتماعية . وعندما يستطيع تطبيق المنهج العلمى سيحتل علم الإجتماع مكاناً مرموقاً وسيصبح أقوى العلوم الإنسانية تأثيراً فى توجيه النشاط الإنسانى الإجتماعى والسياسى .

٢ – موضوع علم الإجتماع هو المجتمع ، يرى نوفيكوف أن العنصر الأساسى فى تكوين المجتمع هو قيام التضامن بين أفراده ويترتب على ذلك التضامن شعور الأفراد بإنتمائهم لجماعة واحدة فالمجتمع ليس مجرد جماعة من الأفراد وإنما لابد من توفر العلاقات المتبادلة بين أفراده ، والتفاعل الإجتماعى هو إمتداد للفتاعل الغريزى الموجود عند الحيوانات غير الإنسانية ، وذلك إمتداد للتفاعل بين الخلايا الحية فى جسم الكائن الحى ، ويشبه ذلك التفاعل ما يحدث بين العناصر الكيمائية من تفاعل أى فى الأجسام غير العضوية . مما يتضح تأثير العلامة "نوفيكوف" بالنظرية الدارونية التى ترى أن الأختلاف بين الظواهر الإنسانية والظواهر الحيوانية غير الإنسانية وكذلك الظواهر الحيوية هو إختلاف فى الدرجة وليس إختلاف فى النوع أو الكيف .

٣ – حدد "نوفيكوف" الفروق الأساسية بين المجتمع والدولة والأمة ، فهى مجرد مظهر خارجى للمجتمع يقوم بوظيفة حماية الأفراد وحقوقهم فالمجتمع جماعة من أفراد يعيشون معاً

ويتفاعلون إجتماعياً وفق قواعد معينة وينشأ بينهم شعور جماعى بإنتمائهم إلى مجتمع معين ، أما الدولة فهى مجرد مظهر لا خارجى للمجتمع يقوم بوظيفة حماية الأفراد وحقوقهم أما الأمة فهى أكثر تطوراً من المجتمع والدولة ، وذلك لأنها تقوم على أسس نفسية وعوامل تاريخية وأهداف مشتركة ، وليس فقط على مصالح مادية مشتركة كما هو الحال فى المجتمع . ويعارض اتجاه التطابق بين الدولة والأمة ، وذلك لأن الواقع يفرض مثل ذلك التطابق ، فقد يوجد جولة واحدة تتكون من عدة أمم ، وكذلك قد تتوزع الأمة الواحدة فى عدة دول . وقد حلل مقومات القومية بصورة لا تجد مثلها عند كبار علماء السياسة . وحلل عناصر الدولة وهى الأقليم والسكان والسيادة والحكومة .

٤ - يخضع تطور المجتمعات البشرية لقانونى الصراع والوفاق ، بمعنى أن المجتمعات تتصارع ثم تتفق وهكذا ، وعن طريق هاتين العمليتين يحدث التطور والارتقاء ويرى أن تطور الإنسانية يسير وفق قانون عام يتكون من أربع مراحل

(أ) المرحلة الفزيولوجية وفيها يهتم الإنسان بإشباع حاجاته الجسمية وغرائزه ، تعد هذه المرحلة هى مرحلة إستكمال نضج التطور العضوى ومرحلة الأهتمام بالمحافظة على الجسم وإستمرار النوع البشرى .

(ب) المرحلة الأقتصادية وتسود هذه المرحلة المصالح الاقتصادية وينقسم المجتمع إلى طبقات تستغل بعضها البعض الآخر ، وتكثر الحروب والصراع حول الثروات .

(جـ) المرحلة السياسية ، وهنا يزداد الأهتمام بالتنظيمات السياسية وأهمها الدولة والأمة ، والأمة أرقى من الدولة وهى أسمى شأناً فى تاريخ تطور الحضارة الإنسانية وهى أهم عوامل التقدم الإجتماعى والإنسانى ، ويهتم الإنسان فى تلك المرحلة بالحوق والواجبات وبتحقيق المساواة والعدالة .

(د) المرحلة العقلية ، وهى أرقى مراحل التطور الإنسانى ، وفيها يستخدم العقل فى حل جميع المشاكل ولا يحتاج الإنسان إلى الحروب وإلى الاستبداد وتعذيب الجسم ، وإنما يستخدم العقل ويستفيد من إمكاناته المبدعة إلى اقصى درجة . وفى هذه المرحلة ستتحقق العالمية أى خضوع العالم لحكومة عالمية ويصل الإنسان إلى أعلى مراحل التقدم . وكان

ينادى دائماً بتحقيق اتحاد يجمع دول أوربا .

نلاحظ مبلغ تأثره بالعلامة داروِن ، فإن الصراع والتوافق هما قانون الصراع للبقاء وقانون التكيف عند داروِن . ويؤكد "نوفيكوف" أن التنازع على البقاء هو ظاهرة كلية توجد في جميع أجزاء الكون وهي أساس التكيف والتطور والتقدم ، ويوجد الصراع على البقاء في جميع المراحل السابقة الذكر ولكن تختلف حدة ذلك الصراع ومظاهرة في كل مرحلة ، وتتمثل المظاهر السوية للصارع على البقاء في المرحلة العقلية في العلم وتعمل به حرية الفكر وحرية الدين وحرية النشر والإجتماع والعمل على التقارب الفكرى بين المذاهب العقلية المتعارضة أو بين اللغات والأديان والمذاهب السياسية المختلفة .

٥ - درس المجتمعات الحديثة في عصره وعرض لمظاهر الفوضى والتفكك الإجتماعى في تلك الدول وأرجع هذه الفوضى - التى من أهم مظاهرها البطالة والفقر والدعارة والطلاق وإنحراف الأحداث وإرتفاع معدل الجرائم - إلى الأموال الضخمة التى تنفقها الدول الحديثة في التسليح والحروب والمشروعات الأرتجالية الفاشلة ، يتمثل علاج هذه الفوضى في إهتمام الحكومات بالأصلاح الإجتماعى وتوفير الأموال اللازمة لذلك والأنفاق على مشروعات التنمية الأقتصادية والإجتماعية بسخاء .

٦ - يعد العلامة "نوفيكوف" مؤسس علم الإجتماع الحربى ، وهو أحد علوم الإجتماع التخصصية التى بدأ يهتم بها علماء الإجتماع بعد الحرب العالمية الثانية . اهتم "نوفيكوف" بدراسة الحرب كظاهرة إجتماعية وبين الآثار الفزيولوجية والأقتصادية والأخلاقية المترتبة على الحروب ، أى أنه درسها دراسة موضوعية ، وعرض الآراء المؤيدين للحرب كظاهرة إجتماعية مفيدة ونقد تلك الآراء ، وكذلك عرض للآراء التى تندد بالحرب وتنادى بالغائها ونقد تلك الآراء كذلك . وهكذا فإن "نوفيكوف" كان موضوعياً في دراسته للحرب ، ولم يشأ أن يفرض رأيه الشخصى .

٧ - نشر نوفيكوف في أواخر أيامه (قبل مماته بعام واحد أى فى ١٩١٢) كتاباً ينقد فيه الداروِنية الإجتماعية ، وقد يعجب المرأ لنشر ذلك الكتاب ، وذلك لأن "نوفيكوف" من أكثر علماء الإجتماع تأثراً بداروِن ويتضح ذلك من إرجاعه التطور والتقدم

الإجتماعى إلى ظاهرتى الصراع والتكيف . لاشك أن "نوفيكوف" قد غير بعض أرائه فى نهاية أيامه ويتضح ذلك فى آخر كتاب له . عارض "نوفيكوف" علماء الإجتماع الذين يشبهون المجتمع الإنسانى بالكائن الحى ومن أمثلة ذلك العلامة هربرت سبنسر وغيرهم ، وكذلك يعارض هؤلاء الذين يطبقون القوانين والعمليات العضوية على المجتمعات والعمليات الإجتماعية . ولاشك أنه بذلك يعارض نظرياته السابقة . ويصل فى النهاية إلى تأكيد أن نظريات دارون خاصة بالكائنات الحية ، أما المجتمعات الإنسانية فهى ظواهر لها خصائص مختلفة وبالتالى تخضع لقوانين مختلفة .

٨ - ذكرنا سباقاً أن "نوفيكوف" غير بعض نظرياته فى آخر أيامه ويؤكد ذلك ما جاء به من أفكار فى آخر أيامه ، ويؤكد ذلك ما جاء به من أفكار فى آخر كتاب له ، وهو كتاب ميكانيزم وحدود التجمع الإنسانى ، ويؤكد فى هذا الكتاب أهمية اتحاد الدول وخاصة اتحاد دول أوروبا كخطوة تمهيدية لتحقيق الوحدة العالمية ، وفى هذا الكتاب توصل إلى مبدأ جديد يرجع إليه تقدم المجتمعات الإنسانية وهو مبدأ "التبادل" ، فعن طريق "التبادل" تتم المعاهدات الدولية والصداقات بين الدول والأتحادات ، وكذلك يتم التقدم فى داخل المجتمع الواحد ، فإن ظواهر تقسيم العمل والتجارة والتخصص الفنى تقوم أسساً على مبدأ التبادل . وهكذا فهو يرفض ما آمن فى أول حياته العلمية ، أى إرجاع التقدم الإنسانى للصراع والتكيف ، ولذلك فهو يؤكد أن السلم والحرب والصراع لا يمكن لها أن تؤدى إلى التقدم وإنما يؤدى كذلك لأتحاد الدول والتمهيد لتحقيق الأتحاد العالمى .

٢ - العلامة دى روبرتى De Roberty (١٨٤٣ - ١٩١٥) :

ولد فى روسيا وتلقى علومه بها وألف الكثير من مؤلفاته باللغة الروسية ثم سافر إلى أوروبا وعمل بجامعاتها وخاصة الجامعات الفرنسية ثم عاد إلى وطنه حيث عمل كأستاذ فى معهد الأمراض العصبية والنفسية بمدينة بطر سبرج ، وقد قتل فى عام ١٩١٥ م . جمع فى دراسته بين الفلسفة وعلم الإجتماع ، وله نظريات ومؤلفات قيمة فى الميدانين .

أهم مؤلفاته الإجتماعية :

١ – علم الإجتماع .

٢ – الروح الإجتماعية .

٣ – برنامج جديد فى علم الإجتماع .

٤ – علم إجتماع الفعل .

٥ – كونت وسبنسر .

أهم نظرياته الإجتماعية :

١ – تأثر بالعلامة أوجست كونت ولكنه أضاف أفكاراً جديدة ولذلك يعرف اتجاهه بالوضعية الجديدة ، وتأثر كذلك بداروين وهربرت سبنسر .

٢ – يقسم ظواهر الكون إلى ثلاث مجموعات :

(أ) الظواهر الطبيعية الكيمائية .

(ب) الظواهر العضوية أو البيولوجية .

(جـ) الظواهر الإجتماعية أو ما فوق العضوية .

يرى أن جميع هذه الظواهر تخضع لمبدأ واحد وهو التفاعل والتداخل ، ولكن يتم التفاعل فى الظواهر الطبيعية بين عناصر كيمائية لا عنصرية ، بينما تتفاعل الخلايا الحية فى الظواهر العضوية ويحدث التفاعل بين الخلايا العصبية المعقدة والمؤثرات الخارجية فى الظواهر الإجتماعية ، وهو يلمح بتطور كل مجموعة من الظواهر من المجموعة السابقة ، ولكن حدث هذا التطور بصورة تدريجية حتى وصل إلى أرقى وأسمى ظواهر العالم وهى ظاهرة التفكير . فالتفكير خاصة انسانية ولا توجد إلا عند الإنسان .

٣– أهتم بتحليل ظاهرة التفكير ، ويرى أن عملية التفكير ترجع إلى التفاعل بين مجموعتين من العوامل العضوية أو البيولوجية الممثلة فى الجهاز العصبى الإنسانى المعقد وخاصة خلايا المخ

البشرى ، والمجموعة الثانية هى العوامل الإجتماعية التى تتمثل فى المؤثرات الإجتماعية أى التفاعل بين البشر والاحتكاك بين العقول . فالتفكير عملية بيولوجية اجتماعية ، وعن طريق التفكير توصل الإنسان إلا بناء حضارة عظيمة تزخر بالتقدم العلمى والفنون والتنظيم الإجتماعى . أتى بأمثله كثيرة مثل اللغة والاختراع وما إلى ذلك .

٤- يتفق مع أوجست كونت فى معارضته لاستقلال علم النفس ، وينادى بضرورة الحاقة كفرع لعلم الإجتماع ، وذلك على أساس أن الظواهر النفسية ترجع إلى المؤثرات الإجتماعية . فمن طريق التفاعل الإجتماعى تظهر الانفعالات والدوافع والعواطف وبدون المؤثرات الإجتماعية لاتظهر العوامل النفسية . وشن حملة قوية على علم النفس وتجاهله عند تحديد العلوم التى تدرس الظواهر الإنسانية الإجتماعية فقد اجملها فى علمين أساسين : علم الحياة وعلم الإجتماع . ويعود فيقرر إننا نفسر الظواهر النفسية عن طريق الظواهر البيولوجية والظواهر الإجتماعية ، أما الظواهر الإجتماعية فإنها تفسر فقط عن طريق الظواهر الإجتماعية والظواهر البيولوجية ويستبعد الظواهر النفسية تماما .

٥- أنعكس اهتمام دى روبرتى بتحليل عملية التفكير فى تفسيره للتغير الإجتماعى ، فقد رأى أن التفكير وظهور افكار جديدة وعقائد جديدة هى الأساس فى احداث أى تغير اجتماعى ، ورفض التفسير الماركسى الذى يرى أن التغير الإجتماعى يبدأ بالتغير فى العوامل الاقتصادية المادية ثم يحدث التغير فى باقى الظواهر الإجتماعية وكذلك فى الافكار والمعتقدات .

٣- العلامة كوفالوفسكى : Kovalovesky (١٨٥١-١٩١٦) :

يعد من أكبر علماء الإجتماع فى روسيا ورغم أنه تلقى تعليمه بروسيا إلا أنه سافر إلى أوروبا واتصل بكبار علماء الإجتماع مثل هوبرت سبنسر وسيمل وكارل ماركس وغيرهم، وسافر وحصل على أعلى الدرجات العلمية وعمل استاذا لعلم الإجتماع بالجامعات الروسية وسافر إلى أوروبا وأمريكا كأستاذ زائر لجامعاتها ، وتولى منصب عميد المعهد الإجتماعى الدولى فى دراساته بين عنهم الإجتماع والسياسة والاقتصاد وتتميز مؤلفاته بكثرة الابحاث الإجتماعية التطبيقية .

أهم مؤلفاته الإجتماعية : (باللغة الروسية وترجمت للغة الانجليزية)

١- المجتمعات الزراعية ١٨٧٩

٢ - التنظيم الإجتماعى فى انجلترا فى اواخر القرون الوسطى ١٨٨٠

٣- العادات الحديثة والقانون القديم ١٨٨٦

٤- القانون البدائى ١٨٨٧

٥- القانون والعادات فى بلاد القوقاز ١٨٩٠

٦- النمو الاقتصادى فى أوروبا حتى قيام الرأسمالية (ثلاثة اجزاء) ١٨٠٣

٧- النظم الاقتصادى فى روسيا ١٨٩٨

٨- النظم السياسية الروسية ١٩٠٢

٩- علماء الإجتماع المعاصرون ١٩٠٥

١٠- علم الإجتماع (اربعة اجزاء) ١٩١٠

١١- أفكار جديدة فى علم الإجتماع ١٩١٣

(مجموعة مقالات بالاشتراك مع العلامة سوروكن) :

أهم نظرياته الإجتماعية :

١- يعرف علم الإجتماع بانه علم التنظيم والتغير الإجتماعى ويقصد بالتنظيم الإجتماعى حالة الاستقرار الإجتماعى ، ويرى أن التغير الإجتماعى ينقسم إلى التطور والتقدم ، ويفرق بينها على أساس أن التطور قد لا يعنى التقدم أما التقدم فهو التغير الإجتماعى الذى يحقق الاصلاح الإجتماعى .

ويحدد منهج علم الإجتماع بانه استقراء الحقائق العامة وتجريدها من الحالات الجزئية والتوصل إلى القوانين العامة التى تفسر الحياة الإجتماعية فى حالة الاستقرار وحالة التغير.

٢- تعرض كوفالوفسكى لمشكلة تحديد العلاقة بين علم الإجتماع العام والعلوم الإجتماعية المتخصصة ، وقد أكد استقلال علم الإجتماع العام عن فروعه المتخصصة ، أى إنه ليس مجرد تجميع للحقائق التى يصل اليها الفروع المتخصصة ، وإنما يدرس الحياة الإجتماعية بغرض الوصول إلى قوانين أكثر عمومية من قوانين العلوم الإجتماعيه الفرعية. ويتميز علم الإجتماع العام بالتخصص فى دراسة موضوع لايشاركه فى دراسة أى علم آخر ، هذا الموضوع هو التغير الإجتماعى والتقدم الإجتماعى ، ويعرف التقدم بأنه تغيرات تاريخية وايجابية فى البناء الإجتماعى الاقتصادى .

٣- أهتم بتحديد مراحل التطور الإجتماعى ، واعتمد فى ذلك على التاريخ المقارن والدراسة العميقة التحليلية للأبحاث الميدانية المتوفرة فى عصره ، أى أنه يرفض التصور والتأمل كمنهج لرسم صورة التطور الإجتماعى . أقدم الاشكال الإجتماعية هى "المعشر" وهو اصغر مجتمع انسانى عرف حتى الان ، ويتكون من عدة أسر تعيش معا ، ثم تطور المعشر وتحول إلى عشيرة ، والعشيرة إلى مجموعة كبيرة من الاسر التى تعيش معا فى مجتمع محلى واحد ويعتقد افراد العشيرة انهم يرجعون الى أصل واحد ولذلك تجمعهم روابط القرابة الدموية ، والطقوسية ثم ظهر نظام "القبائل" ويتحدث عن نظام القرابة وكيف تطور من نظام المقرابة الاموية ، حيث ينسب الطفل إلى أمه . إلى نظام القرابة الابوية ويتطرق إلى نظام الزواج والمحارم ، وتعد دراساته أفضل ما كتب فى عصره عن هذا الموضوع ، ويبحث فى تطور النظم الاقتصادية من الصيد إلى الرعى الزراعة ، ويدرس بالتفصيل النظام الاقطاعى ويحدد صوره فى الدولة البيزنطية وغرب أوروبا وروسيا والدولية العربية الاسلامية واليابان ، ثم ينقل إلى ظهور الأفكار القومية وظهور الأمم الديموقراطية وهى آخر مرحلة وصل إليها تطور المجتمعات .

حلل عوامل التطور الإجتماعى ولاحظ كثرتها ورفض ارجاع التطور الإجتماعى إلى عامل واحد ، وهكذا رفض النظرية الماركسية التى تجعل النظام الاقتصادى العامل الوحيد الذى يفسر الإجتماعى ، أهتم بتوضيح أثر العامل السكانى ودور العوامل الاخلاقية والسياسية والدينية فى التطور الإجتماعية ، وهو لا ينكر أثر العامل الاقتصادى ولكنه لا يخصص له مركزا ممتازا بالنسبة للعوامل الأخرى . حلل كوفالوفسكى هذه العوامل المتعددة

للتطور الإجتماعى ورأى أنها تقوم على دعامتين : الدعامـة الأولى هـى أن التطـور يسـتلزم التجديد والاختراع والتقليد والتكيف وهذه ظواهر نفسية اجتماعية والدعامة الثانية تتمثل فى أن التطور الإجتماعى يستلزم تحسنا تدريجيا فى قواعد السلوك الأخلاقى والتربوى .

الفصل الثالث عشر

علم الإجتماع فى أيطاليا

يمكن ملاحظة الخصائص التالية فى دراسات علماء الإجتماع الايطاليين :

١- اهتم بعض علماء الإجتماع فى ايطاليا بدراسة ظاهرة الجريمة وهكذا مهدوا لظهور علم الإجتماع الجنائى أو علم الجريمة ، وأهم هؤلاء العلماء لمبروزو (١٨٣٥-١٩٠٩) صاحب كتابى "الرجل المجرم" ، "المرأة المجرمة" ، وانتهى لمبروزو إلى نظرية مؤداها أن بعض الأفراد يولدون مزودين باستعداد فطرى للاجرام والانحراف وهؤلاء خصائص جسمية ونفسية معينة . ونادى هذا العالم بنظرية أخرى فى العقوبة ملخصها أن العقوبة يجب أن تهدف للعلاج والاصلاح وليس الانتقام وقد كان لهذه النظرية دورا فعالا فى تحسين ظروف المعيشة فى السجون وادخال العلاج الطبى والترفيه فيها واليوم يزداد عدد الدول التى الغت عقوبة الاعدام .

٢- يعد العلامة الايطالى "باريتو" Pareto (١٨٤٨-١٩٢٣) : أشهر علماء الإجتماع الايطاليين . يرى باريتو أن النظم الإجتماعية (من اقتصادية وسياسية ودينية وأسرية وعادات وتقاليد وقيم) تتولد عن أو تشتق من مجموعة من الاستعدادات الفطرية الثابته ، وهى مجموعة من الغرائز والعواطف ويطلق على الظواهر الإجتماعية اصطلاح "المشتقات" ، بينما يسمى الاستعدادات الفطرية "الرواسب" .

المشتقات Derivations

الرواسب = Residues

ويحدد أهم هذه "الرواسب" فيما يأتى :

١- استعداد فطرى للربط بين الحوادث والظواهر .

٢- غريزة التناسل وحفظ النوع .

٣- الميل الفطرى للتعبير عن العواطف بصراحة .

٤- الميل للاجتماع بالأخرين .

٥- الغريزة الجنسية .

٦- ميل الدفاع عن النفس .

يفرق باريتو بين البقايا والمشتقات من عدة جوانب ، فبينما تتصف البقايا بالثبات لأنها عواطف غريزية ، فإن المشتقات أى النظم الإجتماعية فى تطور وتغير ، وهى لا تخضع فى تطورها دائما للمنطق ، وذلك لأن الارادة الإنسانية تلعب دورها فى تطوير بعض تلك النظم وقد تخطئ تلك الارادة فى بعض الأحيان ولذلك قد تنتشر الإجتماعية والعادات الخاطئة ما عن طريق الجهل أو القوة أو الخداع ، ولذلك فهو يهتم بخاصية نسبية للنظم الإجتماعية . وهكذا فإن المشتقات تختلف تماما عن أصولها .

تعرض "باريتو" للنظام السياسى وخصائص الحاكم وقد تأثر فى ذلك الموضوع باراء المفكر الايطالى ماكيافللى ، وتتلخص تلك الاراء فى جملته الشهيرة بأن الغاية تبرر الواسطة، وتعنى أن الحاكم السياسى قد يستخدم الغش والاستبداد والخديعة فى سبيل تقوية دولته وتحقيق مصالحها .

٣- أهتم العلامة جينى Corrado Gini بدراسة ظاهرة الحرب وظاهرة السكان وتكوين الأمو ، أهم مؤلفاته :

١- المسائل الإجتماعية الخاصة بالحرب (١٩٢١) .

٢- نشأة الأمة وتطورها واضمحلالها (١٩٣٠) .

عارض العلامة جينى نظرية العلامة مالتسى المتعلقة بالزيادة المستمرة فى عدد سكان المجتمعات المختلفة ، ونادى بفكرة الدورة السكانية وملخصها أن السكان فى أى مجتمع لا يزداد عددهم بصورة مطلقة ، وإنما يمر عدد السكان فى مراحل عدة تبدأ بمرحلة الشباب حيث يزداد عدد السكان بصورة واضحة ثم تأتى مرحلة الكهولة حيث يتناقص معدلات

الزيادة السكانية ثم تأتى مرحلة الشيخوخة حيث تتوقف الزيادة السكانية ويبدأ عدد السكان فى النقصان وهنا تتم الدورة السكانية الأولى ، ويتلوها دورة سكانية جديدة يعود فيها عدد السكان إلى الزيادة وهكذا ، أهتم بدراسة أثر العوامل السكانية فى التطور الإجتماعية ، وكذلك حلل دور النخبة الممتازة والتغيرات الطبقية والحراك الإجتماعى فى عملية التغير الإجتماعى

الفصل الرابع عشر

علم الإجتماع فى بلجيكا

نتشير هنا إلى نظريات وأعمال أهم عالمين للاجتماع فى بلجيكا وهما العلامة ديبريل Duprel والعلامة دى جريف De Greef .

١- أهم مؤلفات العلامة ديبريل هى : (العلاقة الإجتماعية ١٩١٢) ، (علم الإجتماع العام ١٩١٨) . يهتم بتحديد خصائص العلاقات الإجتماعية ويرى إنها الوحدة الأساسية للمجتمع الإنسانى موضوع علم الإجتماع ويقسم العلاقات الإجتماعية إلى مجموعتين ، العلاقات الإجتماعية الموجهة وهى التى تؤدى إلى التكامل والتجمع ، أما المجموعة الثانية فهى العلاقات الإجتماعية غير الموجهة أى ارتباطها بالعواطف والانفعالات .

نادى بانشاء علم الإجتماع الحيوانى الذى يدرس الحيوانات غير الإنسانية وتحليل غرائزها ويرى أن هذا التحليل يساعد على فهم الغرائز الإنسانية والاستعدادات الفطرية الإنسانية وهى الدعامة التى تقوم عليها العلاقات الإجتماعية .

يحدد المجتمع الإنسانى بانه جماعة متكاملة من الأفراد ، وهذه الجماعة ليست مجرد مجموع حسابى للأفراد الذين يكونونه ، لأن المجموع الحسابى يفترض المساواة التامة بين الوحدات الحسابية ، أما المجتمع الإنسانى فإنه يتكون بين أفراد يقومون بوظائف اجتماعية مختلفة ، ويوجد تكامل بين تلك الوظائف وبالتالى ينشأ الكل الإجتماعى أى المجتمع .

٢- أهم مؤلفات العلامة البلجيكى جيوم بدى جريف (١٨٤٢-١٩٢٤) هى : (مقدمة فى علم الإجتماع ١٨٨٩) ، (البناء العام للمجتمعات ١٩٠٨) ، يعرف علم الإجتماع العام بانه الفلسفة العامة للعلوم الإجتماعية المتخصصة ، ويرى أن موضوع علم الإجتماع هو دراسة العلاقات الإجتماعية فى المجتمع وكذلك دراسة تأثير البيئة الجغرافية فى العلاقات الإجتماعية .

وفيما يتعلق بالمنهج ، نجد أن دى جريف يؤمن بضرورة تطبيق المنهج العلمى وخاصة الاحصاء الرياضى فى دراستنا للعلاقات الإجتماعية ، وهنا بتأثير دى جريف بزميله العلامة البلجيكى كيتيلية Quetelet صاحب نظرية تطبيق الاحصاء فى الدراسات الإجتماعية ، فهما يريان أن الاحصاء بالنسبة لعالم الإجتماع يشبة المعمل بالنسبة لعالم الطبيعة . يقسم علم الإجتماع العام إلى قسمين رئيسين :

(أ) القسم الأول يدرس المجتمع والعوامل المؤثرة فيه ، ويحددها دى جريف بسبعة عوامل هى :

العامل الاقتصادى (أهمها) - العامل السكانى - العامل الجمالى - العامل النفسى الجمعى - العامل الاخلاقى - العامل القانونى وأخيرا - العامل السياسى .

(ب) القسم الثانى يدرس اتصال المجتمعات والشعوب الإنسانية بعضها ببعض ، ويرى أن زيادة الاتصال بين الشعوب والسلالات المختلفة يؤدى إلى زيادة عددها ولكن يؤدى كذلك إلى أضعاف الفروق الجسمية بينها وذلك عن طريق الزواج فيما بينها .

بالاضافة إلى علم الإجتماع العام يوجد علوم اجتماعية متخصصة ، وهى سبعة علوم يتخصص كل علم فى دراسة عامل واحد من العوامل السبعة السابقة وهو هنا يتأثر بالعلامة أوجست كونت الذى وضع تقسيما متشابها للعلوم الإجتماعية المتخصصة .

درس دى جريف التطور الإجتماعى وأعطى أهمية كبيرة للعامل الاقتصادى لتأثيره فى التطور الإجتماعى ، ولكنه لا يعتبرها العامل الوحيد وإنما يشير إلى العوامل السبعة السابقة الذكر ، ويرى أن العامل السياسى هو أضعف عوامل التغير الاجتماعى .

أهتم دى جريف بالنظام النقابى ويرى أنه سيلعب دورا هاما فى التقدم الاقتصادى والتغلب على الصراع الطبقى ، وينادى بتنظيم نقابى عالمى يجمع عمال العالم ولا يعترف بالقوميات. وهنا يتأثر دى جريف بالنظرية الماركيسية .

رقم الإيداع ١٦٩١٨/ ٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977 - 314 - 019 - 9

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

ت / ٣٩٢٩١٩٢

ف / ٣٩٣٣٩٠٩



